جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

مدينة وادي آش الأندلسيَّة في العصر الإسلامي (92 -895هـ/711-1489م): دراسة في التَّاريخ السِّياسي والحضاري

إعداد

إلهام سمحات عادل دويكات

إشراف

د. عامر القبج

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2020م

مدينة وادي آش الأندلسيَّة في العصر الإسلامي (92 -895هـ/711-1489م): دراسة في التَّاريخ السِّياسي والحضاري

إعداد

إلهام سمحات عادل دويكات

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2020/12/01م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. د. عامر القبج / مشرفاً رئيساً	....
2. أ. د. عبد الرحمن المغربي / ممتحناً خارجياً	....
3. د. عدنان ملحم / ممتحناً داخلياً	....

الإهْدَاء

إلى اللذين عملا على تحريري من عبودية الجهل، واشتعلا شمعتين وقادتين أنارتا طريقي، إلى الصابرَين أمي وأبي

إلى قرة عيني ومصدر قوتي وعزيمتي إخواني وأخواتي

إلى من ساروا معي نحو الحلم خطوة خطوة

صديقاتي وفاء حج علي وهداية قاسم

الشّكر والتّقدير

أحمدُ الله سبحانه وتعالى وأشكره؛ إذ أعانني وأخذ بيدي لإنجاز هذا العمل، فلله الحمد وإليه يعود الفضل كله، والصَّلاة والسَّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيِّدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

واعترافاً بذوي الفضل عليَّ؛ لا يسعني إلا أن أقدّم شكري وتقديري إلى الدكتور عامر القبّج، لإشرافه على هذه الرسالة، ومتابعته المتأنية لتصحيح عملي وتقويمه.

كما أتقدَّم بخالص الشكر والتقدير إلى أساتذتي في قسم التاريخ: الدكتور عدنان ملحم، والدكتور محمد الخطيب، والدكتور أمين أبو بكر، الذين نهلت من معين علمهم الذي لا ينضب.

والشكر موصول إلى الأخت الفاضلة سماح حج علي التي شجعتني على السير قدماً في البحث والتنقيب.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للعاملين في مكتبة جامعة النجاح الوطنية، وأخص بالذكر الأستاذين الفاضلين فايز سلوم وعبد الله نصر، والشكر أيضاً للعاملين في مكتبتيّ بلدية نابلس وجامعة بيرزيت، على ما قدموه لي من عون ومساعدة.

إلهام

الإقرار

أنا الموقّعة أدناه، مقدّمة الرّسالة الّتي تحمل العنوان:

مدينة وادي آش الأندلسيَّة في العصر الإسلامي (92 -895هـ/711-1489م): دراسة في التَّاريخ السِّياسي والحضاري

أقرّ بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرّسالة إنّما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمّت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة كاملة، أو أيّ جزء منها، لم يقدّم من قبل لنيل أي درجة علميّة، أو لقب علمي، أو بحث لدى أي مؤسّسة تعليميّة أو بحثيّة أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: اسم الطالبة: إلهام سمحان عادل رويكات

Signature: التوقيع: إلهام

Date: التاريخ: ١/١٢/٢٠٢٠م

فهرس المحتويات

المختصرات والرموز

المختصرات:

أشير إلى المصادر والمراجع في الهوامش كما يلي:

1. أشير في الهامش اسم المؤلف أو اسم شهرته، والكلمة الأولى من اسم كتابه(إذا كان للمؤلف أكثر من كتاب) ثم الجزء(ان كان له أجزاء) والصفحة، كما يلي:
   - ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص379.
   - حتاملة، الأندلس، ص80.
2. إذا كان للمؤلف كتاب واحد، اذكر اسم المؤلف أو شهرته والجزء(ان كان له أجزاء)، والصفحة ، كما يلي:
   - الضبي، ص90.
   - الحجي، ص19.
3. إذا كان للمؤلف أكثر من كتاب يبتدئ بنفس الكلمة، أذكر الكلمة الأولى والثانية من كتابه كما يلي:
   - سالم، تاريخ المغرب، ص70.
   - سالم، تاريخ المسلمين، ص120.

الرموز

الرموز الآتية تعني ما يأتي:

د.ت	دون تاريخ نشر.
د.م	دون مكان نشر.
د.ن	دون ناشر.
د.ط	دون طبعة.
ط	طبعة.
ج	جزء.
م	ميلادي.
هـ	هجري.
ت	توفي.
ص	صفحة.
مج	مجلد.
*	الكلمة التي تحمل نجمة في المتن معرفة بالهامش.

مدينة وادي آش الأندلسيَّة في العصر الإسلامي (92 -895هـ/711-1489م):
دراسة في التَّاريخ السِّياسي والحضاري

إعداد
إلهام سمحات عادل دويكات
إشراف
د. عامر القبج

الملخَّص

تقع مدينة وادي آش شمال شرق مدينة غرناطة، في المنطقة الجنوبيَّة الشَّرقيَّة من بلاد الأندلس، وعُدَّت من أهم المعاقل الأندلسيَّة خلال العصر الإسلاميِّ. وكانت قد فُتحت عقب النَّصر الذي تحقَّق على القوط في معركة وادي لكَّة سنة 92هـ/711م، واشتملت بعد اكتمال مرحلة الاستقرار على مزيجٍ من العناصر السُّكانيَّة، التي تنوَّعت ما بين عناصر إسلاميَّة كالبربر والعرب والمولَّدين، وعناصر غير إسلاميَّة كاليهود والنَّصارى. وعانت المدينة من أوضاع غير مستقرَّة خلال العديد من سنوات عصر الولاة (95-138هـ/714-755م)، كما كان لها نصيبٌ من تداعيات ثورات المولَّدين ضدَّ الدَّولة الأمويَّة في الأندلس، أُسوة بغيرها من المدن، وبخاصَّةٍ ثورة عمر بن حفصون وأبنائه منذ النِّصف الثَّاني من القرن الثَّالث الهجري/التَّاسع الميلادي.

وتعاقب على حكم مدينة وادي آش عددٌ من الأسر الحاكمة، حيث خضعت لحكم الصنهاجيّين سنة 403هـ/1012م، ثمَّ تولّى أمرها يحيى بن صمادح بعد تآمره على باديس ابن ماكسن سنة 459هـ/1066م. وشهدت في ظلِّ الحكم المرابطيِّ(484-541هـ/1091-1147م) العديد من الحروب والثَّورات، منها: ثورة أحمد بن ملحان الطّائي الذي تمكَّن من السَّيطرة عليها، حتّى تغلَّب عليه محمَّد بن سعد بن مردنيش سنة 546هـ/1151م، ثمَّ غزت قوّات الموحِّدين المدينة وأطاحت بحكم ابن مردنيش سنة 567هـ/1171م.

وبقيت مدينة وادي آش ضمن أملاك الموحِّدين إلى أن انتزعها منهم محمَّد بن هود سنة 625هـ/1228م، ثمَّ ما لبثت أن انتظمت بعد سنوات قليلة تحت حكم محمَّد بن يوسف ابن

الأحمر أوّل ملوك مملكة غرناطة، وخلال ذلك خضعت لحكم بني أشقيلولة، وبني مرين، وفـــي نهاية عصر المملكة المذكورة شهدت المدينة صراعاً مريراً على الحكم بين آخر ملوكها أبي عبد الله الصَّغير، وبين عمِّه أبي عبد الله الزّغل، حتى سقطت بيد الإسبان سنة 895هـ/1489م.

وأمّا على الصَّعيد العلمي، فقد عرفت مدينة وادي آش ظاهرة البيوتات العلميَّـــة، التـــي أنجبت العديد من العلماء، فشهدت نهضة فكريَّة وعلميَّة في مختلف المجالات، وبخاصَّةٍ القضاء، والعلوم الدّينيَّة، وعلوم اللغة العربيَّة وآدابها وفنونها. وعلاوة على ذلك؛ شهدت المدينة نشـــاطاً عمرانيّاً لافتاً، ومن ذلك اشتمالها على العديد من المساجد، وعلى رأســـها مســـجدها الجـــامع، وتميَّزت بتسامح أهلها مع أهل الذِّمَّة، الذين أتيح لهم بناء الكنائس ودور العبادة. كمـــا شـــهدت ازدهاراً اقتصاديّاً كبيراً؛ بحكم موقعها الجغرافيِّ، فاهتمَّ أهلهـــا بالزِّراعـــة الحقليَّـــة والأشـــجار المثمرة؛ كالزَّيتون، والتُّفاح، والتّوت، واهتمّوا كذلك بالصِّناعات النَّسيجيَّة المُعتمدة على الحرير والكتّان، فانتشرت فيها الأسواق، وراجت في طرقاتها وحوانيتها البضائع، وأقام أهلها علاقـــات تجاريَّة خارجيَّة نشطة.

المقدمة

هدفت هذه الدراسة الموسومة بـِ "**مدينة وادي آش الأندلسية في العصر الإسلامي (92-895هـ/711-1489م)**"، إلى إبراز التاريخ السياسي والحضاري لهذه المدينة، منذ الفتح الإسلامي للأندلس، حتى سقوطها بيد الإسبان سنة 895هـ/1489م. وتكمن أهميتها في محاولتها كشف النقاب عن بعض الغموض الذي يكتنف تاريخ هذه المدينة، والإسهام بالنَّزر اليسر في إكمال صورة تاريخ المسلمين وحضارتهم في الأندلس. وبناءً على ما ذُكر، فقد جاءت الدراسة لتسلط الضوء على الكيانات السياسية الأندلسية والمغربية التي حكمت مدينة وادي آش، وتكشف عن انجازاتها، وتبرز دورها في غمرة الخلافات الداخلية والتنافس على السلطة، كما هدفت أيضاً إلى إظهار الدور الحضاري الذي لعبته خلال تاريخها الأندلسي.

وعلى الرغم من أهمية دراسة تاريخ المدن، ومنها مدينة وادي آش، فإن معظم المؤرخين والباحثين لم يمنحوها ما تستحق من الاهتمام، إذ لم تتناولها بشكل مباشر، وفق ما تناهى إلى علم الباحثة، سوى دراسات قليلة، كرسالة الباحثة العراقية آلاء رحيم: "مدينة وادي آش الأندلسية، دراسة في أحوالها العامة (92-895هـ/711-1490م)"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البصرة للبنات، جامعة البصرة، العراق، 2018م. وعلاوة على ذلك، فإن الكتب المنشورة لم تتناول تاريخ هذه المدينة السياسي والحضاري بصورة مستقلة، فجاء اختيار هذا الموضوع ميداناً للدراسة والبحث، ومن ذلك كله تكمن أهميته. واقتضت خطة الدراسة ومعلوماتها تقسيمها إلى أربعة فصول:

الفصل الأول، وعنوانه: **الجغرافيا التاريخية لمدينة وادي آش ومنطقتها**، واشتمل على الموقع الجغرافي للمدينة، وحدودها، ومناخها، وقراها وحصونها، والمدن المحيطة بها، ثم تطرق إلى أوضاعها قبيل الفتح الإسلامي وأثناءه، وأهم عناصرها السكانية بعد الفتح.

وأما الفصل الثاني، فجاء بعنوان: **دور مدينة وادي آش في الحياة السياسية الأندلسية من عصر الولاة حتى نهاية العصر المرابطي (95-541هـ/714-1147م)**، فتناول أولاً تاريخ

المدينة منذ عصر الولاة حتى عصر الخلافة الأموية، ثم تطرق إلى أحوالها خلال عصر المملكة الزيرية، حتى السيطرة المرابطية، ودورها في الصراع الإسلامي المسيحي خلال الفترات المذكورة.

ووُسم الفصل الثالث بـِ: **وادي آش خلال عصر الموحّدين وبني الأحمر(541-895هـ/1147-1489م)**، حيث تناول تاريخ المدينة خلال العصر الموحِّدي، ثم دورها في الصراع بين محمد بن هود ومحمد بن نصر بن الأحمر، بالإضافة إلى أوضاعها خلال عهد السلطان الغرناطي محمد بن يوسف بن الأحمر، وأحوالها خلال عهد ابنه محمد الفقيه، حتى نهاية عهد الغني بالله محمد الخامس، وكذلك منذ عهد السلطان محمد الأيسر حتى نهاية عهد السلطان أبي الحسن علي بن سعد، وتناول هذا الفصل أخيراً الحرب الأهلية بين أبي عبد الله الصغير وعمه أبي عبد الله الزغل، وسقوط مدينة وادي آش سنة 895هـ/1489م.

وتناول الفصل الرابع: **مظاهر الحضارة الأندلسية في مدينة وادي آش**، فاحتوى على ثلاثة أبواب، تناول الأول منها: الحياة الفكرية والعلمية فيها، من خلال دراسة البيوتات العلمية، كما تناول علماءها في شتى المجالات الدينية واللغوية، وأما الباب الثاني فتطرق إلى النواحي العمرانية، وتناول الباب الثالث مظاهر الحضارة الاقتصادية في المدينة، وخاصة الزراعية والصناعية والتجارية منها. أخيراً، خُتمت الدراسة بأهم نتائجها.

الفصل الأوَّل

دراسة في المصادر

- **مذكرات الأمير أبي محمد عبد الله بن بلقين المسماه (بكتاب التبيان) (483هـ/1090م)**
- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الإدريسي، أبو عبد الله (ت: 560هـ/1066م)**
- **التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار، أبي عبد الله، محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي (ت: 658هـ/1260م)**
- **الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين ابن الخطيب، أبي عبد الله، محمد بن عبد الله (ت: 776هـ/1374م)**
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، للمقَّري، أبي العباس، أحمد بن محمد بن يحيى (ت: 1041هـ/1632م)**

الفصل الأوَّل

دراسة في المصادر

1. مذكرات الأمير أبي محمد عبد الله بن بلقين المسَمّاة (بكتاب التبيان)(ت:483هـ/ 1090م)

ولد الأمير عبد الله سنة 447هـ/1056م، ويُنسب إلى أُسرة بني زيري* الصّنهاجيّة، فجدّهُ باديسُ بن حبوس بن زيري بن مُناد الصّنهاجيّ(429-467هـ/1038-1075م)*، وكان قد عُيّن وليّاً لعهدِ جدّه بعد وفاة والده بلقين(ت:456هـ/1064م)* الذي قُتل مسموماً في حياة والده على يد وزيره اليهوديّ يوسف بن نغرالة(ت:459هـ/1067م)*، وتولّى عرش غرناطة سنة 469هـ/1077م، وكان يُلقّبُ بالمظفّر بالله؛ والناصر لدين الله[1]. ويُعدّ الأميرُ عبد الله آخرَ ملوك غرناطة من بني زيري.

وشهد عصرهُ سلسلةً من الصراعات والاضطرابات، وكان له دورٌ بارزٌ في موقعة الزلّاقة سنة 479هـ/1086م*، وحصار حصن لبيط سنة 481هـ/1089م*، ولجأ إلى عقد

---

* بنو زيري: من ملوك الطوائف، ينسبون إلى قبيلة صنهاجة، استقروا في مدينة غرناطة، واتخذوها قاعدة لهم سنة 403هـ/1012م، واستمروا فيها حتى قدوم أمير المرابطين يوسف بن تاشفين(456-500هـ/1065-1106م) إلى الأندلس وقيامه بإنهاء حكمهم سنة 483هـ/1090م. انظر: القلقشندي، صبح، ج5، ص251؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج2، ص(120-121، 124، 340-341).

* باديس بن حبوس: ولي عرش غرناطة بعد موت أبيه، بتدبير من وزير أبيه اليهودي إسماعيل بن النغرالة، سنة 429هـ/1038م. والي بني حمود أصحاب مالقة والجزيرة الخضراء ثم حاربهم، وهزم زهيراً العامري سنة 427هـ/1036م، وارتبط بعلاقات ودية مع بني صمادح بالمرية، شاد القصور في غرناطة وزاد في عمارتها، ويرجح أنه توفي سنة 467هـ/1075م. انظر: طويل، مملكة، ص(119-169).

* بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد، عُين والياً على مالقة في حياة أبيه، وكان مرشحاً للإمارة بعده، لكنه قتل مسموماً على يد الوزير اليهودي يوسف بن نغرالة سنة 456هـ/1064م. انظر: الزركلي، الأعلام، ج2، ص74.

* يوسف بن نغرالة: الوزير اليهودي، تولى الوزارة لباديس بن حبوس بعد أبيه إسماعيل، وكان متحكماً بدولته. بطش بالعامة والخاصة وأستعمل اليهود على الأعمال. قتله الناس سنة 459هـ/1067م. انظر: ابن عذارى، البيان، ج3، ص(264-266).

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص379؛ انظر أيضاً: ابن بلقين، مذكرات، مقدمة المحقق، ص(7-8)؛ عنان، دولة، ج2، ص(341-342).

* موقعة الزلاقة: وقعت سنة 479هـ/1086م بين جيش قشتالة بقيادة الملك ألفونسو السادس وقوات المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين، الذي كان متحداً مع جيش المعتمد بن عباد(461-484هـ/1069-1091م)، والتي انتصرت انتصاراً ساحقاً على القشتاليين، وسميت بالزلاقة نسبة للموقع التي وقعت فيه. انظر: الحميري، الروض، ص(287-288)؛ انظر أيضاً: الحجي، التاريخ، ص421.

* حصن لبيط: يقع بالقرب من مدينة مرسية، أنشأه ملك قشتالة ألفونسو السادس، واتخذه قاعدة للإغارة على شرق الأندلس، وسمي بهذا الإسم نسبة للمكان الذي بني فيه. انظر: الحجي، ص422.

اتفاقياتٍ مع ملك قشتالة* ألفونسو السادس(*Alfonso VI*)(1065-1109م)*، أدت إلى سقوط عرشه على يد الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين(456-500هـ/1064-1106م)*، عندما دخل على رأس قوات المرابطين إلى الأندلس لتخليصها من ملوك الطوائف، إذ حاصره في غرناطة سنة 483هـ/1090م، وعزله عن ملكه ونفاه إلى مدينة أغمات* في جنوب المغرب الأقصى* في العاشر من رجب سنة 483هـ/أيلول1090م، حيث قضى بقية حياته هناك(1).

وأثناء إقامته الجبرية في مدينة أغمات، كتب الأمير عبد الله مذكراته وأسماها التبيان، وتُعدّ من أهمّ الوثائق التي تحدّثت عن ملوك الطوائف وأقلُّها تحويراً، فتضمنت معلوماتٍ هامةً عن عصر ملوك الطوائف بشكل عام، وعن بني زيري بشكل خاص، إذ تناول فيها كل ما يتعلق بأسرة بني زيري منذ تسلّمهم الحكم حتى الإطاحةِ بعرشهم، وكذلك يقدّم سرداً تفصيلياً لجميع الحوادث منذ دخولهم حتى دخول المرابطين سنة 479هـ/1086م، ويُعدّ هذا الكتابُ بمثابة وثيقةٍ مهمة حول حالة الفوضى والانحلال والفساد السياسي في الأندلس قبل معركة الزلّاقة وبعدها،

---

* قشتالة: أكبر الممالك النصرانية مساحة، وأوفرها قوة، تقع خلف جبال الشارات وتعرف بالثغر الأوسط بين مملكة البرتغال في الغرب ومملكة نبرة في الشرق، توحدت سنة 614هـ/1217م، وتعتبر المملكة الأكثر عداء للمسلمين. انظر: المراكشي، المعجب، ص320؛ الحميري، الروض، ص483.

* ألفونسو السادس(*Alfonso VI*): هو الابن الثاني للملك فرناندو الأول(*Fernando I*)(1029-1065م)، دخل في حرب ضروس مع إخوته، إذ طمع كل واحد من الأشقاء في ملك إخوته، وانتهت هذه الحرب بسيطرة ألفونسو على الأقاليم التي كانت تحت سيطرة إخوته، وهكذا سيطر على منطقة شمال الأندلس، ثم بعد ذلك قرر السيطرة على جميع المعاقل الإسلامية، وتمكن من السيطرة على طليطلة عام 478هـ/1085م، وهاجم إشبيلية وسرقسطة. انظر: أشباخ، تاريخ، ج1، ص(24-29).

* يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الصنهاجي اللمتوني، يكنى أبا يعقوب، أمير المسلمين وسلطان المغرب الأقصى. انظر: اسماعيل بن إبراهيم بن امير المؤمنين، تاريخ، ص89.

* أغمات: ناحية في المغرب، تقع جنوب مراكش، عبارة عن مدينتين إحداهما تسمى أغمات إيلان والأخرى أغمات وريكة، بها نهر أغمات الذي ينبع من جبال أطلس، ويتفرع منه عدة وديان، اشتهرت بكثرة أسواقها وبساتينها. انظر: البكري، المسالك، ج2، ص(338-339).

* المغرب الأقصى: المنطقة الجغرافية الواقعة بين نهر ملوية والمحيط الأطلسي، وتراوحت عاصمته بين مدينتي فاس ومراكش. انظر: العبادي، في تاريخ، ص11.

(1) عنان، دولة، ج2، ص(341-342).

إضافة إلى أنها تُعدّ مُرشداً لتاريخ الأندلس زمن الطوائف، ابتداءً من العصر الذي تنتهــي فيــه مؤلفاتُ ابن حيان(ت:469هـ/1086م)[1].

وأمّا عن منهج الأمير ابن بلقين في مذكراته فقد كان حريصاً علــى ضــرورة تــرابط الأحداث وتسلسلها، إذ نجده_ على سبيل المثال لا الحصر_ يتحدّث في سيرته عن دولــة بنــي زيري، ثم يتدرّج في الموضوع حتى يصل دولتهُ فيتحدّثُ عنها، كما حرص على البحث عــن الحقيقة التي عاصرها، إذ امتنع في كثيرٍ من الأحيانِ عن ذكر بعض الوقائعِ والأحداثِ لأنه لــم يعشها، واعتمد في مذكراته على وثائقَ، ورسائلَ، وخطاباتٍ، ليدعمَ الحقيقةَ التاريخيةَ، مع تأكيده على ذكر المصدر الذي أخذَ منه المعلومة، ومثالُ ذلك عندما تحدّثَ عن المؤامرة التي دبّرهــا اليهوديّ والمعتصم بالله بن صمادح(433-443هـ/1042-1052م)*: "وأخبرني رسولُ ابــنِ صمادحَ بنِ أرقمَ"، واعتمد ابن بلقين في سيرته على ذكر جوانبَ من حياته السياسية، كما نلاحظ موضوعيتَهُ وعدم تحيّزه في ذكر الأحداث، بالإضافة إلى أنه لم يكن يكتفِ بذكرها، بل كان يُعلّق عليها ويُبين موقفه منها[2].

ويقسم كتاب التبيان إلى (ثلاثةَ عشرَ) فصلاً؛ تناول الأولُ نظراتٍ عامةً للمؤلــف مــن خلال القواعدِ التي يتحتّمُ على المؤلف اتباعَها، وتناول كذلك حقيقةَ الإسلام والردّ على مــن لا يؤمن به، وتحدثَ عن قصور القياس دون عونٍ من الوحي، وأكد على ضرورةِ التعلُّم والتجربةِ، وتطرقَ إلى التكوين السياسي له، وصعوبة الإنصاف التّأريخي، وأهميةُ المصادفةِ في التّأريخ.

أما من بداية الفصل الثاني إلى نهاية الفصلِ الرابع فقد تطرق للحديث عــن الأحــداث الممهّدة لقيام دولة بنــي زيــري، وأولويــاتِ هــذه الدولــةِ أيــامَ زاوي بــن زيــري(403-

---

[1] ابن بلقين، مقدمة المحقق، ص(8-9).

* المعتصم بالله ابن صمادح: محمد بن معن بن محمد بن صمادح التجيبي، يكنى أبا يحيى، ملك المرية في عصر ملــوك الطوائف، يعود في نسبه إلى بني تجيب ولاة سرقسطة. اتصف بحسن السيرة والكرم والشجاعة، استولى المرابطون على مملكته سنة 484هـ/1091م بعد أن دام حكمه أربعون سنة، وتوفي في السنة المذكورة. انظر: ابن الأبار، الحلــة، ج2، ص(79-84).

[2] عبد الرحيم، دراسة، ص(326-333).

410هـ/1013-1019م)*، وحبوس بن ماكسن(410-429هـ/1019-1037م)*، كما أتى على ذكر إمارة باديس ابن حبوس منذ بدايتها حتى موت ابن نغرالة[1].

وتناول ابن بلقين من بداية الفصل الخامس إلى نهاية الفصل العاشر فترة إمارته، ومشاكلَ الأندلسِ الخارجية، ووصفَ حال الأندلس عند ابتداء إمارته ومشاكلَ غرناطةَ الداخليةِ حتى قدومِ المرابطين إلى الأندلس وموقعة الزلّاقة، ومحاصرة حصن لبيط، وتحدث أيضاً عن سياسته الدفاعيّة بعد العودة من حصاره، وأتى على ذكر الأحداث الأخيرة قبل انتهاء دولة بني زيري، واستسلامه للسلطان المرابطيّ ونفيه إلى أغمات.

وفي الفصل الحادي عشر تحدث عن مصير بقية ملوك الطوائف بعد عزلهم، وأما الفصل الثاني عشر والأخير؛ فتحدث الأمير فيه عن نفسه وأتى على ذكر أرآئه في التنجيم والطب والعلوم الطبيعية، كما تحدث عن هموم الشباب والطموح وزوال خيرات الدنيا[2].

وقد أفاد هذا الكتاب الدراسة في الحديث حول دخول بني زيري إلى الأندلس في عهد المنصور بن أبي عامر(371-392هـ/981-1002م)* وحكمهم لمدينةِ غرناطةَ التي اتخذوها حاضرةً لهم، وأورد سبب نزوح زاوي بن زيري من الأندلس إلى المغرب سنة 410هـ/1019م، كما أشار إلى فترة حكم باديس بن حبوس بن ماكسن، وسلسلةَ الصراعاتِ الداخليةِ والخارجيةِ التي شهدتها فترة حكمه، والتي بدأت بثورة ابن عمه يدير بن حباسة وعددٍ من شيوخ صنهاجة، ومؤامرة اليهودي يوسف ابن نغرالة ضد الأمير باديس، ومحاولاته

---

* زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي، يلقب بالحاجب المنصور، ويكنى أبا مثنى، أول من مدّن غرناطة وبناها وشيدها، وأول من حكمها في عهد ملوك الطوائف. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(513-517).

* حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي، يكنى أبا مسعود، تولى حكم إلبيرة وغرناطة بعد رحيل عمه زاوي بن زيري، وتوفي بغرناطة سنة 429هـ/1308م. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص477.

[1] ابن بلقين، ص (224-225).

[2] المرجع نفسه، ص (227-228).

* المنصور بن أبي عامر: محمد بن عبد الله بن أبي عامر المعافري، يكنى أبا عامر، أصله من الجزيرة الخضراء، ارتحل إلى قرطبة لطلب العلم، تولى قضاة كورة رية، وأسند إليه الخليفة الحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م) مهمة رعاية ابنه هشام(366-399هـ/976-1009م)، فأخذ له المنصور البيعة بعد وفاة والده، ثم استقل بالدولة، وقام بإدارة شؤونها. الضبي، بغية، ص(115-117)؛ المراكشي، المعجب، ص28؛ ابن الأبار، الحلة، ج1، ص(268-277)؛ الزركلي، ج6، ص226.

السيطرة على مدينة وادي آش، وقتله الأمير بلقين بن باديس، وكذلك تحريضه لصاحب المرية* المعتصم بالله بن صمادح على السيطرة على مدينة وادي آش، ومقتله على يد أهالي غرناطـــةَ، وتطرق للحديث عن استرداد الأمير باديس لمدينة وادي آش، بالإضافة إلى كل الأحداث التـــي جرت في فترة حكمه ومن بينها: أطماع الإسبان بالسيطرة على وادي آش، ثم سقوط دولة بنـــي زيري بعد قدوم المرابطين إلى الأندلس.

2. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، للإدريسي، أبي عبد الله محمد (ت:560هــ/1066م)

هو محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ويقال بأنه حَسَنيٌ علويٌ[1]، ويُعرف بالشريف الإدريسي[2]، سُمي بالحسني لأن نسبه ينتهي إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب– رضـــي الله عنهما–[3] ولقب بالإدريسي نسبة إلى جده إدريـــس الأول(172–176هـــــ/788–793م)*، مؤسس دولة الأدارسة* في بلاد المغرب الأقصى[4].

ولد الإدريسي في مدينـــة ســـبتةَ* ســـنة 493هـــــ/1099م[5]، ونشـــأ فيهـــا، فحفـــظ القرآن والأحاديث وبعض الأشعار، وارتحل في بداية شبابه لمتابعـــة تحصـــيله العلمـــي فـــي

---

* المرية: تقع جنوب شرق الأندلس على البحر، وتحدها شلوبينية من ناحية الغرب، وتتبع لها حصون وقرى كثيرة، وبهـــا دار لصناعة السفن، وتكثر حولها الأشجار المثمرة. انظر: مسالك، ج4، ص(122–123).

[1] حسن، الشريف، ص8.

[2] الصفدي، ج1، ص138؛ كحالة، ص(653–654)؛ حسن، الشريف، ص8.

[3] حسن، الشريف، ص8.

* إدريس الأول: إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أول من دخل المغـــرب الأقصـــى مـــن الطّالبيين، وأسس فيها دولة الأدارسة سنة 172هــ/788م، ومات مسموماً بتحريض من الخليفة هـــارون الرشـــيد(170–193هــ/786–809م) سنة 177هــ/793م. انظر: الأصفهاني، مقاتل، ص(406–409)؛ حسن، ص8، حاشية رقم 1.

* دولة الأدارسة: أسسها إدريس بن عبد الله المذكور في المغرب سنة 172هــ/789م، وقد استمرت هذه الدولة حتى سنة 374هــ/984م، إذ استطاع الفاطميون التغلب عليها ودخول عاصمتها فاس والسيطرة عليها. انظر: نصـــر الله، دولـــة، ص(70، 82)؛ مؤنس، معالم، ص(123، 131).

[4] كحالة، ج3، ص(653–654)؛ حميدة، أعلام، ص388؛ بالنثيا، تاريخ ص(312–313)؛ حسن، الشريف، ص8.

* سبتة: مدينة ساحلية في شمال بلاد المغرب الأقصى، تقع شرقي مدينة طنجة، تقابل الجزيرة الخضراء في الأندلس، وهي عبارة عن سبعة جبال متصلة، يتصل بها من جهة الغرب وعلى بعد ميلين منها جبل موسى، الذي ينســـب لموســـى ابـــن نصير(79–97هــ/699–716م). انظر: الإدريسي، نزهة، مج2، ص528؛ الحموي، معجم البلدان، ج3، ص182.

[5] كحالة، ج3، ص653؛ حميدة، ص388؛ حسن، ص9؛ بالنثيا، ص312.

قرطبة*، فتلقى العلم في جامعها علما الجغرافيا والنبات، إلى جانب اهتمامه بالتاريخ، والأدب، والطب، والفلك، والهندسة[1]، وعلى ما يبدو أن الإدريسي ترسخ لديه الميول إلى السفر في سن مبكرة، إذ قام بعدة رِحلاتٍ وهو في السادسة عشرَ من عمره، أي بحدود سنة 510هـ/1116م[2]، ويظهر من خلال كتاباته أنه زار لشبونة*، ووصل إلى سواحل فرنسا وإنجلترا[3]، وفي بلاد الحجاز قام الإدريسي بتأدية فريضة الحج، وسافر إلى مصرَ، والمشرق العربي، وآسيا الصغرى، وزار الشام وبلاد اليونان سنة 513هـ/1119م[4].

وفي سنة 532هـ/1138م قصد الإدريسي جزيرة صقلية ونزل فيها ضيفاً بناءً على دعوةٍ من الملك النورماندي روجر الثاني(*Roger II*)(524-549هـ/1130-1154م)* وبقي فيها حتى وفاة ملكِها روجر سنة 549هـ/1154م، إذ عاد في أيام شيخوخته إلى مدينة سبتة إلى أن توفي بها سنة 560هـ/1166م[5].

مؤلفاته: للإدريسي موروثٌ كبيرٌ من المؤلفات تتناسب مع سعة علمه واطّلاعه؛ ساهمت بشكلٍ كبيرٍ في إثراء الحركة العلمية ومنها: "روض الأنس ونزهة النفس" ويُعرف كذلك باسم "المسالك والممالك"؛ وهو مخطوط مفقود، لكن يوجد له مختصران، أحدهما في دمشق والآخر في استانبول، ولهذا المختصر عنوانان الأول: "أُنْسِ المُهجِ وروض الفَرَجِ"، والثاني "روض الفرج

---

* قرطبة: تقع على نهر الوادي الكبير، شرق كورة إلبيرة وبينهما تسعون ميلاً، مدينة محصنة كثيرة الأنهار والأشجار، تعد من أعظم مدن الأندلس وأهمها، فيها قاعدة الخلافة الأموية. انظر: الإدريسي، مج2، ص565؛ الحموي، معجم البلدان، ج4، ص234.

[1] كحالة، ج3، ص(653-654)؛ حميدة، ص388.

[2] حسن، الشريف، ص10؛ حميدة، ص388.

* لشبونة أو أشبونة: مدينة قديمة بالأندلس من كورة باجة، تقع على ساحر الأطلسي غربي الأندلس، ممتدة مع النهر، لها أبواب وسور وقصبة منيعة. انظر: الحميري، الروض، ص61.

[3] حسن، الشريف، ص9؛ حميدة، ص388.

[4] شلح، ص11.

* روجر الثاني(*Roger II*): ملك صقلية، وابن روجر الأول(*Roger I*)(463-494هـ/1071-1101م)، تمكن من توحيد المقاطعات في إيطاليا في مملكة واحدة سنة521هـ/1127م، وتولى الحكم عن أخيه سنة 525هـ/1130م، وبقي ملكاً على صقلية حتى وفاته سنة 549هـ/1154م. انظر: الزيري، الصليبيون، ص(236-240).

[5] حميدة، ص389.

ونزهة المُهج"[1]، ومن مصنفاته أيضاً: "كتاب الجامع لصفات أشتات النبات"، كما يعرف باسمي "المفردات" و"الأدوية المفردة"، وهو كتاب مختص بذكر أنواع الأشجار، والثمار، والحشائش، والأزهار، والحيوانات، والمعادن[2].

ومن أهم مؤلفاته كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، وهو مصدر جغرافي في غاية الأهمية وبالأخص فيما يتعلق ببلاد المغرب والأندلس، حيث يمتاز بمادته الغزيرةِ والمتنوعةِ؛ إذ يتناول الأحوالَ السياسيةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ عند حديثه عن المواقع الجغرافية، ما أفاد الدراسة في أكثر من موضعٍ، ويعود السبب في تأليفه تنفيذاً لرغبة ملك صقلية روجر الثاني؛ إذ طلب من الإدريسي القيام بتأليف كتاب يضمُّ جغرافيةَ العالم، ووصْفِ بقاعه، وأقاليمه وبلدانه، وأن يكون مؤلَّفاً من مُشاهدَةٍ مباشرةٍ لا مُستخرَجاً من الكتب، ووظّف لذلك مجموعةً من أذكياء الرجال والرسامين، وجعلهم ينتشرون في مختلف النواحي لجمع المعلوماتِ وتدوينها أولاً بأول، فانتهى الإدريسي منه سنة 548هـ/1154م، ثم أضاف إليه أجزاءً أخرى و سمّاه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، ويُعرف أيضاً "بالكتاب الرُّجاري"[3].

واعتمد الإدريسي في تأليفه على عدة مصادرَ تتمثل بمشاهداته الشخصيةِ من خلال رحلاته، بالإضافة إلى التقارير التي كانت تصله من الوفود التي أرسلها روجر الثاني لجمع المعلومات، فضلاً عن بعض المصادر الجغرافية[4]، واتّبع في تأليف موسوعته الجغرافية المنهج الوصفي[5] ومثال ذلك قوله: "غير أنه يزيد عليها بوصف أحوال البلاد والأرضين في خلقها وبقاعها وأماكنها وصورها وبحارها وجبالها ومسافاتها ومزروعاتها وغلاتها وأجناس بنائها..."[6]، وهذا لا يعني أنّهُ لا يذكر القياسات والمسافات، لكنّ اعتماده الأكبر كان قائماً على

---

[1] حسن، الشريف، ص(79-82).

[2] كحالة، ص654؛ شلح، ص12.

[3] الإدريسي، مقدمة المحقق، ص(5-7)؛ انظر أيضاً: حسن، ص(71-73)؛ شلح، ص(15-17).

[4] حسن، الشريف، ص(117-119)؛ شلح، ص17.

[5] حسن، الشريف، ص125؛ شلح، ص22.

[6] الإدريسي، المقدمة، ص7.

الوصف والتحليل والاستقصاء التام للمعلومات؛ إذ لم يكتفِ بمجرد النقل والأخذ، بل نجده يُعلّقُ، ويحللُ، ويُبدي رأيَه في المعلومات[1].

قسم الإدريسي كتابه إلى مقدمةٍ وسبعةِ أبوابٍ، متّبعاً نظرية بطليموس(ت:150م) في ذلك حيث قسم الكرة الأرضية إلى سبعة أقاليم[2]، فقسم العالم من حيث جهة الطول وجعل كل إقليم مقسماً إلى عشرة أقسامٍ متساويةٍ من الغرب إلى الشرق، وأتى على وضع خريطةٍ لكل قسم من هذه الأقسام السبعين، بالإضافة إلى خريطة عالمية جامعة[3]، وصف الإدريسي هذه الأقاليم، وعرض معالمها الجغرافية، وتحدث عمّا تحتويه من بلاد وأمم وعجائبَ، وتطرق لذكر ممالكها وطرقها، ومسالكها، ومزاياها، ومساحاتِها وأبعادها، والتعريف ببعض مجاري الأنهار والبحار فيها[4].

وأما ما يُؤخذ على الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تقسيم العالم إلى سبعين قسماً، فجعله يتحدث عن الدولة الواحدة في أكثر من قسم[5]، بالإضافة إلى أن المعلوماتِ التي يقدمها عن الأقاليم غيرُ متساويةٍ بالدقة والكمية؛ وقد يعود السبب في ذلك إلى قلة المعلومات في المصادر التي اعتمد عليها، كما نجده لا يلتزم بوحدة المسافة، ومثال ذلك استخدامُه الميل العربي، وأحياناً يذكر الميل الإفرنجي وفي موضعٍ آخرَ يذكر المرحلة التي يختلف قياسها من العرب إلى الإفرنج[6]، ومما يعيب كتابَه أيضاً: التوسع في ذكر بعض الخرافاتِ والأساطيرِ[7].

وقد أفاد هذا الكتاب الفصل الأول من الدراسة بشكلٍ كبيرٍ؛ وذلك لما يحتويه من معلوماتٍ قيّمةٍ ووافيةٍ عن أهم الطرق والمسارات التي تربط مدينة وادي آش مع باقي

---

[1] شلح، ص22.

[2] المرجع نفسه، ص20.

[3] حميدة، ص389.

[4] شلح، ص20.

[5] الإدريسي، المقدمة، ص(3-5)؛ انظر أيضاً: شلح، ص21.

[6] شلح، ص21.

[7] الإدريسي، المقدمة، ص3؛ انظر أيضاً: شلح، ص22؛ حسن، ص137؛ بالنثيا، ص314.

المدن، والتعرف على المدن والقرى المحيطة بوادي آش، وذكر المسافات والأبعاد التي تفصل بينهما.

3. التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار، أبي عبد الله، محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي (ت:658هـ/1260م)

يعود بنسبه إلى قبيلة قضاعة* اليمنية، التي استقر أفرادها المهاجرين شرق الأندلس، أصله من بلدة أندَة التي نزل بها القضاعيون بالأندلس[1]، ولد في مدينة بلنسية* سنة 595هـ/1198م[2]، وبها نشأ نشأةً صالحةً في ظل أسرةٍ عريقةٍ مثقفةٍ ثقافةً عاليةً، فقد كان والدُه من أعيان بلنسية وعلمائها، وفتوفرت له الظروف المناسبةَ للتفوق والنبوغ، ما شجعه على طلب العلم وتحصيل المعارف، فبدأ تحصيله العلمي في سنٍ مبكرةٍ، حيث حفظ القرآن عن والده عبدِ الله بن أبي بكرٍ، وجالس نفراً من العلماء الذين ساهموا في زيادة تحصيله وتنوع المعارف والعلوم لديه، ما أكسبه ثقافةً موسوعيةً عاليةً[3].

رحلاته العلمية: عُرف ابنُ الأبار بكثرة التنقل والترحال، فالتقى بعلماء البلدان المجاورة وأخذ عنهم، وحصّل من العلوم والمعارف رصيداً مميزاً، ما كان ليأتيَ به لولا رحلاته التي استغرقت عدة سنواتٍ[4]، وعاد إلى بلنسية لمّا علم بوفاة والده، وبقي فيها ملازماً للشيخ أبي الربيع سليمان الكلاعي(ت:634هـ/1237م)* حتى أصبح من أقرب تلاميذه إليه، فألحقه كاتباً

---

* قضاعة: قبيلة عربية من القحطانية، أختلف النسابون في نسبها، فمنهم من نسبها إلى حمير، فقالوا: هم بنو قضاعة بن مالك بن عمر بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير، وفريق آخر نسبها إلى معد، فقالوا: أنهم قضاعة بن معد بن عدنان. انظر: القلقشندي، نهاية، ص400.

[1] المراكشي، الذيل، ج4، ص276؛ ابن شاكر الكتبي، مج3، ص404.

* بلنسية: مدينة ساحلية متوسطية في أقصى شرق الأندلس، إلى الشمال من مرسية، وكانت في الأصل تبعد عن البحر ثلاثة أميال، ولها نهر يسقي بساتينها ومزروعاتها. انظر: الحميري، الروض، ص97.

[2] ابن شاكر الكتبي، مج3، ص404.

[3] ابن الأبار، ديوان، مقدمة المحقق، ص(11-12).

[4] ابن الأبار، تحفة، مقدمة المحقق، ص(17-18)؛ طريفة، ابن الابار، ص68.

* ابو الربيع سليمان الكلاعي: سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي، حافظ، ومحدث، وخطيب، ولد في بلنسية سنة 565هـ/1170م، كان إماماً متقدماً في علم الحديث والرواية، بارعاً في الأدب والخطابة والشعر، له كثير من المؤلفات في مختلف الفنون، منها: الإكتفاء في مغازي الرسول(صلى الله عليه وسلم) والثلاثة خلفاء، توفي في موقعة أنيشة بالقرب من بلنسية سنة 634هـ/1237م. انظر: الصفدي، ج15، ص(263-265).

ببلاط حاكم بلنسية أبي عبد الله بن أبي حفص الموحدي(605-609هـ/1209-1213م)، ثم لدى ابنه أبي زيد عبد الرحمن(624-625هـ/1227-1228م)[1].

ولكن إقامته في بلنسية لم تدم طويلاً، فقد عاد للسفر والتجوال من جديدٍ لدواعٍ سياسيةٍ؛ ففي سنة 626هـ/1228م توجّه مع أبي زيدٍ عبد الرحمن إلى مملكة أراغون*، وبالرَّغم من المكانة التي حظي بها ابن الأبار إلى جانب الحاكم الموحدي المخلوع عند الأرغونيين، إلا أنه عاد إلى الأندلس بعد أن تأكد له ارتداد أبي زيد عن الإسلام واعتناقه للمسيحية[2]، فرحل نحو مدينة آش في شوال سنة 626هـ/أغسطس1229م، ثم توجّه منها إلى حاكم شاطبة* أبي الحسين الخزرجي وبقي مدةً من الزمن[3]، ثم عاد إلى بلنسية سنة 633هـ/1235م، معتذراً للحاكم أبي جميلٍ زيان بن مردنيش(582-635هـ/1186-1238م)* الذي أطاح بعرش أبي زيد عبد الرحمن الموحدي، فاستقبله وعيّنه كاتباً له، ومُساعداً على تصريف شؤون الحكم والإدارة[4]، ورحل عن بلنسية لمّا احتلها الإسبان، واستقر في تونس في خدمة أبي زكريا الحفصي(625-647هـ/1228-1249م)[5]، وخلفه ولده ووليَ عهده أبا عبد الله محمدَ المستنصر(647-

---

[1] طريفة، ص(68-69).

* مملكة أراغون: ثاني أكبر مملكة في شبة الجزيرة الأيبيرية، تقع إلى الشرق منها، جنوبي جبال البُرت، تأسست سنة 533هـ/1138م وتضم ثلاثة أقاليم متحدة: أراغون وقطالونيا وبلنسية، أسسها الملك خايمي الأول(*Jaime*)(604-675هـ/1208-1276م)، واستطاع أن يوسع رقعتها بعد تمكنه من القضاء على الوجود الإسلامي في جزر البليار وشرقي الأندلس، مما أكسبه لقب الفاتح. انظر: عنان، دولة، ج3، ص584؛ بريرج، ص(47-48).

[2] سبع، ابن الأبار، ص10؛ طريفة، ص69.

* شاطبة: تقع جنوب شرق الأندلس، قريبة من البحر، بها عدد من القلاع المنيعة، اشتهرت بصناعة ورق الكاغد، ومنها إلى مدينة دانية خمسة وعشرون ميلاً. انظر: الإدريسي، مج2، ص556.

[3] طريفة، ص70.

* زيان بن مدافع بن يوسف بن سعد بن مردنيش الجذامي، يكنى أبا جميل، حاكم دانية وبلنسية، أخرجه الروم من بلنسية سنة636هـ/1239م، فزحف نحو مدينة مرسية وسيطر عليها، وقتل صاحبها ابن خطاب، لكن سرعان ما ثار عليه أهلها وقتلوه ونادوا بأبي زكرياء الأول(625-647هـ/1228-1249م) حاكماً عليهم. انظر: ابن الأبار، الحلة، ج2، ص(127، 262)؛ انظر أيضاً: الزركلي، ج3، ص56.

[4] سبع، ص10.

[5] طريفة، ص(71، 74)؛ سبع، ص11؛ لراوي، ابن الأبار، ص224. أبو زكرياء الحفصي: يحيى بن حفص، ولد في مدينة مراكش سنة 599هـ/1203م، وهو مؤسس الدولة الحفصية وأول ملوكها، بدأ حكمه وعمره سبع وعشرون سنة، إذ بويع له في القيروان، ثم جددت له البيعة في تونس، وتوفي سنة647هـ/1249م. انظر: ابن الشماع، الأدلة، ص(54، 58، 60).

675هـ/1249-1277م)*، الذي أبقى ابن الأبار كاتباً في البلاط الحفصي، إلى أن علم أنّ ابن الأبار يعيب عليه و يهجيه في أبياته، فأمر بقتله سنة 658هـ/1260م[1].

شيوخه: دأب ابنُ الأبار على التردد على مجالس الدرس والرواية، وقـرأ القـراءات، وبرع في البلاغة والنظم والنثر، كما التقى عدداً من العلماء والشيوخ، ومن بينهم محمدٌ بنُ أيوبَ بنُ محمدٍ بنُ وهبٍ بنُ نوحٍ الغافقي(ت:608هـ/1212م) من علماء بلنسية، كان محدّثاً حافظـاً وعالماً بالأنساب والقراءات. والشيخ محمدٌ بنُ محمدٍ بنُ سليمانَ بنُ محمدٍ بـنُ عبـدِ العزيـز الأنصاري النَّحْوي(ت:610هـ/1214م) من أهل بلنسية، قرأ عنه ابن الأبـار قبـل أن يبلـغ الخامسةَ عشرةَ. والشيخ محمدٌ بنُ عبدِ العزيز بنُ سعادة(ت:614هـ/1217م) من أهل شـاطبة ويُكنّى أبا عبد الله، أخذ عنه ابن الأبار لمّا قدم إلى بلنسية، وسمع منه وأجاز له[2]. والشيخ محمدٌ بنُ ابراهيمَ بنُ مسلمٍ البكري(ت:627هـ/1230م) يُكنّى أبا عبد الله، أخذ عنه ابن الأبار العربية والأدب. والشيخ أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي[3].

وفيما يتعلق بتلاميـذه: فقد أخذ عنه كثيرون من مختلف العلوم والفنون، وقصد مجالسه كثيرٌ من أبناء الأندلس والمغرب، ومن أشهر تلاميذه: أبو اسحاقَ ابراهيمُ بنُ محمدٍ بـنُ أبـي القاسم التيجاني(ت:660هـ/1262م) وهو من أوفى تلامذته، كانت أسرته ذاتَ مكانةٍ عاليةٍ في الإدارة والعلم في تونس الحفصية. وأبو الحسن عيسى بنُ لبٍ بنُ ديسم(ت:686هـ/1287م) كان زوجاً لإحدى بناته، وممن شاركه في الأخذ عن أبي الربيع سلميان الكلاعي. وأبو عبد الله

* محمد المستنصر: محمد المنتصر ابن أبي زكرياء بن عبد الله أبي محمد عبد الواحد، يكنى أبـا عبـد الله، ولـد سـنة 625هـ/1228م، أحد السلاطين الحفصيين، تولى الحكم بعد وفاة والده، ويعتبر عهده من العصور الذهبية فـي الدولـة الحفصية، توفي بعد مرض ألمَّ به سنة 675هـ/1277م. انظر: ابن الشماع، ص(62-63، 73).

[1] طريفة، ص(74، 85)؛ شيخة، ابن الأبار، ص(111-113).

[2] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص(101، 108-109).

[3] طريفة، ص(64-65).

محمدٌ ابنُ صالحٍ بنُ أحمدَ الكناني الشاطبي(ت699هـ/1300م) الذين قاموا بنشاط علميٍّ واسعٍ في مدينة بجاية[1].

وألّف ابن الأبار عدداً كبيراً من المؤلفات في التاريخ والأدب واللغة، منها: "إعتاب الكتاب"؛ وهو رسالةُ استعطافٍ أرسلها ابنُ الأبار إلى السلطان أبي زكريا الحفصي بعد عزله من البلاط الحفصي[2]، وكتاب "دررُ السمط في أخبار السبط"؛ الذي يتطرق فيه إلى سيرة وأخبار الحسين ابن علي، وأظهر فيه مدى تمسكه بأهل البيت، مما أدى إلى اتهامه بالتشيع[3]، وكتاب "الحُلَةُ السيراء في شعر الأمراء"؛ وهو كتاب في الأدب والتاريخ والسير، ألّفه ابن الأبار أثناء عمله في البلاط الحفصي تقديراً منه لشاعرية السلطان أبي زكريا وولي عهده[4]. وكتاب "تحفةُ القادم"؛ وهو كتاب في تراجم الشعراء[5].

ولعل من أبرز مؤلفاته كتاب "التكملة لكتاب الصلة"؛ فهو من المصادر المهمة التي اعتمدت عليها الدراسة، إذ يُعدّ من أهم كتب السير والتراجم، ومن أكبر المؤلفات الأندلسية، بدأ بكتابته في شهر محرم سنة 631هـ/1233م[6]، وفرغ منه سنة 651هـ/1253م[7]، ويبيّن ابن الأبار دوافعه من تأليف كتابه؛ وذلك بسبب ما آلت إليه الأندلسُ من ضعف ودمار، فأراد أن يدّون مختلفَ مجالاتِ العلم والتأليف، وأن ينقل أخبار أهلها الأندلسِ، وبخاصة بعد سقوط مدينتي

---

[1] طريفة، ص(87-88). بجاية: قاعدة الغرب الأوسط، تقع على ساحل البحر، بين المغربين الأدنى والأوسط، أختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن بلكين(454-481هـ/1062-1088م) حوالي سنة 457هـ/1065م، بها دار لإنشاء الأساطيل، وتكثر فيها المزروعات مثل الحنطة والشعير، والتين وغيره من الفواكه. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج1، ص339؛ الحميري، الروض، ص(80-81).

[2] بالنثيا، ص278؛ طريفة، ص93؛ جرار، ابن الأبار، ص188.

[3] طريفة، ص94؛ لراوي، ص231.

[4] بالنثيا، ص(278-279)؛ طريفة، ص96.

[5] ابن الأبار، تحفة، مقدمة المحقق؛ ديوان، مقدمة المحقق، ص16؛ طريفة، ص97؛ جرار، ص(193-194).

[6] سبع، ص17؛ طريفة، ص(92-93).

[7] لراوي، ص277؛ طريفة، ص93.

سرقسطة[1] وإشبيلية*. كما أن ابن الأبار تميز بغزارة علمه وسِعةِ ثقافته واطّلاعه على مختلف كتب التراجم[2]، الأمر الذي جعله يُكمل ما بدأ به ابن بشكوال(ت:578هـ/1183م)، وعلى ما يبدو أن هذا الدافع لا يتعلق بابن الأبار وحده، بل يشترك مع ابن بشكوال فيه، إذ صرّح عن رغبته عن اتصال المصنفات في ترجمة العلماء دون إنقطاع[3]، والدافعُ الأساسيُّ والأهمُّ هو شيخه سليمانُ الكلاعي الذي أشار عليه بتأليف كتاب التكملة لكتاب الصلة[4].

اعتمد ابن الأبار في تأليف كتابه على مشاهداته الشخصية ووثائقَ ومصادرَ لكبار المؤرخين والعلماء، ومنهم: كتاب التاريخ، وكتاب طبقات الفقهاء والتابعين لعبد الملك بن حبيب(ت:238هـ/853م)[5]، وكتاب طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل(ت:337هـ/987م)[6]، كما اطلع على كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي(ت:403هـ/1012م)[7]، وكتاب قرائض الذهب لأبي الحسن عليٍّ الحسنِ بنِ رشيق(ت:456هـ/1064م)، والمقتبس لابن حيان، وعلى كثيرٍ غيرها[8].

وأما عن منهج ابن الأبار في كتابه، فقد اعتمد في ترتيب عرض أسماء العلماء المترجم لهم، على مبدأ الحروف الهجائية، وفي الحرف الواحد يبدأ بذكر علماء الأندلس، ثم يذكر العلماءَ الوافدين إلى الأندلس، ثم يتبع ذلك بذكر أصحاب الكُنى، الذين تبدأ أسماؤهم بالحرف نفسه بعد

---

(1) جرار، ص(169-170)؛ سبع، ص18. سرقسطة: مدينة على الضِفّة اليمنى لنهر إيبرو في شمال شرق الأندلس، تعرف بالمدينة البيضاء، وتتصل أعمالها بأعمال تُطيلة. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج3، ص212؛ الحميري، الروض، ص317.

* إشبيلية: مدينة من مدن الأندلس، وهي قاعدة بني عَبّاد، وأعمالها متصلة بأعمال لبلة، تقع غربي قرطبة، على بُعد ثلاثين فرسخاً، اشتهرت بزراعة القطن وتصديره إلى مختلف مدن المغرب والأندلس. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج1، ص195.

(2) سبع، ص19.

(3) لراوي، ص227.

(4) سبع، ص19؛ جرار، ص169.

(5) سبع، ص(24-31).

(6) ابن الأبار، التكملة، ج1، ص294؛ انظر أيضاً: سبع، ص31.

(7) ابن الفرضي، تاريخ، مج1، مقدمة المحقق، ص17؛ سبع، ص31.

(8) سبع، ص32.

أبو أو ابن، وتشتمل الترجمة الواحدة على اسم العالم، ونسبه، وكنيته، وأصله، ومكان ولادتـــه، كما يذكر شيوخه وتلاميذه، بالإضافة إلى سنة الميلاد والوفاة[1].

ولعل المطلع على تلك الترجماتِ يلاحظ أنّ ابن الأبار وقع في خطأ ترتيب الترجمـــاتِ حسب الأسبق في الوجود، معتمداً في ذلك على سَنة الوفاة التي قد تكون غير معروفة في بعض الأحيان، فيقع الاضطراب، كما اعتمد في تحديد زمن رواية الراوي عن شيوخه بوفاة مَنْ قبلـــه ومَنْ بعده ويجعله بينهما، مما يوقعه في خطأ تحديد سن الراوي، ومن المآخذ عليه أيضاً: عـــدم تأخير ترجمة الغرباء إلى آخر الكتاب، ووقوعه في خطأ التكرار لبعض الترجمات، وقلب النسب فيها[2].

وقد أفاد هذا الكتاب الدارسة في عدد لا يستهان به من الترجمات، اذ يلقي ضوءاً كافيـــاً على حياة شخصيات علمية جليلة، وأحاط بكل شخصية من الشخصيات إحاطة كاملة، كان لهـــا دورٌ بارزٌ في الحركة الفكرية في الأندلس بوجه عام، ووادي آش على وجه الخصوص، وقـــد غذت هذه المعلوماتُ البحثَ في الفصل الرابع والأخير.

4. الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين ابن الخطيب، أبي عبـــد الله، محمـــدٍ بـــن عبـــد الله(ت:776هـ/1374م)

محمد بنُ عبد الله بنُ سعيد بنُ علي بنُ أحمدَ السّلماني، أصله من قرطبة، ويُنسب لعرب اليمن القحطانيين، ولد في مدينة لوشة[3] في الخامس والعشرين من رجب ســـنة 713هـــــ/16 تشرين الثاني سنة 1313م[4]، يلقب بلسان الدين[5]. أسند إليه الســـلطان الغنـــي بـــالله محمـــد

[1] لراوي، ص229.

[2] جرار، ص(172-173).

[3] المقَّري، نفح، ج5، ص(9- 11)؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج8، ص422. انظر أيضاً: ابن الخطيب، الإحاطـــة، ج1، مقدمة المحقق، ص18. لوشة: مدينة أندلسية من إقليم إلبيرة، وتقع غربي إلبيرة على نهر شِنِيل، بينها وبين غرناطة عشرة فراسخ، وتبعد عن قرطبة عشرين فرسخاً. انظر: الحموي، معجم البلدان، مـــج5، ص26؛ الحميـــري، الـــروض، ص513.

[4] المقَّري، نفح، ج5، ص75؛ البغدادي، هدية، ج2، ص167؛ انظر أيضاً: بالنثيا، ص252.

[5] المقَّري، نفح، ج5، ص7؛ ابن عماد الحنبلي، ج8، ص422.

الخامس(755-760هـ/1345-1359م، 763-793هـ/1361-1393م)[1] الكتابةَ والـوزارةَ وأسبغ عليه لقب ذي الوزارتين[2]، ولُقّب أيضاً بذي العمرين؛ لاشتغاله بتدبير الحكم في النهار، والتأليف في الليل[3].

نشأ لسان الدين بنُ الخطيب في أسرة عُرفت بمكانتها العلمية، فكان جده الثالث يجلس للعلم والوعظ، فعرف بالخطيب، ثم لحق اللقب بالأسرة منذ إقامتها في لوشة. تلقى تعليمه في غرناطة على يد شيوخها، فأخذ عنهم الفقه والقرآن والتفسير وغيرها من العلوم[4]. عمل والده في خدمة السلطان أبي الحجاجِ يوسفَ (734-755هـ/1333-1354م)*، ولما قُتل والده سنة 741هـ/1341م حلّ مكانه، وعمل مع الوزير أبي الحسن علـي بـنِ محمـد بـنِ الجيـاب الأنصاري(ت:749هـ/1348م)*، وعندما توفي الأخير بالطاعون سنة 749هـ/1348م، تولى ابنُ الخطيب مكانه منصب الوزارة[5].

وحظي ابن الخطيب بفضل مهارته وذكائه بمنزلة كبيرة لدى السلطان أبي الحجاج يوسف، فسمح له التصرف في شؤون الدولة، والإنابة عنه في إدارة الحكم[6]، ولما توفي

---

[1] محمد بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل، تولى الحكم بعد مقتل والده أبي الحجاج يوسف بن اسماعيل(ت:733-755هـ/1333-1354م)، حكم مملكة غرناطة فترتين بين سنة(755-760هـ/1345-1359م) و(763-793هـ/1361-1393م)، امتاز عهده بتوطد الملك واستقرار الأمور. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص(13-30).

[2] المقَّري، نفح، ج5، ص80؛ ابن عماد الحنبلي، ج8، ص424؛ انظر أيضاً: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، مقدمة المحقق، ص22؛ الزركلي، ج6، ص235.

[3] المقَّري، نفح، ج5، ص80؛ ابن عماد الحنبلي، ج8، ص424؛ انظر أيضاً: الزركلي، ج6، ص235.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص(439-440)؛ انظر أيضاً: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، مقدمة المحقق، ص(20-21).

* أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل بن فرج: تولى حكم مملكة غرناطة سنة 734هـ/1334م، وأنشأ أول مدرسة فيها، وفي عهده هُزم المغاربة والغرناطيون في موقعة طريف البحرية سنة 741هـ/1340م، وتوفي قتيلاً سنة 755هـ/1354م. ابن الخطيب، اللمحة، ص(90، 96-97)؛ الإحاطة، ج4، ص(64-65).

* أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن علي بن الجياب الأنصاري، ولد سنة 673هـ/1274م، اشتهر بابن الجيّاب، شاعر، وأديب، ووزير أندلسي، ولد في مدينة غرناطة ونشأ بها، ويعد أحد شيوخ ابن الخطيب الذين أثروا فيه تأثيراً واضحاً. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص(125-126)؛ التنبكي، نيل، ص(327-328).

[5] بالنثيا، ص252.

[6] المقَّري، نفح، ج5، ص76؛ انظر أيضاً: بالنثيا، ص(252-253).

السلطان سنة 755هـ/1354م خلفه على الحكم الغني بالله، واستمر لسان الدين بن الخطيب وزيراً، وكان من معاوني الحاجب رضوان(ت:760هـ/1359م)[1]، ثم وقعت الفتنة في غرناطة سنة 760هـ/1359م على يد إسماعيل الثاني(760-761هـ/1359-1360م)* حيث عُزل الغني بالله عن عرشه على أثرها، وقُتل الحاجب رضوان، فتوجه السلطان ووزيره ابن الخطيب إلى المغرب الأقصى، وبعد سنين استعاد الغني بالله عرشه، وأعادَ ابن الخطيب إلى منصبه[2].

ولما وصل ابن الخطيب إلى هذه المكانة الكبيرة، أخذ منافسوه يدبرون له المكائد عند السلطان الغني بالله، وعندما شعر بذلك تواصل مع السلطان المريني أبي فارس بن عبد العزيز(767-774هـ/1366-1372م)*، وطلب منه الحماية، فوعده بها، فعبر إلى سبتة في سنة 773هـ/1371م، إلا أن منافسيه ظلوا يسعون للتخلص منه، فوجهوا إليه تهمة الإلحاد والزندقة، فصدرت فتوى بإحراق كتبه، وأُحرقت في ساحة غرناطة، وأرسل السلطان الغني بالله للسلطان المريني من أجل تسليمه حتى ينال عقابه، فرفض، ولما توفي الأخير سنة 774هـ/1372م فقد ابن الخطيب مَنْ كان يحميه من أعدائه، وفي سنة 776هـ/1374م تمكن السلطان الغني بالله من إقناع الأمير أبي العباس أحمدَ بنِ أبي سالم(776-786هـ/1374-

[1] بالنثيا، ص253. أبو النعيم رضوان بن عبد الله المصري: يعود أصله إلى القلصادة في شمال الأندلس، استقدمه أبو عبد الله محمد الرابع من منفاه في بلاد المغرب بعد مقتل المحروق سنة 729هـ/1328م، وولاه وزارته وحجابته. ووصف بالحاجب المعظم و"حسنة الدولة النصرية وفخر مواليها"، ومن مآثره العمرانية بناؤه المدرسة اليوسفية بغرناطة، وسور البيازين، والعديد من الأبراج، وتولى الوزارة لأبي الحجاج يوسف الأول وابنه الغني بالله محمد الخامس، إلى أن قتل سنة 760هـ/1359م خلال الأنقلاب الذي تعرض له الأخير. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(506، 509، 512، 537).

* أبو الوليد إسماعيل الثاني بن يوسف بن إسماعيل بن فرج، ولد سنة 740هـ/1339م، وقام بالسطو على حكم أخيه الغني بالله محمد الخامس، وتولى الحكم في 28رمضان760هـ/22آب1359م، وبقي حتى وفاته في 27شعبان761هـ/12تموز1360م. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(398-404).

[2] ابن الخطيب، اللمحة، ص(108-109، 113-114)؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص(405-406، 496-497)؛ انظر أيضاً: بالنثيا، ص(253-254).

* عبد العزيز بن أحمد بن إبراهيم بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، يكنى أبا فارس ويلقب بالمستنصر بالله، ولد سنة 749هـ/1349م، أحمد ملوك الدولة المرينية في المغرب، لعب دوراً كبيراً في إحياء الدولة المرينية بعد تلاشيها. انظر: ابن القاضي المكناسي، جذوة، ص450.

1384)(789-796هـ/1387- 1393م)* بتسليمه، فتم إلقاء القبض عليه وسجنه، ثم أمر بقتله، فقُتِل في محرم سنة 776هـ/حزيران1374م[1].

شيوخه: لقي ابنُ الخطيب شيوخاً كثيرين، وأهمهم: الشيخ الخطيب أبو الحسن القيجاطي(ت:730هـ/1330م)، وهو أول من انتفع به، فأخذ عنه القرآن والفقه والتفسير واللغة العربية. والشيخ أبو القاسم أحمدُ بنُ محمدٍ بنُ عبدِ الله بنُ يحيى جُزي(ت:741هـ/1341م)[2] من أهل غرناطة وعلمائها في الفقه، والأدب والحديث[3]. وقاضي الجماعة محمدٌ بنُ يحيى بنُ محمدٍ بنُ أحمدَ بنُ بكرٍ بنُ سعيدٍ الأشعري(ت:741هـ/1341م) الذي يُعرف بابن بكر. كما تأدب على يد الشيخ أبي الحسن عليٍّ بنِ محمدٍ بنِ سليمانَ بنِ الجياب. ومن شيوخه أيضاً: الإمام شمسُ الدين، أبو عبدِ الله محمدٌ ابنُ جابرٍ الوادي آشي(ت:749هـ/1348م)، وكان شيخاً مقرئاً، عالماً بالحديث والنحو والشعر واللغة. والشيخ الإمام أبو عبد الله محمدٌ بنُ عليٍّ الفخّار البيري (ت:754هـ/1353م)، الذي لازمه وأخذ عنه قراءة العربية والفقه والتفسير[4].

وفيما يتعلق بتلاميذه، فقد درس على يديه عدد كبير من العلماء، إلا أنه لم يُرزق الخيرَ على يد كثيرٍ منهم، حيث أظهروا له العداوة، وبذلوا قصارى جهدهم في إيذائه، نذكر منهم: الوزير الكاتب ابو عبد الله ابن زمرك(ت:795هـ/1393م) الذي ورث مرتبته من بعده، وقد اشتهر بعلمه في اللغة والأدب والتفسير، واجتهاده في التصوف والرحلات. والطبيب العالم ابنُ المهنا الذي أخذ الكثير عن ابن الخطيب، واعتمد عليه في أمور الطب. ومن تلامذته أيضاً:

---

* أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن، يكنى بأبي العباس، وهو أحد سلاطين بني مرين في المغرب، يعرف بذي الدولتين لأنه تولى الحكم مرتين، كانت فترة حكمه الأولى عشرة سنوات وشهرين(776-786هـ/1374-1384م) والثانية سبع سنين(789-796هـ/1387-1393م) وتميزت فترة حكمه الأخيرة بالهدوء والاستقرار. أنظر: ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص(450-476)؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج4، ص146.

[1] ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص(444-453)؛ المقَّري، نفح، ج5، ص(102-103، 105-106، 110-111)؛ الناصري، الاستقصا، ج4، ص(63-64)؛ انظر أيضاً: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، مقدمة المحقق، ص(42-43)؛ الزركلي، ج6، ص235؛ بالنثيا، ص(25-257).

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص458؛ انظر أيضاً: الخطيب، لسان، ص(76-79).

[3] المقَّري، نفح، ج5، ص514؛ انظر أيضاً: الخطيب، ص(76-79).

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص(457-458)؛ انظر أيضاً: الخطيب، ص(76-79).

الأديب الكاتب القاضي أبو بكر ابنُ جُزَيّ الكلبي، الذي روى عن ابن الخطيب جميـــع تآليفـــه. والمؤدب أبو عبد الله الشريشي، مؤدب أولاد الملوك ومعلّمهم القرآن والسنة، وثق ابن الخطيب به، واعتمد عليه في نقل الإحاطة من مبيضتها، لانشغاله بالأمور السياسية. والقاضي الكاتب أبو محمد عطيه بنُ يحيى ابنُ عبدِ الله المحاربي، الذي ولد في مدينـــة وادي آش ســـنة 709هـــــ/1310م، وتولى فيها الخطابة والإمامة سنة 738هــ/1338م، ثم تولى أمر القضاء بها وبأعمالها سنة 743هــ/1343م. بالإضافة إلى الكاتب أحمدَ بنِ ســـليمانَ بـــنِ فركـــون (ت:820هـــــ/1417م)[1].

لقد ترك ابنُ الخطيب أثراً واضحاً على الساحة العلمية، وتنوعـــت آثـــاره بـــين الأدب والتاريخ والسياسة والطب والشعر وغيرها، ومؤلفاته تزيد عن الستين، إذ لم يصل إلينا معظمها بسبب محنة إحراق كتبه، وأغلبها في الطب والتصوف الموسيقى، وعلى ما يبدو أنّ ما كان من كتبه وصلنا عن طريق المغرب[2]، ومن مؤلفاته: "التّاجُ المُحلَّى في مساجلة القدحِ المُعلّى"؛ وهو عبارة عن تراجمٍ لأعلام الأندلسِ في القرن الثامن الهجري، كما تحدث عن دولة بني الأحمر منذ نشأتها حتى عصر المؤلف[3]، وكتاب "روضة التعريف بالحب الشريف"، وهو من الكتب التـــي تضمنت الحديث عن التصوف، وعلى أثره اتُّهم ابن الخطيب بالإلحاد والزندقة[4].

ومن مؤلفاته أيضاً: "كُناسةُ الدكان بعد انتقال السكان"؛ يحوي مجموعة رسائل ســلطانية من السلطان أبي الحجاج يوسف إلى السلطان أبي عنـــان المرينـــي(749-759هـــــ/1348-1358م)*، يظهر من خلالها العلاقات السياسية بين مملكةِ غرناطة والمغرب[5]، وكتاب "اللمحة

---

[1] المقَّري، نفح، ج7، ص(145-146، 281-287،285).

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، مقدمة المحقق، ص53؛ بوفلاقة، التاريخي، ص28.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، مقدمة المحقق، ص54؛ بوفلاقة، ص29.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، مقدمة المحقق، ص62؛ بوفلاقة، ص29.

* أبو عنان، فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني: ولد في مدينة فاس المغربية سنة 729هــ/1329م، من ملـــوك الدولة المرينية بالمغرب، ولاه أبوه على ولاية تلمسان، ثم ثـــار علـــى والـــده وتـــولى عـــرش الدولـــة المرينيـــة ســـنة 749هــ/1348م، وتمكن من توسيع نفوذه في المغربين الأدنى والأوسط، وتوفي سنة 759هـــــ/1358م. انظـــر: ابـــن خلدون، تاريخ، ج7، ص(381، 388-389، 390، 396)؛ الزركلي، ج5، ص127.

[5] بوفلاقة، ص(30-31).

البدرية في الدولة النصرية"؛ الذي يلقي فيه الضوء على دولة بني الأحمر. "ورقْم الحُلل في نظْم الدول"؛ وهو عبارة عن مجموعة من القصائد الشعرية. "ومعيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار"؛ وهو كتابٌ وصف فيه المدن الأندلسية والمغربية، جغرافياً وتاريخياً واجتماعياً، كما عاصرها وشاهدها في منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ومن تصانيفه أيضاً: كتاب "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، وما يجرُّ ذلك من شجون الكلام"[1].

ويُعَدُّ كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" من أبرز مؤلفاته؛ وهو عبارة عن موسوعةٍ تاريخيةٍ وجغرافيةٍ وأدبيةٍ شاملةٍ لكل ما يتعلق بمدينة غرناطةَ من أخبارٍ وأوصافٍ ومعالمَ تاريخيةٍ، ويُسلّط الأضواء على الطبيعة والأرض، وخططها، ومواقعها، ومساحتها، وما يحيط بها، من المروج والجبال والجنان والأنهار، ثم يرصد تاريخها مذ نزل بها العرب الأوائلُ، ويصفه وصفاً دقيقاً شاملاً، كما يتحدث فيه عن تاريخ الدولة النّصرية منذ تأسيسها حتى عصره، كما يحوي ترجماتٍ وافيةٍ للأعلام القدامى، والمعاصرين له، الذين عاشوا في غرناطةَ، أو نزلوا بها، أو وفدوا إليها في مختلف عصور التاريخ الأندلسي، من ملوكٍ وأمراءَ وأعيانٍ ووزراءَ وقضاةٍ وعلماءَ وزهّادٍ ومتصوفين وشعراءَ وأدباءَ. وبدأ ابن الخطيب بكتابة هذا المؤلَّف عند نفيه إلى المغرب سنة 761هـ/1360م، ثم عاد واستأنف الكتابة فيه عَقِب عودته إلى الأندلس سنة 763هـ/1362م، وانتهى منه في أوائل سنة 772هـ/1371م، وقد ذكر ابنُ الخطيب أنه حذا في تأليفه حذو علماءَ سابقين، ألّفوا عن المدن التي أحبوا، فدفعه حبُّه لغرناطةَ للتفكير في كتابة هذا الكتاب[2].

واعتمد ابنُ الخطيب في تأليفه لكتاب الإحاطة على عدد كبير من المصادر، ومن أهمها: كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لأبي بكر بن القوطية(ت:367هـ/977م)، والمقتبس من أنباء أهل الأندلس لابن حيان القرطبي(ت:469هـ/1076م)، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام

---

[1] بوفلاقة، ص(31-34).

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، مقدمة المحقق، ص(3-7).

الشنتريني(ت:542هـ/1147م)، والبيان المغرب لابن عذارى المراكشي(ت:695هـ/1295م)، وقلائدَ العقيان للفتح بن خاقان(ت:529هـ/1135م)، كما استعان أيضاً بمعاصريه من شيوخٍ وتلاميذَ وأصدقاءَ، وعوّل ابنُ الخطيب فيما يتعلق بسلاطين الدولة النّصرية، ووزرائها، على الوثائقِ والمخطوطاتِ السلطانية والديوانية[1].

وأما عن منهج ابن الخطيب في كتابه الإحاطة، فقد قسم الكتاب إلى قسمين؛ تحدث في القسم الأول عن غرناطة، ويضم: اسمها، وتاريخها، وجغرافيتها، ومعالمها، ثم يتناول تاريخها منذ قدوم العرب الأوائل إليها، ثم يقدّم خلاصةً لتاريخ الدولةِ النّصريةِ منذ عهد محمدٍ بنِ يوسفَ الأولِ حتى عصر المؤلف، أما القسم الثاني فتحدث فيه عن كل من نزل غرناطةَ من زائرٍ أو قاطنٍ ومتحركٍ وساكنٍ، وفيه تراجم الأدباءِ والشعراءِ، والعلماءِ، والقواد، والوزراءِ وغيرهم وهو لبُّ الكتاب، وكان حريصاً على الترتيب الأبجدي للتراجم، مستفيداً من الطرائق التي استخدمها المؤرخون من قبله[2]، كما أنه ابتعد عن الالتزام بمنهجية واحدة لكل الترجمات، فنلاحظ التنوع في رصده للشخصيات التي يترجم لها، "وقد قسمه إلى أقسام: قسم للملوك، والأمراء، وقسم للعمال، وثالث لذوي النّباهة كالقضاة، والمتحققين بعلوم القرآن، والمحدّثين، والفقهاء، ومن إليهم" [3].

وفيما يتعلق بالقاعدة العامة التي اعتمد عليها ابن الخطيب في ترجمته الأدبية والتاريخية للشخصيات، فنلاحظ أنه يبدأ بذكر اسمه وكنيته ونسبه وثقافته ونباهته ومشيخته، ودخوله إلى غرناطة في حالة لم يكن من ساكنيها، وشعره، تصانيفه، محنته، مولده، ووفاته[4]، ومن المآخذ على ابن الخطيب أنه ينقل في بعض كتبه من آخرين، فنلاحظ تكرار بعض المعلومات في أكثر من موطن من كتبه، وعدم التزامه بالترتيب التاريخي في ذكر الأحداث وترجمة الأشخاص، وقد

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، مقدمة المحقق، ص(4-5).

[2] المرجع نفسه، ص(3-4)؛ بوفلاقة، ص54، ص(58-59).

[3] بوفلاقة، ص55.

[4] المرجع نفسه، ص55.

أسهب في كل ما أورده عن رجال بني نصر، بينما نلاحظ ايجازه حول كثير من الشخصـيات الملوكية والخلافية الأندلسية[1].

ويعد كتاب الإحاطة من المصادر الهامة التي لا غنى عنها في دراسة التاريخ الأندلسي، لا سيما وأن صاحبه كان له دورٌ كبيرٌ في الحياة السياسية والثقافية لدولة بنـي الأحمـر، وقـد استفادت الدراسة من هذا الكتاب، إذ أمدّتها بمعلومات جغرافية مهمة حول حصون مدينـة وادي آش وقراها، وحول عناصر المجتمع الأندلسي في بدايات الفتح الإسلامي، كما وأفادت الدراسـة بتفاصيل حول مقتل الخليفة الأموي عبد الـرحمن المرتضـي بـالله(408-409هـ/1017-1018م)* سنة 409هـ/1018م بالقرب من مدينة وادي آش، وكذلك تحدث عن استقرار زاوي بن زيري بمدينة غرناطة واتخاذها قاعدة له سنة 403هـ/1012م، يضاف إلى ذلك مـا أورده من معلومات عن دخول المرابطين إلى غرناطة، علاوة ما تضمنه من أخبـار عـن حمـلات الإسبان على مدينة وادي آش سنة 519هـ/1125م، وسنة 626هـ/1229م، بالإضـافة إلـى معلومات حول التأسيس الفعلي لدولة بني الأحمر سنة 635هـ/1238م، وحُكم بني أشـقيلولة* لمدينة وادي آش حتى خروجهم منها سنة 689هـ/1290م، إلى جانب حديثه عن عزل السلطان محمد الثالث(701-708هـ/1302-1308م)* عن الحكم سنة 708هـ/1308م، وثورة أبي عبد

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، مقدمة المحقق، ص(4-7).

* عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، الملقب بالمرتضي بالله، وهو خليفة أمـوي، ظهـر فـي الأندلس سنة 407هـ/1016م، وتولى الخلافة في قرطبة لمدة سنة واحدة، وسانده بـالظهور خيـران العـامري(402-419هـ/1011-1028م) الذي ما لبث أن انقلب عليه وساهم في قتله بالقرب من مدينة وادي آش سنة 409هـ/1018م. انظر: ابن عذارى، ج3، ص(121-126)؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج1، ص(660-661).

* بنو أشقيلولة: يعود أصلهم إلى بلدة أرجونه، وكان بينهم وبين الملك محمد بن يوسف بن الأحمر صلة مصاهرة، فساعدوه في تأسيس ملكه، فقربهم إليه وأسند إليهم وظائف عليا، وولاهم بعض الأقاليم. انظر: ابن أبي زرع، الأنـيس، ص(328-329)؛ أنظر ايضاً: العبادي، دراسات، ص(402-403)؛ الطيف، جاسم؛ جميل، قتيبة، بني أشقيلولة، ص270.

* أبو عبد الله محمد بن محمد الفقيه: تولى الحكم سنة 701هـ/1302م، كان أديباً وشاعراً. قام بتجديد بناء المسجد الأعظم بغرناطة، وأولى الجانب القضائي اهتمامه، وله العديد من المآثر الجهادية، إلا أنه واجه العديد من الثورات الداخلية، التـي كان آخرها على يد أخيه أبي الجيـوش نصـر(708-713هـ/1308-1313م)، الـذي خلعـه عـن الحكـم سـنة 708هـ/1308م. انظر: ابن الخطيب، اللمحة، ص(47-56).

الله الصغير(887-898هـ/1482-1492م)* على والده السلطان أبي الحسن(868-887هـ/1464-1482م)* وما تبعها من أحداث حتى سقوط مدينة وادي آش سنة 895هـ/1489م، وأورد تراجم لشخصيات سياسية وعلمية وأدبية خدمت البحث في أكثر من موضع.

5. نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، وذكْر وزيرها لسان الدين بنِ الخطيب، للمقَّري، أبي العباس، أحمد بن محمد بن يحيى(ت:1041هـ/1632م)

أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد المقَّري[1]، يكنى أبا العباس، ويُلقب بشهاب الدين[2]، يُنسب إلى مقّرة* موطن أسرته الأصلي[3]، التي تعود أصولها إلى قبيلة قريش[4]، ولد في مدينة تلمسان سنة 986هـ/1578م[5]، إذ ارتحل إليها جدّهُ عبد الرحمن المقَّري في القرن السادس الهجري واستقر فيها وأنجب ذريته هناك، وعملوا فيها بالتجارة وحفر الآبار وتأمين التجار[6].

رحلاته وحياته العلمية: نشأ المقَّري في مدينة تلمسان، وتلقى فيها دراسته الأولى على يد كثيرٍ من العلماء والفقهاء والأدباء، ومن أهم شيوخه، عمهُ أبو عثمانَ سعيدٌ بنُ أحمدَ المقَّري

* أبو عبد الله الصغير: هو محمد بن علي بن سعد بن علي، من بني نصر، يلقب بالغالب بالله، تولى الحكم بين سنتي(887-888هـ/1482-1483م) وسنتي(891-897هـ/1486-1492م)، آخر ملوك المسلمين في الأندلس حيث سلم غرناطة للملك فرناندو الخامس والملكة ايزابيل سنة 897هـ/1492م. انظر: المقرَّي، نفح، ج4، ص(512-517، 522، 527-528).

* أبو الحسن علي بن سعد بن اسماعيل النصري، عرف باسم "مولاي أبو الحسن"، حكم مملكة غرناطة من سنة 868هـ/1464م إلى سنة 887هـ/1482م، وعاد وحكمها مرة أخرى ما بين سنة 888هـ/1483م حتى سنة 890هـ/1485م. امتنع خلال فترة حكمه عن دفع الجزية للقشتاليين، وكانت هذه الشرارة لبدء الحرب بينهما. انظر: المقرَّي، نفح، ج4، ص(511-515)؛ انظر أيضاً: فرحات، غرناطة، ص(47-48).

[1] المحبي، خلاصة، مج1، ص302؛ انظر أيضاً: حسن، المقَّري، ص12.

[2] الكتاني، فهرس، ص574؛ نويهض، معجم، ص310؛ عنان، تراجم، ص374؛ حسن، المقَّري، ص12.

* مقرة: واحدة من مدن تلمسان بالمغرب الأوسط، قريبة من قلعة بني حماد. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص173.

[3] المقَّري، رحلة، مقدمة المحقق، ص5؛ عنان، تراجم، ص274؛ حسن، المقَّري، ص21.

[4] التنبكتي، ص420؛ انظر أيضاً: المقَّري، رحلة، مقدمة المحقق، ص5؛ حسن، المقَّري، ص14.

[5] المقَّري، رحلة، مقدمة المحقق، ص(5-6)؛ عنان، تراجم، ص374؛ نويهض، معجم أعلام، ص310؛ حسن، المقَّري، ص21.

[6] المقَّري، رحلة، مقدمة المحقق، ص5.

(ت:1025هـ/1616م) الذي زيَّن له فكرة الرحيل إلى مدينة فاس ليكمل فيها تعليمه الذي كان قد ابتدأه في بلده، فانتقل إليها سنة 1009هـ/1609م[1]، لكنه لم يمكث بها طويلاً، إذ عاد منها إلى تلمسان، ثم توجه إلى مراكش* سنة 1010هـ/1610م[2]، وتواصل هناك مع السلطان المنصور أحمد الذهبي (986-1012هـ/1578-1603م)[3]، وبقي فيها عدةَ شهورٍ، سمع فيها سلسلة من الشيوخ، ثم عاد إلى تلمسان لينتقل منها إلى فاس سنة 1013هـ/1614م، التي بقي فيها أربعةَ عشرَ سنة جالس فيها أفاضلَ العلماءِ والأدباءِ، وسنحت له فرصة الاستفادة من المكتبة السلطانية، واتصل بالأشراف السعديين، وولي أمر الإمامة والخطابة لجامع القرويين بفاس، وتولى أيضاً أمر الإفتاء فيها، واستمر في ذلك حتى سنة 1027هـ/1618م[4].

وفي أواخر سنة 1027هـ/1617م اضطر المقَّري لمغادرة المغرب، فتوجّه إلى المشرق تاركاً منصبَه ووطنَه وأهلَه قاصداً مصر سنة 1028هـ/1618م، وأقام بها مدة قصيرة، ثم انتقل منها إلى مكة المكرمة، وبعد أداء فريضة الحج توجّه إلى زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، وألقى فيها دروساً في الفقه والسيرة والحديث[5]، وفي سنة 1029هـ/1620م زار المقَّري المسجد الأقصى، ثم عاد إلى مصر ومنها كرر رحلاته إلى مكة المكرمة، وأعطى فيها دروساً عديدة، وفي أوائل رجب من سنة 1037هـ/1628م عاد المقَّري

---

[1] المحبي، مج1، ص303؛ انظر أيضاً: المقَّري، رحلة، مقدمة المحقق، ص6؛ عنان، تراجم، ص375؛ نويهض، معجم أعلام، ص310؛ حسن، المقَّري، ص26.

* مراكش: تقع في بلاد المغرب الأقصى، شمال شرق أكادير، على بعد تسعة أميال شمال جبال درن، اختطها أمير المرابطين يوسف بن تاشفين في حدود سنة 470هـ/1078م. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج5، ص94.

[2] المقَّري، رحلة، مقدمة المحقق، ص6؛ نويهض، معجم أعلام، ص310؛ عنان، تراجم، ص375؛ حسن، المقَّري، ص26.

[3] المحبي، مج1، ص303؛ انظر أيضاً: المقري، رحلة، مقدمة المحقق، ص6؛ نويهض، معجم أعلام، ص310. أبو العباس، القائم بأمر الله، أحمد المنصور بالله السعدي، اشتهر بالذهبي: بويع بالخلافة عقب الانتصار في معركة وادي المخازن سنة 986هـ/1578م، وتلقب بالمنصور بالله، وتربع على العرش لربع قرن، ويعد عهده من أعظم عهود الحكام السعديين؛ لما تميز به من رقي وازدهار، حرص خلاله على عقد تحالفات عسكرية مع الأوروبيين لمواجهة الخطر العثماني. انظر: الناصري، الاستقصا، ج5، ص(89، 91-95، 145، 186).

[4] عنان، تراجم، ص375.

[5] المقَّري، رحلة، مقدمة المحقق، ص8.

إلى بيت المقدس وأقام فيه خمسةً وعشرين يوماً ألقى خلالها الدروس في المسجد الأقصى[1]، ثم انتقل إلى دمشق، واستقبله العديد من علمائها وأدبائها وفي مقدمتهم المفتي عبد الـرحمن عمـاد الدين(ت:1051هـ/1641م) وشهاب الدين أحمد الشاهيني (ت:1053هـ/ 1643م)، وقد جرى بين المقَّري وأدباء وعلماء دمشق آنذاك عدة مطارحاتٍ، وألقى العديد من الدروس في الجـامع الأموي، والتفَّ حوله الطلاب من كل صوب[2].

وأما بخصوص شيوخه؛ فقد حرص المقَّري أن يحفظ كل ما يستطيع حفظه من كتـب الدين والحديث، وكان ذا اهتمام كبير بمسائل الفقه والدين إلى جانب الأدب والشعر، يقرأ كل ما يجده من كتب، ومضى يطلب العلم على يد كبار الشيوخ، فما كان يسمع بشيخٍ أو عالمٍ يُسـتفاد منه إلا وذهب إليه، ومن أهم شيوخه أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسـي المشـهور بالقصّـار (ت:1013هـ/1604م)، الذي روى عنه بعض الأحاديث النبوية. والفقيه السوداني أحمد بابـا التُنبكتي(ت:1036هـ/1627م)، صاحب كتاب "نيل الإبتهاج بتطريز الديباج"؛ إذ التقاه المقـري في فاس[3]. والشيخ المغربي أبـو العبـاس أحمـدُ بـنُ أبـي القاسـم الصـومعي التـادلي (ت:1013هـ/1604م). والشيخ أبو الحسن الأجهوري وغيرهم من الشيوخ[4].

أما تلاميذه؛ فقد تتلمذ على يديه مجموعةٌ من العلماء في المشرق والمغرب، ففي مدينـة فاس أخذ عنه أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن أبي بكـر الأنصـاري السجلماسـي (ت:1054 هـ/1645م)، الذي كان على تواصل مع المقَّري طوال حياته. وأبو عبد الله محمـد ابن أحمد ميارة (ت:1072هـ/1666م). وأبو العباس أحمد بن شاهين (ت:1053هـ/1643م) الذي تتلمذ على يد المقَّري في دمشق. وأبو القاسـم محمـد بـن جمـال الـدين بـن خلـف المسراتي(ت:1065هـ/1655م) الذي أخذ عن المقَّري وأجاز له بالقاهرة[5].

---

(1) المحبي، خلاصة، مج1، ص(304-305)؛ انظر أيضاً: عنان، تراجم، ص(376-377).

(2) عنان، تراجم، ص377.

(3) حسن، المقَّري، ص(52-56)

(4) كتاني، ص575.

(5) ابتسام، مذكرة، ص(17-18).

آثاره العلمية: من مؤلفات المقَّري في التاريخ والتراجم "أزهار الريـــاض فـــي أخبـــار عياض"، الذي ألّفه في مدينة فاس بناءً على رغبة أهالي تلمسان، وقد تحدَّث فيه عن كثيرٍ مـــن شؤون الأندلس، وترجم فيه للعديد من العلماء[1]. وكتاب "روض الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس"، وهو من أول الكتب التي بدأ بتأليفها، في ســـنة 1011هـــ/1602م، وانتهى منه سنة 1013هـــ/1604م[2].

ومن مؤلفاته في التوحيد والفقه والسيرة النبوية: "حاشية على شرح أم البراهين للشـــيخ السنوسي"، "وإضاءة الدّجنة لعقائد أهل السُّنة"، و"أتحاف المغرم المغرى فـــي شـــرح الصـــفدي السنوسي"، و"قطف المُهتصر في شرح المختصر؛ على حاشية مختصر خليل"، و"أعمال الـــذهن والفكر في مسائل المتنوعة الأجناس"، وهي عبارة عن مسائل أرسلها إليه شيخه محمد بن أبـــي بكر الدلائي (ت:1046هـــ/1637م)، "وفتح المتعال في مدح النعال"، الذي ألّفـــه فـــي المدينـــة المنورة، "وخلاصة أزهار الكُمامة في شرف العمامة"، ومن مصنفاته الأخرى: "حسن الثني في العفو عمّن جنى"، "والدّرة الثمين في أسماء الهادي الأمين"، وغيرها من المصنفات[3].

ويعتبر كتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الـــدين ابـــن الخطيب" مصدراً أساسياً لجميع الباحثين في تاريخ المغرب والأندلس، ويُعدّ من المصادر القيّمة التي تحدثت عن تاريخ الأندلس ومحاسنها وذكرياتها وجغرافيتها وأدبها، وقد رافق هذا الكتـــاب كثيرٌ من صفحات البحث، اذ يعدّ من المصادر القليلة التي تحدثت عن الأندلس من الفتح حتـــى السقوط، وتكمن أهميته في تعدد مصادره وتنوعها، وحفظه للعديد من المصادر التي فُقدت ولـــم تصل إلينا[4]، وكان قد انتهى من كتابته في أواخر ذي الحجة سنة 1039هـــ/1630م[5]، وقـــد اعتمد المقَّري في تأليفه على مصادر لم يصلنا أكثرُها بالصورة التي وصلته[6]، الإضافة إلـــى

---

[1] المقَّري، أزهار، مقدمة المحقق؛ ابتسام، ص25؛ عنان، تراجم، ص383.

[2] الكتاني، ص575؛ المقَّري، رحلة، مقدمة المحقق، ص8؛ نويهض، معجم أعلام، ص310؛ ابتسام، ص25.

[3] نبيل، الأساليب، ص(6-12)؛ ابتسام، ص(25-28).

[4] عنان، تراجم، ص(379-380، 382-383)؛ حسن، المقَّري، ص(175-178).

[5] عنان، تراجم، ص(378-379)؛ حسن، المقَّري، ص(175-177)؛ نبيل، ص(13-14).

[6] عنان، تراجم، ص(381-382)؛ حسن، المقَّري، ص175.

مصادر أخرى أهمها الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب، و"اختصار القدح المُعلّى في التاريخ المُحلّى" لابن سعيد (ت:685هـ/1286م)، و"بدائع البداءةِ" لابن ظافر الأزدي (ت:613هـ/1217م)، و"تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي، و"التكملة لكتاب الصلة" لابن الأبار، و"خريدة القصر وجريدة العصر" للأصفهاني(ت:597هـ/1201م)، و"قلائد العقيان في محاسن الأعيان" لابن خاقان وغيرها كثير[1].

وأما منهج المقَّري فتمثَّل بإكثاره من الاستطراد في كتابه، اذ ينتقل من حديث إلى آخرَ دون الاهتمام بالترتيب والتنظيم، فنجد أغلب معلوماته مبعثرةً وغيرَ متناسقةٍ، إذ لم يكن المقَّري مؤرخاً، بل أديباً، أي أنّه ناقلٌ للمعلومات فقط، دون الاعتناء بتمحيصها وتحقيقها[2]، فضلاً عن أنّه ينقل النّصوص الشعرية والأخبار مهما كانت طويلةً، وفي بعض الأحيان كان ينقل كتباً كاملة، ولا يكتفي بنقلها فقط، بل كان يعلّق عليها ويكتب رأيه فيها[3]، ومما يعيب معلوماته أنّها جاءت غيرَ منظمةٍ ومكررة في كثير من الأحيان، فكان يذكر بعض المعلومات في موضع، ويعود بعد ذلك ليذكرها في موضع آخرَ، وقد يعود السبب في ذلك لكثرة الروايات حول الموضوع الواحد، ومن المآخذ عليه أيضاً أنّه يتحدثُ في موضوع معين ثم ينتقل إلى موضوعٍ آخرَ دون إنهاء الموضوع الأول، ثم يعود إلى الموضوع الأول أو قد لا يعود، الأمر الذي يشتت ذهن القارئ[4].

وقسم المقَّري كتابه إلى قسمين تسبقهما مقدمةٌ تحدث فيها عن سيرته ورحلاته ودوافع تأليفه لهذا الكتاب، وتخصصَ القسم الأول بالحديث عن الأندلس وتاريخها وآدابها، ويحتوي على ثمانية أبوابٍ وصف فيها الأندلسَ وتحدث عن مزاياها ومساحتها وأبعادها وموقعها والأمم التي سكنت فيها، كما تحدث فيها عن كثيرٍ من مدنها، والتعريف ببعض من رحل عن الأندلس إلى المشرق، وذكر بعض الوافدين إليها، وتحدث عن سقوط المدن الأندلسية وسيطرة الإسبان عليها،

---

[1] نبيل، ص16.

[2] عنان، تراجم، ص380.

[3] حسن، المقَّري، ص(88-92).

[4] المرجع نفسه، ص(94-95، 97).

أما القسم الثاني فقد تضمن كذلك ثمانية أبوابٍ اختصت بالحديث عن لسان الدين ابن الخطيب[1].

بالإضافة إلى معلومات عن عناصر المجتمع الأندلسي في بـــدايات الفـــتح الإســـلامي، يضاف إلى ذلك ما أورده من أخبار عن مقتل الخليفة الأموي عبد الرحمن المرتضي بالله ســـنة 409هـــ/1018م بالقرب من مدينة وادي آش، وكذلك ثورة أهل صنهاجة علـــى اليهـــود ســـنة 459هـــ/1066م، بالإضافة إلى أحوال مدينة وادي آش خلال عصر بني الأحمر، منذ تأســـيس دولتهم حتى ثورة أبي عبد الله الصغير على والده السلطان أبي الحسن، والحرب الأهليـــة فـــي مملكة غرناطةَ، وما أورده من معلومات عن سقوط مدينة وادي آش سنة 895هـــ/1489م، إلى جانب ترجمته لبعض علماءِ وأدباءِ وادي آش، وإشاراته المتعددة للنواحي العمرانية والاقتصادية فيها.

(1) حسن، المقَّري، ص178.

الفصل الثاني

الجغرافيا التّاريخيَّة لمدينة وادي آش ومنطقتها

_ الموقع الجغرافي

_ التَّسمية

_ قراها وحصونها

_ المدن المحيطة

_ المناخ

_ أوضاع المدينة قبل الفتح الإسلامي، ومقدّماته

_ الفتح الإسلامي

_ العناصر السُّكانيَّة

الفصل الثاني

الجغرافيا التّاريخيَّة لمدينة وادي آش ومنطقتها

الموقع الجغرافي

تقع مدينة وادي آش شمال شرق مدينة غرناطة، في المنطقة الجنوبيَّة الشَّرقيَّة من بلاد الأندلس، وتتربَّع على الضِّفَّة الغربيَّة لنهر وادي آش(*Rio Guadix*)[1] الذي يخترق الجبل المعروف باسم سَنْد وادي آش(*Marquesado del Zenete*)[2]، ضمن السُّفوح الشَّماليَّة لجبل مولاي أبي الحسن (*Malhacen*)، ويُنسب لأحد سلاطين مملكة غرناطةَ المتأخِّرين[3]؛ ولعلَّه السُّلطان أبو الحسن عليٌّ بن سعد (868-887هـ/1464-1482م).

وتُشكِّل هذه المنطقةُ الجبليَّةُ امتداداً لسلسلة جبال شُلَير أو سييرا نيفادا (*Sierra Nevada*)* وقد حدَّد الزهري موقع غرناطة في الصَّقع الثّالث من الإقليم الخامس[4]، وبما أنَّ وادي آش من أعمالها فلا بدَّ أنَّها تقع في نطاق الإقليم المذكور. وفضلاً عن نهر وادي آش؛ يجري إلى الشَّرق منها نهر فردس (*Rio Fardes*)[5]، أو فردوس[6]، الذي ينبع هو الآخرُ من جبال شُلير ويغذّي نهر الوادي الكبير[7]. فتشكَّلت بسبب وجود هذين النَّهرين منطقةٌ طبوغرافيَّةٌ منخفضةٌ خصبةٌ غنيَّةٌ بالمياه وسط هذا المحيط الجبليِّ تُسمّى(*Hoya de Guadix*)[8].

---

(1) الحميري، الروض، ص604؛ انظر الخارطة رقم(1). نهر وادي أش: ينبع من جبال شُلَير، وهو من روافد نهر الوادي الكبير.انظر: الحميري، الروض، ص604.

(2) ابن الأبار، جزء2، ص354، حاشية رقم1؛ انظر الخارطة رقم (1).

(3) العمري، مسالك، ج4، ص117، حاشية رقم1؛ مؤنس، رحلة، ص50.

* جبال شلير: وتسمى أيضاً جبل الثلج وجبال إلبيرة، تطل على مدينة غرناطة من الجهة الجنوبية الشرقية، طولها يومان والثلج بها دائم صيفاً وشتاءً. انظر: الأدريسي، مج2، ص(569-570)؛ مؤلف مجهول، تاريخ، ص127، حاشية رقم 6؛ ابن الخطيب، ج1، ص96، حاشية رقم 6؛ انظر الخارطة رقم(1).

(4) الزهري، كتاب الجغرافية، ص(94-95).

(5) ابن الخطيب، معيار، ص112؛ انظر الخارطة رقم (1).

(6) حتاملة، موسوعة، ج2، ص1119.

(7) القلقشندي، ج5، ص221؛ انظر الخارطة رقم (1).

(8) انظر الخارطة رقم (1).

التَّسمية

أخذت المدينة اسمها اللاتيني آكْشي(*Acci*) لوفرة المياه التي تميَّز بها موقعها ومحيطها[1]، وبخاصَّةٍ إذا ما علمنا أنَّ كلمة أكوا(*Agua*) باللغة الإسبانيَّة تعني الماء، ومنها جاء الاسم الإسباني غواديكس(*Guadix*). وعندما فتح المسلمون بلاد الأندلس في نهاية القرن الأوَّل الهجري/مطلع السّابع الميلادي عرَّبوا اسمها اشتقاقاً ممّا كان متداوَلاً قبل الفتح، إلا أنَّ المصادرَ العربيَّةَ اختلفت في رسم اسمها ولفظه، فقد رسمها ابن حوقل: وادِ ياش[2] بفتح الواو وألف ثمَّ دال مهملة مكسورة، ويليها ياء مثنّاة وألف وشين مُعجمة[3]، وقد تُمدُّ همزتُها لتصبح وادي الآشات[4]، وذهب البكري إلى تسميتها بوادي آشي[5]، وأمّا الحموي فرسمها: أَش، بالفتح والشين والشين مخفَّفة[6]، وذكرها المراكشي باسم وادي الأشي[7]، وأطلق عليها شيخ الربوة لفظ وادِ يش[8] وجعلها ابن الخطيب وادي إيشن[9] وقيل وادي إيش[10]، بينما سمّاها القلقشندي واد آش[11]، وعلى الرَّغم من كل ما ذُكر؛ فإنَّ وادي آش، هو الاسم الأعمُّ والأكثر انتشاراً في المصادر التّاريخيَّة والجغرافيَّة[12]، وبقي متداولاً حتّى نهاية الحكم الإسلامي للأندلس.

قراها وحصونها

يبدو أنَّ الحيِّز الجغرافيَّ للمدينة لم يقتصر على مسطَّحها القديم فحسب، وإنَّما اشتمل على ضياعٍ وقرىً وحصونٍ، كان عددٌ كبيرٌ منها موجودٌ منذ العصر القوطيِّ.

---

(1) ابن الأبار، الحُلة، ج2، ص354، حاشية رقم 1.

(2) ابن حوقل، المسالك، ص81.

(3) القلقشندي، صبح، ج5، ص221.

(4) الرشاطي؛ وابن الخراط الإشبيلي، الأندلس، ص90.

(5) البكري، ج2، ص380.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص234.

(7) المراكشي، المعجب، ص370.

(8) شيخ الربوة، نخبة، ص243.

(9) ابن الخطيب، مشاهدات، ص8.

(10) المصدر نفسه، ص28، حاشية رقم4.

(11) القلقشندي، صبح، ج5، ص221.

(12) الرشاطي؛ وابن الخراط، ص90؛ المراكشي، المعجب، ص370؛ ابن الأبار، الحُلة، ج2، ص354.

ومن قراها قرية بني سامي[1]، التي ينحدر منها بنو سامي الوادي آشيّون، الذين تولّوا مناصب عديدة في المدينة خلال عصرها الأندلسي[2]، وقرية دشمة[3]، وقيل دجمة الواقعة بين وادي آش وغرناطة[4]، فضلاً عن قرى وُد ويورا[5] والرَّملة في نواحي وادي آش[6]، وأَرنتيرة وأَرنتيرة التي ورد ذكرها عند ابن الخطيب أنَّها من قرى سند وادي آش[7]، وإلى جانبها أيضاً قرية بجانس التي ينتمي إليها ابن صاحب الصَّلاة[8]، وكذلك قرية ششتَر[9]، وشوظر والمنظر وقرسيس وقطرش[10].

ومن الحصون التّابعة لها، جليانة على بعد اثني عشر ميلاً منها[11]، ولكنّ المصادر التّاريخيَّةِ والجغرافيَّة اختلفت حول طبيعته، حيثُ عدَّه ياقوتُ حصناً منيعاً من أعمال وادي آش[12]، وأمّا العذري فجعله قرية وليس حصناً[13]، وذكر المقري أنَّها حصنٌ، ثمَّ عاد وجعلها من قرى أعمال غرناطة[14]، وانفرد شيخ الرَّبوة بالقول إنَّها من أعمال جيّان[15]، وعلى ما يبدو أنَّ جليانة كانت قريةً كبيرةً ذاتُ حصنٍ منيعٍ[16]، وقيل إنَّ بني البرّاق كانوا سادته وأشرافه[17].

---

(1) العذري، نصوص، ص170.

(2) ابن حزم، جمهرة، ص274.

(3) الإدريسي، مج2، ص567.

(4) ابن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص110، حاشية رقم 6.

(5) ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص(127، 172).

(6) الصفدي، ج13، ص100؛ المقَّري، نفح، ج4، ص288.

(7) ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص138.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص535؛ المقَّري، نفح، ج2، 690.

(9) ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص172؛ المقَّري، نفح، ج2، 185.

(10) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص178.

(11) المقَّري، نفح، مج2، ص636.

(12) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص423.

(13) العذري، ص90.

(14) المقَّري، نفح، مج1، ص149؛ مج2، ص635.

(15) شيخ الربوة، ص243.

(16) المقَّري، نفح، مج1، ص(149−150).

(17) ابن سعيد المغربي، ج2، ص149.

ومن حصونها الأخرى حصن مَنتانة[1]، وحصن القلهرة في المدينة نفسها[2]، ويـــرجَّح أنّ هذا الحصنَ هو نفسه حصنُ القاهرة الذي ذكره الزُّبيدي أنَّه من حصون وادي آش، وأصبح فيما بعد تابعاً لغرناطة، أي أنَّ الاختلاف في اللفظ فقط[3]، ومن حصونها القريبة منها: اللّقون[4]، اللّقون[4]، وأشتر[5]، ولبسة[6]، وباليس أو بالوس أو بليوس، واللوز[7]، وحصن البول الذي بُني بُني في عهد السُّلطان الغرناطي أبي الحجّاج يوسف الأول[8].

المدن المحيطة

بدت العديد من المصادر التّاريخيَّة والجغرافيَّة متناقضةً في مُعطياتها حول المسافة التي تفصل وادي آش عن مدينة غرناطة، كما أخطأ بعضها التَّقدير، وافتقرت معلومات آخرين إلـــى الدّقّة، حيث ذكر الإدريسي أنَّها ثمانيةُ أميال[9]، أمّا ياقوت الحموي فقال إنّها أربعون مـــيلاً[10]، وقدَّرها المرّاكشي بمسيرة يوم واحد[11]، وذهب الزُّبيدي إلى القول إنَّها أربعـــون فرســـخا[12]، وربَّما كان ياقوتُ الحموي الأقربَ إلى الصِّحَّة من بـــين الأرقـــام المـــذكورة، أمّـــا الكتابـــات الحديثة فقدَّرتها ما بين اثنين وثلاثين إلى سبعة وثلاثين ميلاً[13]، مع أنَّ القـــراءاتِ الجغرافيَّـــةَ المعاصرةَ تشير أنَّ المسافة بين المدينتين سبعةٌ وعشرون ميلاً[14]، وأمّا عـــن جيّـــان* فتبعُـــد

---

(1) ابن سعيد المغربي، ج2، ص152.

(2) مؤلف مجهول، الحلل، ص93، حاشية رقم93.

(3) المرتضى الزبيدي، تاج، ج13، ص497.

(4) ابن عاصم الغرناطي، جنة، ج1، ص19.

(5) عنان، دولة، ج2، ص(125-126).

(6) السامرائي، تاريخ، ص270.

(7) مالدونادو، العمارة، ج1، ص383.

(8) شبانة، يوسف، ص109.

(9) الإدريسي، مج2، ص567.

(10) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص235.

(11) المرّاكشي، ص370.

(12) المرتضى الزبيدي، ج17، ص68. الفرسخ: مقياس لقياس الأطوال عند العرب، يعادل ثلاثة أميـــال أو ســـتة كيلـــو مترات. انظر: هنِتس، المكاييل، ص94.

(13) ابن الخطيب، خطرة، ص34، حاشية؛ معيار، ص112، حاشية؛ عنان، الآثار، ص215.

(14) انظر الخارطة رقم(3).

* جيّان: مدينة بالأندلس تقع على سطح جبل مرتفع، تحدها قرطبة من ناحية المشرق، وتقدر المسافة بينهما بسبعة عشـــر فرسخٍ، ومنها إلى بياسة ستون ميلاً، اشتهرت بزراعة الحبوب كالقمح والشعير والباقلاء. انظر: الحموي، معجم البلـــدان، ج2، ص195؛ الحميري، صفة، ص70.

مرحلتين* كبيرتين[1]، وقيل ثلاثَ مراحلَ خفيفةٍ[2] إلى الشَّمال الغربيِّ مـن وادي آش، وتفيـد الخرائط المعاصرة أنَّ المسافة بين الموقعين تبلغ ثمانية وأربعين ميلاً[3]، وقُدِّرت المسافة بـين وادي آش ومدينة بسطة* بثلاثين ميلاً[4]، وحسب القراءاتِ المعاصرة أربعةٌ وعشـرون مـيلاً، وتقع الأخيرة إلى الشَّمال الشَّرقيِّ من الأولى، وتبعد وادي آش عن بلدة فنيانة* ثلاثين كيلو متراً، إلى الجنوب الشَّرقيِّ من الأولى[5].

المناخ

يسود مناطق الجنوب الأندلسيِّ مناخُ حوض البحر الأبيض المتوسِّط، وهو باردٌ مـاطرٌ شتاءً وحارٌ جافٌ صيفاً[6]، وتقع مدينة وادي آش ضمن هذه المنظومة المناخيَّة، ويظهـر ذلـك جليّاً في المصادر الجغرافيَّة والتّاريخيَّة، التي ذكرت أنَّ المدينة تتميَّز بصيفٍ شـديد الحـرارة وشتاءٍ غزير الأمطار، ذي رياحٍ عاتيةٍ، شديد البرودة حتّى أنَّه يصل إلى حدِّ الإنجماد[7]، بسبب قربها من جبال شُلَيْر[8].

أوضاع المدينة قبل الفتح الإسلامي، ومقدِّماته

لا يُعرَف على وجه الدِّقَّة متى بُنيت مدينة وادي آش، وتَنسِب بعض المصادرِ التّاريخيَّةِ بناءها إلى الرومان، استناداً لما عُثر عليه من آثار رومانيَّة في المنطقة[9]، ويبدو أنَّهـا بقيـت

---

* المرحلة: هي المسافة التي يقطعها المسافر سيراً على الدابة في يوم واحد، وتُقـدَّر بأربعـة وعشـرين مـيلاً. انظـر: الحريري، المقاييس، ص65.

[1] الإدريسي، مج2، ص568.

[2] أرسلان، الحلل، ج1، ص127.

[3] انظر الخارطة رقم(2).

* بسطة: مدينة بالأندلس من أعمال جيان، تقع بالقرب من مدينة وادي آش، اشتهرت بكثرة خيراتهـا ووفـرة صـناعاتها وأسواقها. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص422؛ الحميري، صفة، ص(44-45).

[4] الإدريسي، مج2، ص568.

* فنيانة: قرية من أعمال المرية، تقع بالقرب من وادي آش، أختصت بصناعة الديباج، واشتهرت بزراعة العنب والتـوت والفواكة. انظر: ابن الخطيب، مشاهدات، ص49، حاشية رقم4؛ الحميري، الروض، ص441.

[5] ابن الخطيب، معيار، ص113، حاشية؛ انظر أيضاً: الخارطة رقم(2).

[6] وناس، النشاط، ص57.

[7] ابن الخطيب، معيار، ص112.

[8] القلقشندي، صبح، ج5، ص221.

[9] البستاني، دائرة، مج1، ص104؛ مالدونادو، العمارة، ج1، ص46.

مأهولةً في الفترات اللاحقة، ممّا جعل بعضهم يعتقد خطأً أنَّهـا أنشـئت فـي عصـر القـوط الغربيّين[1]، وكانت المدينة في التَّقسيم الإداريّ الرّومانيّ تابعة لمدينة طليطلة[2]، وخاصّة خلال خلال عهد الامبراطور البيزنطي قسطنطين(*Constantinus I*)(306–337م)[3]، ومنذ مطلـع القرن الخامس الميلادي خضعت شبه الجزيرة الإيبيرية* لحكم القوط الغربيين[4]، وعلى الـرَّغم من قلَّة المعلومات حول المدينة في تلك الفترة، إلا أنَّ هناك بعضَ الإشاراتِ التي تثبـت أنَّهـا كانت مركزاً لأسقفيَّةٍ تُسمى كرسي آكشي(*Sedes Accitana*)، وهي أقدم أسـقفيَّة فـي شـبه الجزيرة الإيبيريَّة[5]، ممّا أكسب المدينة أهميَّةً من النّاحيتين الدّينيَّة والحضاريَّة خـلال العصـر القوطي[6].

وكانت مملكة القوط الغربيّين في شبه الجزيرة الإيبيريَّة قُبيل الفتح الإسلاميِّ تعاني من مظاهرَ الضَّعفِ والانحلال بسبب الصِّراع المحتدم على السُّلطة بين أفـراد الطَّبقـة الحاكمـة، واستمرَّ ذلك حتّى وفاة الملك إخيكا(*Egica*)(687–701م)*، الذي كان قبل وفاته قد عيَّن ابنـه

---

(1) رحيم، مدينة، ص19.

(2) طليطلة: مدينة بالأندلس، تقع على نهر تاجُه، كانت قاعدة القوط وعاصمتهم، لها أسوار وحصون كثيرة، اشتهرت بكثرة معادنها كالنحاس والحديد، وتتميز بحصانتها ومناعتها. انظر: الحموي، معجم البلـدان، ج4، ص(39–40)؛ الحميـري، الروض، ص(393–394).

(3) البكري، ج2، ص(380–397). قسطنطين الأول: امبراطور روماني، تسلم العرش سنة306م، وكان حكمـه نقطـة تحول في تاريخ المسيحية، حيث أنهى فترة اضطهاد المسيحين. انظر: عاشور، تاريخ، ص(23–25).

* شبه الجزيرة الإيبيرية: تقع في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا، وتتكون من دولتا إسبانيا والبرتغال، تحيط بهـا المياه من جميع الجهات ما عدا منطقة حدودها مع فرنسا، حيث يفصل بينهما سلسلة جبال البرت، أطلق عليهـا الأغريـق اسم ايبريا نسبة إلى نهر إيبرو ثم سماها الرومان اشبانيا أو إسبانيا، وأطلق المسلمون عليها اسم الأندلس نسبة لإسم اقليمها الجنوبي أندلوشيا. انظر: ابن عذارى، البيان، ج2، ص1؛ انظر أيضاً: حتاملة، أيبيريـا، ص(18–185،19)؛ الأنـدلس، ص49.

(4) القلقشندي، صبح، ج5، ص238.

(5) ابن الابار، الحلة، ج2، ص354، حاشية رقم1؛ البستاني، مج1، ص104.

(6) ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص270.

* إخيكا: هو حفيد الملك وامبا(*Vamba*)، تولى الحكم بعد ما تنازل ارفيخيو(Ervigio) عن العرش سنة(687هـ/701م)، حاول العرب في عصره الدخول إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك. انظر: حتاملة، ايبيريا، ص(251–252).

غيطشة (*Witiza*)(701-709م) وليّاً لعهده[1]، عُدَّ عهدُ الأخير من الفترات المهمَّة والحاسمة في تاريخ المملكة القوطيَّة، التي تعرضت لمزيدٍ من الاضرابات، ممّا مهَّد الطَّريق أمـــام المســـلمين للسَّيطرة على أراضيها[2]، وبدوره لجأ الملك غيطشة إلى تعيين ابنه الصبيِّ أقلة(*Achila*) دوقاً لولايتي طركونة(*Tarragona*)* وأُربونة(*Narbona*)*، الأمــر الــذي أثــار سُــخط كبــار الشَّخصيّات القوطيَّة المتنفِّذة، التي اعتبرت ذلك إهانةً لها، فتمرَّدت ورفضت الخضوع له[3].

وبلغت الصِّراعات الدّاخليَّة القوطيَّــة أوْجهــا عنــدما أســند النــبلاءُ الحكــمَ للملــك لذريق(*Rodrigo*)(90-92هـ/709-711م)*، وشهدت المملكة خلال فتره حكمه حالــة مــن الضَّعف وعدم الاستقرار، بسبب ثورة أبناء غيطشة ضدَّه، في الوقت الذي كان فيه الأمير موسى ابن نصير(79-98هـ/ 699-717م)* قد استكمل فتح بلاد المغرب، وبات يعدُّ العدَّة لفتح شبه الجزيرة الإيبيريَّة[4]، بمساعدةٍ من يوليان(*Don Julian*)* - حاكم سبتة-، وأختلف المؤرِّخون في تعليل البواعث والأسباب التي دفعته إلى ذلك، فقد ذكرت بعض المصادر الإسلاميَّةِ أنَّه قــام

---

(1) بروفنسال، تاريخ، ص46.

(2) بروكلمان، تاريخ، ص(138-139)؛ عنان، دولة، ج1، ص(32،30-33).

* طركونة: مدينة أندلسية قديمة، بينها وبين لاردة خمسون ميلاً، وهي مبنية على ساحل البحر المتوسط، اشتهرت بــأجود أنواع الرخام. انظر: الحميري، الروض، ص392.

* نربونة(أربونة): هي آخر ما وقع بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلي بلاد الأفرنجية، بقيت تحت حكــم المسلمين حتى سنة 330هـ/942م. انظر: الحميري، صفة، ص(11-12).

(3) بروفنسال، ص46؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص58.

* لذريق: آخر ملوك القوط، وقيل أنه ليس من سلالة البيت القوطي، تولى الحكم سنة(90هـ/709م)، عُــرف بشــجاعته، تذكر بعض المصادر أنه قتل على يد طارق بن زياد في معركة وادي لكة سنة92هـ/711م. انظــر: مؤلــف مجهــول، أخبار، ص15؛ ابن عذارى، ج2، ص(2-3)؛ المقَّري، نفح، ج1، ص232؛ انظر أيضاً: حتاملــة، ايبيريــا، ص(254-255).

* موسى بن نصير بن عبد الرحمن اللخمي، يكنى بأبي عبد الرحمن، ولد في إحدى قرى بلاد الشام، وتدعي كفــر مــري سنة19هـ/640م، وتشير المصادر إلى أن والده كان من سبي عين التمر في العراق، وقيل أنه من لخم، أو بكر بن وائل، وكان مولى لبني أمية، وتوفي في وادي القرى في الحجاز سنة97هـ/715م. انظر: ابن خلكان، وفيات، ج5، ص(318-319، 329)؛ انظر أيضاً: طه، الفتح، ص(128-129).

(4) بروفنسال، ص(46-47)؛ حتاملة، إيبيريا، ص254.

* يوليان: ملك سبتة في المغرب العربي، وهناك اختلاف في تحديد أصله، فذكر أنه كان قوطياً، وقيل أنه كــان بربريــاً، وروي أنه كان بيزنطياً، لعب دوراً في مساعدة المسلمين في فتح الأندلس للانتقام من لذريق. انظر: ابــن عــذارى، ج2، ص(4-5)؛ المقَّري، نفح، ج1، ص(229-230)؛ انظر أيضاً: اشتيوي، الأندلس، ص34.

بذلك انتقاماً من لذريق الذي اغتصب ابنته فلوريندا(*Florinda la Cava*)[1]، وأما ليفي بروفنسال فذكر أنَّ يوليان هدف إلى تلبية نجدة "وقلة" لمساعدته على استرداد حكمه المسلوب من لذريق وأعوانه[2]، وأشار محمَّدٌ عبدُ الله عنان أنَّ يوليان لم يقصد بدعوته لموسى أن يمتلك المسلمون المنطقة، وإنَّما دعاهم لمساندته في انتزاع الحكم لنفسه[3].

الفتح الإسلامي

قام موسى بن نصير بإرسال حملة استطلاعيَّة مكوَّنةً من أربعمئةِ مقاتلٍ ومئةِ فارسٍ بقيادة طريف بن مالك*، فعبروا البحر من سبتة إلى الجهة المقابلة، التي سمِّيت فيما بعد بجزيرة طريف*- نسبة إلى قائد الحملة- وذلك في رمضان من سنة91هـ/710م، فافتتحوها والجزيرة الخضراء*، وأصابوا كثيراً من الغنائم[4]، وبعد أن استوثق موسى بن نُصير من الأمر، ووافقه الخليفة الوليد بن عبد الملك(86-96هـ/705-714م)*، بعث حملة عسكريَّة بقيادة طارق ابن زياد(101هـ/719م)* سنة 711/92م، فتمكَّن بمساندة يوليان من الوصول إلى منطقة جبل

---

[1] مؤلف مجهول، أخبار، ص1؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص268.

[2] بروفنسال، ص50.

[3] عنان، دولة، ج1، ص(39-40).

* طريف بن مالك المعافري، يُكنى بأبي زرعة، بعثه موسى بن نُصير على رأس سرية إلى جزيرة صغيرة بالقرب من جبل طارق، عُرفت فيما بعد باسمه. انظر: مؤلف مجهول، أخبار، ص16؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص150؛ المقَّري، نفح، مج1، ص253.

* جزيرة طريف: جزيرة في أقصى جنوب الأندلس، تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بينها وبين الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلاً، بها أسواق وفنادق وحمامات، وسميت بهذا الإسم لنزول طريف بن مالك فيها في أوائل الفتح الإسلامي. انظر: الحميري، الروض، ص392.

* الجزيرة الخضراء: يقال لها جزيرة أم حكيم، تقع غرب جبل طارق في الجهة المقابلة لمدينة سبتة، وتبعد عنها ثمانية عشر ميلاً، وبينها وبين إشبيلية مسيرة خمسة أيام، وبينها وبين مالقة خمس مراحل خفاف، كثيرة الزرع والماشية، وبها دار لصناعة السفن. انظر: الإدريسي، مج2، ص(527، 539-540)؛ العمري، ج4، ص126؛ الحميري، صفة، ص73.

[4] مؤلف مجهول، أخبار، ص(16- 17).

* الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، يكنى أبا العباس، أحد ملوك الدولة الأموية في الشام، بيع بالعهد بعد وفاة أبيه سنة 86هـ/705م، امتدت حدود الدولة الأموية في عهده إلى بلاد الهند، فتركستان، ثم أطراف الصين شرقاً. انظر: الزركلي، ج8، ص121.

* طارق بن زياد، وقيل بن عمرو بن عبد الله، وهو بربري من قبيلة نفزة، وقيل أنه فارسي من همذان، ويقال بأنه عربي ينتمي لقبيلة صدف، كان والياً على طنجة، كما وكان مولى موسى بن نُصير من سبايا البربر، وذكر عنه أنه ليس بمولى،

طارق والجزيرة الخضراء، وسيطر على كافَّة القلاع الواقعة بينهما، وأخذ يخطِّط للسَّـير نحـو طليطلة، عاصمة المملكة القوطيَّة[1].

وما أنْ علم لذريق بما يجري في الجنوب، وكان حينذاك مشغولاً بمحاربة الثّائرين عليه في الشَّمال، حتّى زحف على رأس قوّاته لمواجهة المسلمين، فالتقى الطَّرفان في موضعٍ يُسـمّى وادي لكة* من كورة شذونة*، وجرت معركة استمرَّت عدَّة أيّام كانت الغلبة فيها للمسلمين، أمّـا القوط فقُتل منهم عددٌ كبيرٌ وهُزموا[2]، فتبعهم جيشُ طارقٍ شمالاً والتقى بفلولهم عند إسـتجّة*، وتمكَّن من إلحاق الهزيمة بهم وتشتيت شملهم، ثمَّ جهَّز عدة حمـلات وأرسـلها إلـى قرطبـة وغرناطة وإلبيرة ومالقة[3].

وبما أنَّ مدينة وادي آش واحدة من أهمِّ مدن إلبيرة فيُرجَّح أنَّ فاتحها هـو فـاتح تلـك المنطقة[4]، وتضاربت الرِّوايات حول هُويَّته وتاريخ فتحها، فقد أورد صـاحب كتـاب أخبـار

أسلم على يد موسى بن نصير، وهو فاتح بلاد الأندلس، توفي سنة101هـ/719م. انظر: ابن عذارى، ج1، ص43؛ انظر أيضاً: الزركلي، ج3، ص217.

[1] مؤلف مجهول، أخبار، ص(17-20).

* لكة: مدينة أندلسية قديمة، من أعمال كورة شذونة، وعلى ضفاف نهرها جرت أحداث معركة وادي لكـة. الحميـري، الروض، ص511.

* كورة شذونة: إحدى كور الأندلس متصلة بكورة مورور، وهي من أعمال شذونة، وتعتبر من الكور المجندة، نزلها جند فلسطين من العرب، وفيرة المياه وخصبة التربة، توجه إليها أهل الأندلس في سنوات القحط التي أصـابت بلادهـم منـذ سنة131هـ/749م حتى سنة 136هـ/753م. انظر: الحميري، الروض، ص339.

[2] ابن عبد الحكم، فتوح، ج2، ص333.

* إستجة: من مدن الأندلس القديمة، تقع على نهر شنيل، أعمالها متصلة بأعمال قرطبة، وبينهما عشرة فراسخ، اشـتهرت بكثرة ثمارها وبساتينها، لها أرباض كثيرة وأسواق واسعة. انظر: الإدريسي، مج2، ص572؛ الحموي، معجـم البلـدان، ج1، ص174؛ الحميري، صفة، ص14.

[3] مؤلف مجهول، أخبار، ص(19-20). إلبيرة: كورة كبيرة من كور الأندلس، تقع شرق قرطبة على بُعد مئة وثمـانين كيلو متراً، وتبعد عن غرناطة اثني عشر كيلو متراً، نزلها جند دمشق من العرب وكثيرٌ من أنصار الأمير عبد الـرحمن الداخل الذي أسسها وجعلها حاضرة لمواليه الذين تم دمجهم فيما بعد مع العرب. انظر: الحمـوي، معجـم البلـدان، ج1، ص244؛ القزويني، آثار، ص502؛ الحميري، الروض، ص28. مالقة: مدينة تقع في أقصى جنوب الأندلس على البحـر المتوسط، وهي مدينة حسنة أهلة بالسكان، لها ربضان وبها دار لصناعة السفن، اشتهرت بصناعة الفخار والجلد والحديد، وعُرفت بكثرة الفواكه كالتين واللوز والعنب. انظر: الإدريسي، مج2، ص565؛ العمري، ج4، ص124.

[4] حتاملة، موسوعة، ج2، ص1121.

مجموعة أنَّها فُتحت سنة 92هـ/711م، على يد مغيث الرّومي(ت:118هـ/736م)*، الذي أرسله طارق ابن زياد على رأس حملةٍ إلى قُرطبةَ، وعقب انتهائه من فتحها مضى ولحِقَ بمَنْ سبقه إلى كورة إلبيرة وحاصرها وافتتحها عنوة[1]، وأمّا ابن عذاري فيشير إلى فتحها بصورة عابرة، واكتفى بالقول إنَّ طارقاً أرسل قسماً من جيوشه من إستجة إلى إلبيرة – وفيها وادي آش– لفتحها، فتمَّ له ذلك[2]، ويروي ابن الخطيب أنَّ فتح كورة إلبيرة تأخَّر حتّى سنة 93هـ/712م، وذلك عندما قِدم موسى ابن نُصير إلى الأندلس، حيث وجّه لها ابنه عبد الأعلى فافتتحها[3].

وأمّا بخصوص المؤرِّخين المعاصرين، فقد ذكر ليفي بروفنسال أنَّ فتح هذه المنطقة تأخَّر إلى ما بعد السَّنة المذكورة، ونسب فتحها إلى عبد العزيز بن موسى بن نصير(ت: 97هـ/716م)* الذي لم يكن قد تسلّم ولاية الأندلس بعد، ومعنى ذلك أنَّ أباه قد أرسله لفتحها[4]، وأيَّده السَّيدُ عبدُ العزيز سالم بذلك، وأضاف أنَّ فتحها تمَّ سنة 94هـ/713م[5]، وأيّاً كان الأمر؛ فقد دخلت وادي آش ضمن دائرة المدن والمواضع المفتوحة منذ بدايات الفتح[6].

---

* مغيث الرومي: مولى الوليد بن عبد الملك، دخل الأندلس بقيادة طارق بن زياد سنة(92هـ/710م)، الذي أرسله لفتح قرطبة، وتمكن من فتحها وأسر حاكمها. انظر: مؤلف مجهول، أخبار، ص(19-20)؛ ابن عذارى، ج2، ص(9-10)؛ المقَّري، نفح، ج1، ص(260-261).

[1] مؤلف مجهول، أخبار، ص(19-22).

[2] ابن عذارى، ج2، ص(9-11).

[3] ابن الخطيب، اللمحة، ص16. عبد الأعلى بن موسى بن نُصير اللّخمي، لا يوجد معلومات حول تاريخ ومكان ولادته، ولاه أبوه موسى منصباً قيادياً، ووجهه إلى جنوبي وجنوب شرق الأندلس، استطاع بمساعدة أخيه عبد العزيز أن يستعيد فتح مالقة وإلبيرة سنة 94هـ/713م، رحل عن الأندلس بعد رحيل أبيه، ولم تورد المصادر أي معلومات حول سنة وفاته. انظر: ابن عذارى، ج1، ص44؛ انظر أيضاً: خطاب، قادة، ج2، ص(54، 57-58، 60).

* عبد العزيز بن موسى بن نصير اللّخمي: لا يوجد معلومات حول تاريخ ولادته، ولاه موسى بن نصير أمر الأندلس سنة 95هـ/714م، وترك معه من العساكر مَنْ يقوم بحماية البلاد، قتل سنة 97هـ/716م، على يد حبيب بن أبي عُبيد الفهري(ت:123هـ/741م) بأمر من سليمان بن عبد الملك(96-99هـ/715-718م). انظر: الطبري، تاريخ، ج6، ص523؛ الحميدي، جذوة، ص25.

[4] بروفنسال، ص(53- 56).

[5] سالم، تاريخ المسلمين، ص83.

[6] حتاملة، موسوعة، ج2، ص1121.

العناصر السُّكانيَّة

بعد استقرار أعمال الفتح، وخلال الفترات اللاحقة، بدأ المجتمع الأندلسي بالتَّبلور، وبخاصَّة في المناطق الجنوبيَّة بما فيها وادي آش، واشتمل على مزيج من العناصر السُّكانيَّة التي اجتمعت في هذه الرُّقعة الجغرافيَّة واختلطت مع بعضها، وتنوَّعت أصولها بين عناصرَ إسلاميَّةٍ كالبربر والعرب والمسالمة والمولَّدين، وعناصرَ غيرِ إسلاميَّةٍ كاليهود والنَّصارى، وستتناولها الدِّراسة بإيجاز.

فقد شكَّل البربر الغالبيَّة العظمى من عناصر المجتمع الأندلسي، وكان استقرارهم في البلاد قد بدأ منذ بدايات الفتح الإسلامي؛ حيث كانت معظم الجيوش الفاتحة تتألف منهم، وذلك حسب قول المقَّري "لما حرص يوليان النّصراني صاحب سبتة، للأمر الذي وقع بينه وبين صاحب الأندلس، موسى بن نصير على غزو الأندلس جهز لها مولاه طارقاً المذكورَ في سبعة الآفٍ من المسلمين، جلهم من البربر"[(1)]، وكان لهم شأن عظيم في منطقة غرناطة التي أصبحت مدينة وادي آش تتبع لها فيما بعد، فقد كان البربر من ضمن الجيش الغرناطي حسب ما أورد ابن الخطيب" وجندهم صنفان أندلسي وبربري"[(2)]، وقد اختلف النَّسّابةُ والمؤرِّخون في نسبهم، فمنهم مَنْ يُرجع أصلهم إلى سام بن نوح، وبعضهم من ينسبهم إلى حام بن نوح، وبعضهم ينسبهم إلى برٍّ بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار[(3)]، وهناك مَنْ يذهب إلى أنَّهم من ولد قندار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهم السَّلام[(4)]. ومن أشهر قبائلهم زناتة وصنهاجة ومصمودة[(5)].

---

(1) المقَّري، نفح، ج1، ص231.

(2) ابن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص136؛ أنظر أيضاً: العاني، الأحوال، ص355.

(3) ابن عبد البر، القصد، ص(23– 25)؛ مؤلف مجهول، مفاخر، ص186.

(4) الذهبي، تاريخ، ج31، ص84.

(5) البكر، النشاط، ص(54–57). زناتة: هم فرع من البربر البتر، تعود أصولهم حسب النسابة إلى كنعان بن حام من أولاد جانا بن يحيى بن صولات بن مازيغ، وقيل يرجع نسبهم إلى جانا بن ضريس بن لوي بن نفجاو بن بر بن قيس، ومن أشهر قبائلهم بنو مغراوة وبنو يفرن. انظر: ابن حزم، ص461؛ ابن خلدون، تاريخ، مج7، ص4. صنهاجة: تعد من أهم عناصر سكان المغرب الأقصى في العصر المرابطي وأكثرها عدداً، تعود إلى أصول عربية، وأغلب الروايات تُرجع نسبها إلى قبيلة حِمير، وتضم صنهاجة ما يقرب من سبعين قبيلة. انظر: ابن خلكان، وفيات، ج1، ص266؛ ابن خلدون، تاريخ، مج6، ص(201–202). مصمودة: هم من ولد مصمود بن يونس بربر من أكبر القبائل الصنهاجية، يتواجدون بشكل أساسي في جبال الأطلس الكبير، ومن القبائل التي اندرجت تحت اسم المصامدة هرغة وهنتانة ووريكة. انظر: ابن خلدون، تاريخ، مج6، ص275؛ انظر أيضاً: محمود، ص34؛ حسن، الحضارة، ص(300–302).

وأمّا العنصر العربيُّ فتركَّز في هذه المنطقة منذ المراحل الأولى للوجود الإسلاميِّ في الأندلس، وينطبق ذلك على مدينة وادي آش، حيث كان العنصر العربيُّ هو الغالب فيها على غيره، ومعظمهم كان من أهل الشّام[1]، وتمثلت أولى طلائعهم بأولئك الذين قدموا مع أبي الخطّار حسام بنِ ضرار الكلبي(125-127هـ/ 743-745م)* سنة 125هـ/743م، وعُرفوا بالشّاميين[2]. وفي وادي آش تواجد العرب بشقَّيهم المضري* واليماني، وهما أكبر فئتين انحدرت منهما جميع القبائل العربيَّة[3].

ومن المضريّين الذين قدموا إليها: الفهريّون من نسل هشام بن عروة الفهري، وهم من بطون قريش[4]، التي كانت تتمتَّع بنفوذٍ واسعٍ إبّان الفتح الإسلامي[5]، وعاش فيها أيضاً بنو الأرقم وهم أحفاد ثوابة بن حمزة النُّميري[6]، كما سكنتها مجموعات تنتمي لبني عُقيل، ومنهم أحفاد الحُصين بنِ الدّجن العقيلي، وبنو عطّاف بن الحُصين، ويُنسب هؤلاء لبني خويلد ابن سمعان ابن خفاجة[7].

كما استوطن مدينة وادي آش بنو سامي الوادي آشيّون الذين يُنسبون إلى حاجب ابن المنتفق[8] وكذلك سكنها بنو ربيعة*، وعددهم قليل في الأندلس، ومنهم بنو أسد بنُ ربيعة الذين

---

(1) العاني، ص355.

* حسام بن ضرار بن سلامات بن خيثم بن ربيعة الكلبي، تسلم ولاية الأندلس بعد مقتل أميرها عبد الملك بن قطن(114-116هـ/732-734م)(123-124هـ/741-742م)، بعد الاختلاف الذي وقع بين البلديين والشاميين، وهو الذي فرّق أهل الأندلس على الكور. انظر: ابن حزم، ص(426-427). الضبي، ص(276-277). المقَّري، نفح، ج1، ص237.

(2) ابن القوطية، تاريخ، ص(42-43)؛ انظر أيضاً: سالم، تاريخ المسلمين، ص120.

* المضريون: ينسبون إلى مُضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن قيدار بن اسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام، وينتمي إليهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم وقبائل قيس بن عيلان. انظر: الطيب، موسوعة، مج1، ص(41، 49).

(3) البكر، ص35.

(4) طه، ص(211-213).

(5) البكر، ص36.

(6) طه، ص227.

(7) ابن حزم، ص274.

(8) ابن حزم، ص274؛ طه، ص245.

* بنو ربيعة: قبيلة عربية من العدنانية، تنسب إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، سكنوا في بداية نشأتهم حول الحرم وتهامة في الحجاز، ثم انتقلوا إلى وسط وشرق وشمال الجزيرة العربية، وتضم قبائلهم كل من عبد القيس، وتغلب، وبكر بن وائل وحنيفة. انظر: الطيب، ج1، ص(42-43).

استوطنوا إقليم بني أسد[1]، واستقرَّ بعضهم في الأحواز الشَّماليَّة من وادي آش، وعُرف إقليمهم باسمهم، أما اليمانيّون فينحدر منهم عدةَ قبائلَ ممَّن سكنوا وادي آش، ومنهم سعد العشيرة[2]، وغسان[3].

ومن العناصر السُكانيَّة التي استوطنت في المناطق الجنوبيَّة: المسالمة والمولّدون، ولا بدَّ من التَّأكيد على عدم الخلط بين المفهومين؛ فالمسالمة، أو الأسالمة، أو أسالمة أهل الذمَّة تعني مَنْ دخل الإسلام من الإسبان[4]، أمّا المولَّدون فهم الجيل الذي نشأ عن مصاهرة العرب والبربر للمسيحيّين بالإضافة إلى المتحوِّلين إلى الإسلام الذين وصفهم المسيحيّون بالمرتدّين، فمنذ بدايات الفتح الإسلامي أقبل المسلمون على الزَّواج من القوطيّات، ونشأ من ذلك العنصر المذكور[5].

وأمّا اليهود فشكَّلوا بدورهم نسبةً كبيرةً من مجموع السُكّان في الأندلس، وكانوا قد تعرَّضوا لشتّى صنوف الاضطهاد على يد القوط، إلا أنَّهم ما لبثوا أن تمتَّعوا بتسامحٍ دينيٍ وعرقيٍ كبير من جانب المسلمين، وذلك لمؤازرتهم الفاتحين المسلمين، ومشاركتهم في الدِّفاع عن المدن المفتوحة[6]، وكانت مدينة غرناطة تحتوي على أعداد كبيرة منهم، فعُرفت باسم(غرناطة اليهود)[7]، وتبوَّأت العديد من الشَّخصيّات اليهوديَّة مناصب قياديَّة في الأندلس، وبخاصَّة في غرناطة في عهد بني زيري، على سبيل المثال لا الحصر، حيث تبوَّأ اليهوديُّ صموئيل بن نغرالة (ت: 448هـ/1057م) مرتبة الوزارة، وخلفه من بعده ابنه

---

[1] طه، ص230.

[2] مؤنس، فجر، ص414. سعد العشيرة: قبيلة من قبائل العرب القحطانية، تعود أصولهم حسب النسابة إلى سعد بن مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، سكنت جماعتان من هذه القبيلة في الأندلس إحداهما في وادي آش والثانية يعتقد أنها استقرت في إشبيلية. انظر: ابن حزم، ص(383-385)؛ طه، ص205.

[3] العامري، مظاهر، ص227.

[4] البكر، ص59؛ الجبالي، الزواج، ص102؛ الحجي، ص163.

[5] سالم، تاريخ المسلمين، ص128.

[6] مؤلف مجهول، أخبار، ص22؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص101؛ انظر أيضاً: مؤنس، فجر، ص544؛ فرحات، ص97.

[7] الحميري، الروض، ص45؛ انظر أيضاً: سالم، تاريخ المسلمين، ص133؛ فرحات، ص97.

يوسف(ت:459هـ/1067م)[1]، ومن المرجَّح أن تكون مدينة وادي آش قد ضمَّت أعداداً كبيرة من اليهود؛ فقد أكَّد الباحثون على وجود حيّ لهم داخل المدينة[2].

وأخيراً؛ فقد شكَّل النَّصارى إلى جانب غيرهم من الفئات الدّينيَّة والعرقيَّة جزءاً من النَّسيج المجتمعيِّ الأندلسيِّ، والمقصود بهم أهل الذِّمَّة أو المستعربون، أي السكّان الأصليّون الذين ظلّوا على دينهم على الرَّغم من اندماجهم في الحياة الإسلاميَّة الجديدة[3]، وقد حظي هؤلاء هؤلاء أيضاً بالتَّسامح الدّيني الإسلاميِّ، ولم يتعرَّضوا للأذى والاضطهاد، ونشطوا في بناء الكنائس، وتمتَّع أساقفتهم وقساوستهم بالحريَّة الدينيَّة في مدينة وادي آش طوال العصر الإسلاميِّ، وهذا يعني أنَّ عدداً كبيراً منهم استوطن المدينة وغيرها من مدن كورة إلبيرة[4]، وأسهم بعضُهم في الدِّفاع عن الدَّولة في وجه المخاطر الداخليَّة التي تعرَّضت لها من جانب بعض القوى القبليَّة خلال عصر الإمارة[5]، مع إدراكنا للدَّور السَّلبيِّ الذي لعبته هذه الفئةُ خلال العديد من مراحل الصِّراع التي خاضتها الدَّولة الإسلاميَّة مع المولَّدين والممالك الإسبانيَّة في الأندلس.

---

[1] فرحات، ص97.

[2] الطوخي، مظاهر، ص146.

[3] كُحيلة، تاريخ، ص77؛ رحيم، ص51.

[4] حتاملة، موسوعة، ج2، ص1122؛ رحيم، ص51.

[5] ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص(270-271).

الفصل الثّالث

دور مدينة وادي آش في الحياة السِّياسيَّة الأندلسيَّة من عصر الولاة حتّى نهاية العصر المرابطي (95-541هـ/714-1147م)

- وادي آش من عصر الولاة حتّى نهاية عصر الخلافة الأمويَّة(95-422هـ/714-1030م)
- أحوال مدينة وادي آش خلال عصر المملكة الزيريّة(403- 483هـ/ 1012- 1090م)
- سيطرة المرابطين على وادي آش، ودورها في الصراع الإسلامي المسيحي(483-541هـ/1090-1147م)

الفصل الثّالث

دور مدينة وادي آش في الحياة السِّياسيَّة الأندلسيَّة من عصر الولاة حتّى نهاية العصر المرابطي(95-541هـ/714-1147م)

وادي آش من عصر الولاة حتّى نهاية عصر الخلافة الأمويَّة(95-422هـ/714-1030م)

يُطلق عصر الولاة على الحِقبة الأندلسية التي أعقبت مرحلة الفتح، وهو العصر الأول من عصور الحكم الإسلامي في الأندلس، وامتد بين سنتي 95-138هـ/714-755م، ابتداءً من ولاية عبد العزيز بن موسى بن نُصير، وانتهاءً باعتلاء عبد الرحمن الداخل(138-172هـ/755-788م)* عرش الإمارة الأموية، بعد صراعه مع آخر ولاةِ الأندلس يوسف الفهري(128-138هـ/746-755م)*، وحليفه الصَّميل بن حاتم(ت:142هـ/759م)[1]، وعرفت هذه الفترة بهذا الاسم لأن حكام الأندلس حين ذاك كانوا بمثابة ولاة يتم تعيينهم من قِبل أمراء بلاد المغرب، أو من قِبل الخليفة الأموي في دمشق[2]، وقد حكم الأندلس خلال هذه الفترة عشرون والياً[3].

---

* عبد الرحمن الداخل: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، يُكنى أبا المطرف، ولد في الشام سنة113هـ/731م من أم بربرية، هرب عند ظهور دولة بني العباس إلى المغرب، ثم رحل إلى الأندلس سنة138هـ/755م، وتوفي سنة172هـ/788م، وسمي بالداخل لأنه أول مَن ملَك الأندلس من بني أمية، وهو مؤسس الإمارة الأموية فيها. انظر: ابن حزم، ص(85-86)؛ الحُميدي، ص(28-29)؛ ابن الأبار، الحُلة، ج1، ص(35-36)؛ ابن الخطيب، أعمال، ص(7-8).

* يوسف الفهري: يوسف بن عبد الرحمن، أصله من قريش، من بيت عريق من سلالة عقبة بن نافع الفهري، وهو آخر ولاة الأندلس، استمر والياً عليها حتى أقصاه عبد الرحمن الداخل وقتله سنة141هـ/758م. انظر: ابن القوطية، ص(45-46)؛ المقَّري، نفح، ج1، ص(299،238).

[1] ابن القوطية، ص(581-585)؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص(154-155). الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن، يُكنى أبا جوشن، أصله من شوذر من أعمال جيان، كان جده من أشراف الكوفة، وهو أحد قتلة الحسين بن علي رضي الله عنهما، لقب بذي اللسانين لفصاحته، وكان رئيس المضرية ورأس المتعصبين لها ضد اليمانية في ولاية يوسف الفهري، وتوفي في سجن عبد الرحمن الداخل سنة 142هـ/759م. انظر: ابن حزم، ص270؛ ابن الأبار، الحلة، ج1، ص(65-68)؛ ابن عذارى، ج2، ص34.

[2] ابن عذارى، ج2، ص26.

[3] المقَّري، نفح، ج1، ص249.

ولم تمدّنا المصادر بمعلوماتٍ وافيةٍ عن أوضاعِ مدينة وادي آش خلال هذه الفترة، سوى إشارة أوردها ابن القوطية يتحدث فيها عن سوء الأوضاع فيها خلال ولاية حسام بن ضرار الكلبي، ولكنها ما لبثت أن تحسنت في عهد الوالي يوسف الفهري، بعدما سانده زعماؤها في الوقوف في وجه الأمير عبد الرحمن الداخل، ثم تنكروا له والتفوا حول الداخل، وأعلنوا طاعتهم له[1].

وفي عصر الإمارة الأموية(138-316هـ/755-928م) قامت في بعضِ مدنِ الأندلس عدةُ ثورات ومنها مدينة وادي آش التي تعرضت لحملة تمردٍ واسعةٍ شنها وجيه الغساني* في عهد الأمير عبد الرحمن الأول[2]، الذي أسند إلى عيسى بن شهيد(ت:243هـ/858م)* مهمة إخمادها[3]، ولم تزوّدنا المصادر بأية معلوماتٍ إضافيةٍ عنها.

وفي عهد محمد بن عبد الرحمن الأوسط(238-273هـ/852-886م)*، وتحديداً سنة267هـ/881م، شرع عمر بن حفصون(ت:314هـ/926م)* بالثورة على الأمويين، وتُعدّ ثورته من أخطر الثورات التي تعرضت لها الأندلس[4]، منذ عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن

---

[1] ابن القوطية، ص(45-46).

* وجيه الغساني: أحد المساندين لثورة لشقيا بن عبد الواحد المكناسي ضد الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل. انظر: الحايك، عبد الرحمن، ص107.

[2] الحايك، ص107؛ طه، ص232؛ سعيد، الحياة، ص134.

* عيسى بن شهيد: مولى بني أمية، من البربر، وقيل أنه رومي، دخل والده إلى الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل، وهو حاجب الخليفتين الأمويين عبد الرحمن الأوسط، ومحمد بن عبد الرحمن، وأسند إليه الأول بعض المناصب القيادية أثناء غزو النورمان لإشبيلية سنة230هـ/845م، وتوفي سنة 243هـ/858م. انظر: ابن القوطية، ص(88-89)؛ انظر أيضاً: الحايك، ص(107-108).

[3] الحايك، ص107.

* محمد بن عبد الرحمن الأوسط: خامس أمراء الدولة الأموية في الأندلس، حكمها لخمسة وثلاثين سنة، وعرف عهده بالضعف والتمزق، فظهرت فيه دويلات الطوائف، مما أدى إلى انقسام الأندلس لدول مستقلة، بالإضافة إلى ظهور ثورة عمر بن حفصون التي استمرت أكثر من أربعين سنة. انظر: اسماعيل بن إبراهيم، ص(47-48).

* عمر بن حفصون بن عمر جعفر الأسلمي، من المولدين من أصول نصرانية قوطية، جده جعفر أول مَنْ أسلم من أسرته في عهد الأمير الحكم بن هشام(180-206هـ/796-822م)، وقد تزعم عمر بن حفصون ثورة المولدين بكورة ريَّة ضد الدولة الأموية سنة 267هـ/881م، واستمر حتى سنة 316هـ/927م. انظر: ابن عذارى، ج2، ص104؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص172؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج1، ص308.

[4] مسعد، العلاقات، ص17.

حتى عهد عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله(300-350هـ/913-961م)*، ويعود السبب في خطورة ثورته إلى قوة شخصيته وشراسته، بالإضافة إلى علاقاته الداخلية والخارجية، حيث كان لابن حفصون علاقاتٌ وطيدةٌ مع متمردين داخل الأندلس أمثال إبراهيم بن حجاج(ت:298هـ/911م)*-حاكم إشبيلية-[1]، كما كان على علاقة مع بعض حكام ولايات بلاد المغرب، كدولة الأغالبة*، والأدارسة، وكذلك الفاطميين*، الذين نادى بالدعوة لهم قبيل تنصُّره[2]، كما تحالف مع الإسبان في الشمال[3].

---

* عبد الرحمن الثالث: أمُّه أمُّ ولد اسمها مُزنة، تولى حكم بلاد الأندلس سنة 300هـ/913م، وكان عمره حينذاك اثنين وعشرين سنة، وفي سنة316هـ/928م أعلن الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين، وشهدت الأندلس في عهده ازدهاراً لافتاً، وتوفي سنة350هـ/961م. انظر: الضبي، ص17.

* إبراهيم بن حجاج بن عمر بن حبيب بن عُمير بن أسعد اللخمي، حاكم إشبيلية وقرمونة في عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، كان له دورٌ بارزٌ في حملة المطرف بن الأمير عبد الله ضد الخارجين على سلطة الإمارة في شرق الأندلس، وغزا معه شذونة ومورور، وتوفي سنة298هـ/911م، وهو ابن ستين سنة. انظر: ابن القوطية، ص(116-117)؛ العذري، ص103.

[1] ابن عذارى، ج2، ص129؛ مؤلف مجهول، ذكر، ص155؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج1، ص333.

* دولة الأغالبة: هي احدى الدول المستقلة عن الخلافة العباسية في بغداد، قامت في بلاد المغرب الأدنى، وتنسب إلى الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي(ت: 150هـ/767م)، والي العباسية في البلاد المذكورة، وتأسست بالفعل عام 184هـ/800م على يد إبراهيم بن الأغلب(184-196هـ/800-812م)، الذي نادى في بداية أمره بالولاء للخلافة العباسية، ثم استقل بالأمر، ودامت دولة الأغالبة حتى سنة296هـ/909م، ووثق املاكهم الدولة الفاطمية، ويعتبر عصر الأغالبة من أفضل العصور في بلاد المغرب، بسبب الرخاء والازدهار الحضاري الذي ساد في بلاد المغرب الأدنى خلال فترة حكمهم. انظر: ابن وردان، تاريخ، ص35؛ انظر أيضاً: مسعد، العلاقات، ص57؛ سالم، تاريخ المغرب، ص(260-265).

* الدولة الفاطمية: هي واحدة من الدول الاسلامية، اتخذت من المذهب الشيعي مذهباً لها، وعرفت بالفاطمية نسبة إلى فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، كما عرفت بالعبيدية نسبة إلى عبيد الله المهدي(297-322هـ/909-934م)، وبدأت الدعوة الفاطمية في المغرب على يد أبي عبد الله الشيعي(ت:298هـ/911م) بمساعدة قبيلة كتامة البربرية، واستمر الفاطميون في حكم بلاد المغرب حتى انتقالهم إلى مصر سنة362هـ/972م، إلى ان انتهت دولتهم على يد الأيوبيين سنة567هـ/1171م. انظر: ابن عذارى، ج1، ص(124-127)؛ انظر أيضاً: سالم، تاريخ المغرب، ص(507،515).

[2] اللافي، ثورة، ص(374-375).

[3] الدليمي، التحديات، ص(26-27).

وابتدأ ابن حفصون بمدينة ريّة*، ثم امتدت ثورته لتشمل عدة مناطقَ بين ريّةَ والجزيرةِ الخضراءِ وقرطبةَ وإلبيرة– ومنها وادي آش[1]–، فنهض الأمراء الأمويون لمواجهته، وأشاد ابن عذارى بموقف الأمير المنذر بن محمد(273–275هـ/886–888م)* من ثورة ابن حفصون، وأضاف "لو عاش المنذر عاماً واحداً زائداً، لم يبق بريّةَ مُنافق"[2]، وعندما تولى الأمير عبد الله بن محمد(275–300هـ/888–912م)* الإمارة بعد أخيه المنذر سنة 273هـ/886م، قام بإرسال عدةَ حملاتٍ لملاحقة ابن حفصون، واتُّخِذت مدينة وادي آش مَعبراً لها، ففي سنة281هـ/894م توجّه المطرف بن الأمير عبد الله* في جند الأندلس إلى مدينة ريَّة، وحاصر ابن حفصون في ببُشتر* مقر إقامته، مما دفع الأخير لمواجهة المطرف بن عبد الله، لكنّه هُزم، الأمر الذي دفع الأخير للعودة إلى قرطبة[3].

---

* ريّة: كورة واسعة بالأندلس، متصلة بالجزيرة الخضراء، تقع جنوبي قرطبة، اشتهرت بمدنها وحصونها الكثيرة، نزلها جند الأردن بُعيْد الفتح الإسلامي. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص116؛ الحميري، الروض، ص(279– 280).

[1] مسعد، العلاقات، ص17.

* المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، أبو الحكم، أمَّه أمُّ ولد تدعى أثل، وضعته لسبعة أشهر من الحمل سنة 229هـ/843م، وأما صفاته الخَلقية: فأسمر، طويل، كثُّ اللِّحية، أجعد، يخضَّب بالحناء، وفي وجهه أثر جدري، وله من الأبناء الذكور خمسة، ومن الإناث ثمانية، تولى الحكم بعد والده الأمير محمد سنة273هـ/886م، ووصف بالشجاعة ومضاء العزيمة، ولكنه لم يمكث طويلاً؛ إذ مات وهو محاصر لابن حفصون في قلعة بُبشتر سنة275هـ/888م. انظر: ابن عذارى، ج2، ص113؛ ابن الأبار، الحُلة، ج1، ص(120، 129، 137–138).

[2] ابن عذارى، ج2، ص120.

* أبو محمد عبد الله بن محمد بن الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط بن الحكم، تولى عرش الإمارة بعد أخيه المنذر سنة 275هـ/888م، واستمرت خلافته خمسة وعشرين سنة، وهو أديبٌ، شاعرٌ، وعالمٌ باللغة العربية وأيام العرب، تخللت فترة حكمه العديد من الفتن، توفي سنة300هـ/912م عن عمر اثنين وسبعين سنة. انظر: ابن الأبار، الحُلة، ج1، ص120.

* المطرف بن الأمير محمد بن عبد الله، يكنى أبا القاسم،" كان شاعراً، عالماً بالغناء، وكان عقبه قد انقرض"، توفي في حياة والده وهو ابن أربعة وعشرين سنة. انظر: ابن الأبار، الحُلة، ج1، ص128.

* بُبشتر: حصن روماني قديم، من أمنع حصون الأندلس، بينه وبين قرطبة ثمانون ميلاً، تحيط به القرى والحصون الصغيرة، كما يحتوي على عدد من الكنائس والأديرة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص333؛ الحميري، الروض، ص79.

[3] عنان، دولة، ج1، ص336.

وعقب عودة الأمير المطرف إلى قرطبة، ما لبث ابن حفصون أن استجمع قواه وتوجه نحو إستجة، وتمكن من السيطرة عليها للمرة الثانية، وذلك سنة 284هـ/897م[1]، الأمر الـذي دفع الأميرَ عبدَ الله إلى إرسال ابنه أبان لقتاله سنة 285هـ/898م، حيث بـدأت الحملـة مـن الجزيرة الخضراءِ، ووصلت إلى طريف، ثم ارتدّت إلى ببُشتر ومنها إلى أرشذونة ثـم إلبيـرة وحصن شلوبانية*، وحدث هناك عدةُ معارك بينها وبين قوات ابن حفصون، وعادت الحملة إلى قرطبة عن طريق وادي آش، ولم يصلوا إلى أيِّ نتيجةٍ حاسمة من خلال هذه المعارك[2].

كما ظهر دور مدينة وادي آش خلال محاولات الأمير عبد الرحمن الثالث القضاء على تمرد ابن حفصون، حيث اتَّبع سياسةً أكثرَ حزماً وقوةً في معاملة المتمردين، فقـد وجّـه لهـم الضرباتِ الواحدةَ تلو الأخرى، ولم يدع لهم فرصةً لتجميع قواهم، كما اعتمد على نفسه في قيادة الحملات العسكرية، الأمر الذي أثار الحماس لدى جنوده، أما ابن حفصون فكان آنذاك قد تقدّم به السّنُ، وفقد كثيراً من أنصاره ومؤيديه[3].

توجّه الأميرُ الناصرُ لدين الله في حملة للقضاء على حركات التمرد والعصيان إلى كورة إلبيرة ونواحيه سنة 300هـ/912م، واستمر مدةَ ثلاثةِ شهورٍ[4]، من شهر شعبان حتـى عيـد الأضحى، وتعرف بالمصادر العربية باسم(غزوة المنتلون)[5]، توجّه خلالها إلـى مدينـة وادي آش، وعند اقترابه منها لاذ أغلب متمرديها بالفرار، وفي الرابع من شوال من السنة نفسها توجّه إلى حصن فنيانة[6]– القريب من وادي آش[7]– وضرب حوله الحصار، وأشعل النيران، الأمـر الذي دفع أهلها إلى طلب الأمان، فاشترط عليهم تسليمه مَنْ بحوزتهم من شيعة ابـن حفصـون

---

[1] ابن عذارى، ج2، ص128.

* شلوبانية أو شلوبين أو شلوبينية، تقع غرب مدينة المرية. اشتهرت بزراعة قصب السكر، وبها حصن منيع، وخصصت لإرسال من يغضب عليه السلطان من أقاربه. انظر: العمري، ج4، ص(123–124)؛ عنان، الآثار، ص262.

[2] ابن عذارى، ج2، ص128؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج1، ص336.

[3] الدليمي، ص27.

[4] مصطفى، الأندلس، ص43.

[5] السامرائي، ص157.

[6] ابن عذارى، ج2، ص162.

[7] الحميري، الروض، ص441.

مقابل ذلك فاستجابوا له[1]، وبعد سيطرته على وادي آش زحف منها إلى شلوبينية وعاد بعد ذلك إلى قرطبة[2]، وبلغ عدد الحصون التي استولى عليها ما يُقارب من سبعين حصناً كبيـــراً مـــع توابعها التي بلغت ثلاثمئةٍ ما بين حصن صغير وبرج[3]، واستطاع بعد سلســلة طويلـــة مـــن الحروب أن يقضي على أطول الثورات عمراً، وأشرسها قوة، وذلك سنة 316هـ/928م، بعـــد أن استغرقت حوالي نصف قرن من الزمان[4].

وصمتت المصادر التاريخية عـــن ذكـــر مدينـــة وادي آش خـــلال عصـــر الخلافـــة الأموية(316–422هـ/928–1030م)، باستثناء ما ورد في عصـــر الفتنـــة البربريـــة(399–422هـ/1009–1031م)*، حيث شهدت المنطقة حالة من الفوضى والصراعات الداخلية، الأمر الذي دفع خيران العامري(402–419هـ/1011–1028م)*، لبسط سيطرته على مدينـــة وادي آش[5]، بالإضافة إلى مقتل الخليفة الأموي عبد الرحمن المرتضي بالله، بالقرب منها[6] في الثالث الثالث من جمادى الأول من سنة 409هـ/1018م[7].

---

[1] ابن عذارى، ج2، ص162.

[2] مؤنس، معالم، ص355.

[3] سالم، تاريخ المسلمين، ص280؛ مؤنس، معالم، ص355.

[4] ابن عذارى، ج2، ص194.

* الفتنة البربرية: هي صراع دموي استمر من(399–422هـ/1009–1031م) بعد مقتل شنجول بن المنصور، وكـــان البربر عنصر أساسي في أحداثها، وشملت جميع مدن الأندلس، وكان من أبرز ملامحها عزل العديد من الخلفاء وقـــتلهم، ونتج عنها انهيار الخلافة الأموية وقيام دول الطوائف. انظر: أبو الفضل، مدينة، ص(83– 84).

* خيران العامري الصقلي: حاكم المرية ومرسية، حظي بمكانة رفيعة في الدولة خلال عهد الخليفة هشام المؤيد، وكان من أهم فتيان المنصور محمد بن أبي عامر(367–392هـ/977–1002م)، شارك في أحداث الفتنـــة فـــي مطلـــع القـــرن الـــ4هـ/10م، وتمكن من السيطرة على مرسية والمرية ســـنة402هـــــ/1011م، فأخضـــعها لســـلطانه حتـــى وفاتـــه سنة419هـ/1028م. انظر: ابن الخطيب، أعمال، ص(193–194، 210–216).

[5] مؤلف مجهول، ذكر، ص218.

[6] ابن عذارى، ج3، ص127؛ ابن الخطيب، أعمال، ص131؛ ابن الأثير، ج8، ص(99–100)؛ انظر أيضاً: حتاملـــة، الأندلس، ص422.

[7] ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص115.

وكانت بداية الأمر سنة 407هـ/1017م عندما علم القاسم بن حمود(408-412هـ/1018-1022م)* بقيام خيرانَ العامري بتعيين خليفةٍ من سلالة بني أمية يُدعى عبدُ الرحمن ابنُ محمد بن عبد الله بن الناصر – الملقب بالمرتضى بالله– فعمل على تحسين علاقته مع العامريين، فمنح زهير العامري(409-429هـ/1028-1038م)* مدينة جيان وبياسة* وقلعة رباح*، وخاطب خيران واستعطفه واجتمع معه في المرية، وكان لذلك دورٌ في مقتل المرتضى، خاصةً لمَّا رأوا منه الجفاء، فندما على مبايعته[1]، واجتمع أكثر أمراء الطوائف عند المرتضى، وفي مقدمتهم خيران وزهير العامري، ومنذر بن يحيى التجيبي(403-412هـ/1012-1021م)*، وجملة من موالي العامريين، أجمعوا على إعادة الخلافة بقرطبة، ولكن هؤلاء خافوا من انتصار المرتضى وتعيينه خليفة، إذ يتعارض ذلك مع مطامعهم الشخصية، فأجمعوا على الغدر به[2].

وأورد ابن بسام سبب غدر كل من منذر التجيبي وخيران العامري بالمرتضى؛ إذ أنّهما أرسلا إلى المرتضى أن يلحق بهم إلى شاطبة من أجل التجمع فيها، والانتقال منها إلى قرطبة،

* القاسم بن حمود بن ميمون الإدريسي، الملقب بالمأمون: تولى أمر الأندلس بعد مقتل أخيه علي بن حمود(407-408هـ/1017-1018م) سنة 408هـ/1018م، عرف بحسن سيرته، دخل إلى الأندلس بصحبة أخيه علي بن حمود أثناء سيطرة العامريين على الخلافة، ووقفوا في الفتنة الأندلسية إلى جانب سليمان المستعين بالله(400-407هـ/1009-1016م) لاستعادة الخلافة، فأعطى قرطبة لعلي بن حمود وعين القاسم على الجزيرة الخضراء وطنجة وأصلا. انظر: ابن عذارى، ج3، ص(113-115)؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج1، ص(653-654).

* زهير العامري: تولى حكم المرية خلال عصر ملوك الطوائف خلفاً لخيران الصقلبي سنة 419هـ/1028م، وحكمها ما يقارب عشر سنوات، وتوجه بجيشه إلى غرناطة والتقى بجموع الصنهاجيين بقيادة باديس بن حبوس، ووقعت بينهم حرب، كان النصر فيها للصنهاجيين، فانهزم الصقالبة، وقتل زهير العامري سنة 429هـ/1038م. انظر: ابن الخطيب، الاحاطة، ج2، ص444؛ أعمال، ص(291-292)؛ المقَّري، نفح، ج4، ص517.

* بياسة: مدينة بالأندلس، من أعمال جيّان، بينها وبين أُبدة فرسخان، لها أسوار وأسواق ومتاجر، واشتهرت بكثرة الزعفران. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج1، ص518؛ الحميري، الروض، ص121.

* قلعة رباح: مدينة محدثة من أيام بني أمية، من أعمال جيّان، تقع بين قرطبة وطليطلة، لها حصن حصين على نهر آنة. انظر: الحميري، الروض، ص469.

[1] ابن الأثير، ج8، ص(100-101).

* منذر بن يحيى ابن المطرف بن عبد العزيز بن يونس، ويتصل بنسبه بأبي المهاجر دينار، ملك سرقسطة ومنطقة الثغر الأعلى في عهد ملوك الطوائف، يُكنى أبا الحكم، ويُلقب بالحاجب المنصور وذي الرياستين، توفي سنة 430هـ/1038م على يد أحد أبناء عمه، عبد الله بن حكم. انظر: ابن الأثير، ج8، ص110؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص(281-286).

[2] المقَّري، ج1، 485.

فلما طلبا منه أن يشاركهم مبارك العامري(400-408هـ/1010-1018م)* عارضهم في ذلك بحجة أن يبقى مباركٌ لجمع الأموال، الأمر الذي أثار غضبهما، فحقدا عليه وأجمعا على الغدر به، فزيّنا له فكرة أنه لا يمكنه غزو قرطبة إذا لم يقم بمهاجمة بربر غرناطة، فاصطحباه إلى غرناطةَ ليشنّ حرباً على صاحبها زاوي بن زيري، وفي الوقت نفسه أرسلا لزاوي بن زيري أنّ المرتضى يريد أن يغدر به[1]، وما أن وصلت جموع أمراء شرق الأندلس بصحبة المرتضى لمقاتلة بني زيري[2]، حتى كتب المرتضى إلى زاوي يطلب منه الدخول في طاعته، وبعد عدة مراسلات رفض زاوي ذلك[3]؛ الأمر الذي أدى إلى زيادة غضب المرتضى الذي يعتقد بأنّه سيقضي على زاوي ويهزمه[4]، وتقابل الطرفان واقتتلا قتالاً شديداً واستمرت الحرب بينهم أياماً[5]، أرسل خلالها زاوي إلى خيران العامري يطلب منه العون، فأجابه إلى طلبه[6]، وانتهى الأمر بهزيمة المرتضى وفراره، وبالتالي قتله بالقرب من وادي آش[7].

أحوال مدينة وادي آش خلال عصر المملكة الزيريّة(403- 483هـ/ 1012- 1090م)

ينتمي بنو زيري إلى قبيلة صنهاجة البربرية، إحدى بطون قبيلة البرانس[8]، وتُنسب إلى

إلى

* مبارك العامري: من عبيد بني أبي عامر في الأندلس، وحاكم مدينة بلنسية في عهد ملوك الطوائف، بالمشاركة مع مظفر العامري(412-427هـ/1021-1036م)، حيث كانا يعملان في وكالة الساقية ببلنسية، ثم توليا الحكم فيها، وعمرت بلنسية في عهدهما، وقاما بتحصينها، مما جعل كثيراً من أهالي قرطبة ينتقلون إليها. انظر: عنان، دولة، ج2، ص217؛ الزركلي، ج5، ص271.

[1] ابن بسام، الذخيرة، ج1، ص(453-454).

[2] ابن الخطيب، الاحاطة، ج3، ص297.

[3] ابن بلقين، ص(22-23)؛ ابن بسام، ج1، ص(453-456)؛ ابن عذارى، ج3، ص(125-126)؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(515-516)؛ المقَّري، نفح، ج1، ص485.

[4] المقَّري، نفح، ج1، ص485.

[5] ابن بسام، ج1، ص454؛ ابن الأثير، ج8، ص100؛ ابن عذارى، ج3، ص126؛ ابن الخطيب، أعمال، ص131؛ المقَّري، نفح، ج1، ص485.

[6] المقَّري، نفح، ج1، ص485.

[7] ابن بسام، ج1، ص(454-455)؛ ابن عذارى، ج3، ص(126-127).

[8] ابن خلدون، تاريخ، مج6، ص201. قبيلة البرانس: من البربر، ينسبوا إلى كنعان بن حام، وتضم سبعة قبائل هي: أذداجة، ومصمودة، واوربة، وعجيسة، وكتامة، وصنهاجة، وأوريغة. انظر: ابن خلدون، تاريخ، مج6، ص(117-124).

حِميَر[1]، وتعتبر بلاد المغرب الأدنى* والأوسط* موطنهم الأصلي[2]، وأنفرد القلقشندي بـالقول إنهم من عرب اليمن، ولا ينتمون إلى البربر[3]، كما نفى ابن حزم صلتهم بحمير[4].

انتقل بنو زيري من المغرب إلى الأندلس بقيادة زاوي بن زيري نتيجة خلاف دار بينهم وبين بني عمومتهم[5]، وحسْب ما ذكر الأمير عبدالله في مذكراته أنّه على أثر هذا الخلاف وما تبعه من حروب، أرسل زاوي إلى المنصور بن أبي عامر يستنجده ليسمحَ لهم بالدخول إلى الأندلس والجهاد فيها، فأذِن لهم، وأحسن استقبالهم، واتّخذهم أولياء له ولدولته[6]، كما أشار ابن خاقان إلى دخولهم في عهد المنصور دون أن يحدّد التاريخ، وذكر أن المنصور أدخلهم الأندلسَ ليذلَّ بهم بعض القبائل[7]، واعتبر ابن الأثير سنة 373هـ/983م هي سنة نزول زاوي بقيادة أخويه جلال وماكسن إلى الأندلس، وأكدّ أنّ المنصور اتّخذهم بطانة له[8]، وذكر ابن خلدون أن زاوي أرسل إلى المنصور يستأذنه بالدخول ومن معه إلى الأندلس، فأجاز لهم دخولها سنة391هـ/999م[9]، بينما ذهب ابن بسام وابن عذارى بالقول إن زاوي دخلها في عهد

---

[1] ابن خلكان،ج1، ص266. قبائل حمير: إحدى أشهر قبائل العرب، تنسب إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود، ويعتبر اليمن موطنهم الأصلي، ومن القبائل التي يصل نسبها إلى حمير: الأوزاع، المشاجر، المرافشة، والشحر، وقضاعة، وغيرها. انظر: ابن حزم، ص(406-411).

* المغرب الأدنى: أو ما يسمى أفريقية، ويضم جمهورية تونس الحالية والأجزاء الشرقية من الجزائر، كانت عاصمته القيروان في عهد الأغالبة، ثم أصبحت المهدية في فترة حكم الفاطميين، ثم استقرت على تونس حتى يومنا هذا. انظر: العبادي، في تاريخ، ص10.

* المغرب الأوسط: يضم المنطقة المعروفة بالجزائر حالياً، كانت عاصمته تاهرت في أيام حكم الدولة الرسمية الخارجية الأباضية، وفي عهد الدولة الصنهاجية كانت عاصمته مدينة أشير، وفي حكم بني زيان كانت عاصمته تلمسان، ثم أصبحت عاصمته جزائر بني مزغنّة، وهي الجزائر اليوم. انظر: العبادي، في تاريخ، ص(10-11).

[2] ابن خلدون، تاريخ، مج6، ص202.

[3] القلقشندي، قلائد، ص170.

[4] ابن حزم، ص461.

[5] ابن الأثير، ج7، ص413؛ ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص238؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة غرناطة، ص87.

[6] ابن بلقين، ص(16-17).

[7] ابن خاقان، مطمح، ص389.

[8] ابن الأثير، ج7، ص413.

[9] ابن خلدون، تاريخ، مج6، ص238.

الحاجب المظفّر عبد الملك ابنِ المنصور بن أبـــي عـــامر(392-399هــــ/1002-1009م)[1] وأورد السيدُ عبدُ العزيز سالم أن سنة 393هــ/1001م هي سنة قدوم زاوي ومَــن معـــه إلـــى الأندلس[2]، وترجّح المراجع رواية كل من ابن بلقين وابن خلدون، لأن ابن بلقين أحد ملوك بني زيري وأقرب من غيره إلى الحدث، ولكوْن ابن خلدون حُجةً في تاريخ البربر[3].

بدأ حكم بني زيري لمنطقة إلبيرة التـــي تعتبـــر وادي آش واحـــدةً مـــن أهـــم مـــدنها سنة(403هــ/1012م)، بعد أن أجاز لهم سليمان المســـتعين(403-409هــــ/1013-1016م) بذلك[4]، وذكر الأمير عبد الله في مذكّراته أنّه لما رأى أهل إلبيرة اختلاف ســـلاطين الأنـــدلس، عقب انتهاء الدولة العامرية خافوا على مدينتهم، فأصرّوا على زاوي ومن معه بإعطائهم الأموالَ والسُكْنى مقابل إبقائهم للدفاع عنها، إلا أنهم هموا بمغادرة البلاد بعد تفكك دويلاتها، لكنّ أهـــل إلبيرة أصرّوا على إبقائهم للدفاع عنها، وبعد موافقة زاوي توجّه إلى منطقة إلبيرة مع ابن أخيه حبوس بن ماكسن، برفقة جموع من البربر، فأعلنت كل من جيان وحصن آشر* الطاعة لهـــم، ولمّا وصلوا اكتشفوا أنّ حاميتها ضعيفة، فشرعوا ببناء مدينةٍ جديدةٍ بالقرب منها، وهي مدينـــةُ غرناطةَ التي أضحت فيما بعد عاصمةً لدولتهم[5].

---

[1] ابن بسام، ج1، ص81؛ ابن عذارى، ج3، ص263؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة غرناطة، ص(87-88). ابو مـــروان الحاجب المظفر عبد الملك بن محمد بن أبي عامر المعافري المنصور، الملقب بالمظفر وسيف الدولة، ولي الحجابة بعـــد موت أبيه سنة392هــ/1002م تولى تدبير المملكة وسار على نهج أبيه وخاصة في توالي الغزوات، وقد كثر خصـــومه وأعداؤه وعلى رأسهم أخوه عبد الرحمن(398-399هــ/1008-1009م) الذي سعى لقتله والتخلص منه. تـــوفي ســـنة 399هــ/1009م. انظر: ابن عذارى، ج3، ص(3-5).

[2] سالم، تاريخ المسلمين، ص337.

[3] طويل، مملكة غرناطة، ص(92-93).

[4] ابن عذارى، ج3، ص113؛ ابن الخطيب، أعمال، ص119؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة، ص92؛ عنان، دولـــة، ج2، ص123. سليمان المستعين: سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، ولد سنة354هــ/965م وأمّه أمّ ولـــد اسمها ظبية، وكان أديباً وشاعراً، تولى الحكم سنة399هــ/1009م وسط ظروف سياسية مضطربة، وتلقـــب بالمســـتعين بالله، وبقي على رأس الحكم حتى انقلب عليه علي بن حمود الحســـني(ت:408هــــ/1017م) وقتلـــه، ودخـــل قرطبـــة سنة407هــ/1016م. انظر: ابن الأبار، الحلة، ج2، ص(5-11).

* حصن آشر: حصن حصين يبعد عن أرشذونة مسافة عشرون ميلاً، وبينه وبين مدينة باغة ثمانية عشر مـــيلاً، اشـــتهر بحسن عمارته وكثرة أسواقه. انظر: الإدريسي، مج2، ص(570-571).

[5] ابن بلقين، ص(18-22)؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج2، ص123.

وذكر ابن الكردبوس أنّه عندما عَلِمَ زاوي بمقتل المهدي(399-400هـ/1009-1010م)* ثار جنودُه في منطقة غرناطةَ[1]، وأكّد صاحبُ كتاب تاريخ بلاد الأندلس ذلك، فقد ذكر أنّ زاوي حكم المنطقة بعد ثورةٍ قادها في كل من غرناطةَ ووادي آش وقبرة* وغيرها من أعمال ريّة وجيان[2]، وروى ابن الخطيب أنّه مع اشتداد الخلاف بين الأندلسيين والبربر، زحف البربر إلى المستعين في مقر خلافته بقرطبةَ وطالبوه ببلادٍ يلجؤون إليها إذ لا يأمنون على أنفسهم من عواقب الأزمان، فاستقر زاوي بإلبيرة وجيّان معاً[3]، وأضاف أنّه عندما استولى البربر وأميرهم المستعين على قرطبةّ سنة 403هـ/1012م استقر زاوي بمدينة غرناطةَ واتّخذها قاعدة له[4]، ثم قال إنّه مع سيطرة بني حمود على قرطبة افترق أمر البربر وانحاز زاوي جهة غرناطة واستقر فيها "فلما انهدمت الإمامةُ، وانشقت عصا الجماعة، سعوا في الفتنة سعي غيرهم من سائر قبائل البرابرة، عند تشديد أهل الأندلس للبربر، وانحازوا عند ظهورهم على أهل الأندلس، بملوك بني حمود، إلى بلاد تضمهم، فانحازت صنهاجةُ مع شيخهم ورئيسهم زاوي بن زيري إلى مدينة غرناطةَ... واتّخذوها ملجأً. وحماها زاوي المذكور، وأقام بها ملكاً، وأثّل بها سلطاناً لذويه"[5].

ويذهب ابن خلدون مذهب ابن الخطيب فيذكر أنّه مع استيلاء بني حمود على قرطبة وتفرق كلمة البربر، لجأ زاوي مع صنهاجةَ إلى إلبيرة وسيطر على ضواحيها[6]، بينما ذهب

---

* المهدي: محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر، امّه أمّ ولد اسمها مزنة، يكنى أبا الوليد، ولقب نفسه بالمهدي، ولقبته العامة بالمنقش لهشاشته وطيشه، تولى الخلافة مرتين، الأولى بعد خَلع هشام بن الحكم سنة 399هـ/1009م، حيث تم خلعه سنة 400هـ/1010م، ليتولى الحكم سليمان بن الحكم، والثانية بعد الأخير لمدة تسعة وأربعين يوماً. انظر: ابن عذارى، ج3، ص50.

[1] ابن الكردبوس، تاريخ، ص67.

* قبرة: كورة من كور الأندلس، تقع بين قرطبة ومالقة، بينها وبين الأولى 30 ميلاً، تكثر فيها العيون والأشجار والنباتات، وتحتوي على مغارة كبيرة تعد من عجائب الأندلس. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص305؛ الحميري، الروض، ص453.

[2] مؤلف مجهول، تاريخ بلاد الأندلس، ص256.

[3] ابن الخطيب، أعمال، ص(227-228)؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة غرناطة، ص92.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص140؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة غرناطة، ص92.

[5] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(432،514).

[6] ابن خلدون، تاريخ، مج6، ص239.

المؤرخ محمد عنان بالقول إنّ المستعين أجاز لهم بذلك تقديراً لما قدموه من دورٍ كبيرٍ في إيصاله للحكم من جهة، ومن جهة أخرى قال إنّ الخليفة المستعين منحهم إياها لتشتيت شملهم وإبعادهم عن قرطبة مقر خلافته[1].

ويُذكر أن زاوي بن زيري قد توجّه إلى المغرب سنة 410هـ/1019م واستقر في القيروان* حيث المُعزّ بن باديس(406-453هـ/1015-1061م)*، وقد أورد ابن بلقين في مذكراته أن انتقال زاوي كان بهدف الاستيلاء على القيروان[2]، بينما أجمعت المصادر أن نزوحه جاء تحسباً من غدر أهل الأندلس به حيث لم يعد يأمنهم على نفسه وبلاده[3]، وأضاف عنان سبباً آخرَ وهو خوفهُ من أهل زناتة* أن يتحالفوا مع الأندلسيين ضده[4].

وأوكلت المدينة من بعده إلى ابن أخيه حبوس بن ماكسن الذي كان مقيماً في حصن آشر أحد حصون غرناطةَ، وذلك سنة 411هـ/1021م[5]، وقد انتهج خلال فترةِ حكمه سياسةً تميزت تميزت بالإستقرار النسبي على مختلف المستويات، واستمر حبوس في حكمه حتى وفاته سنة 429هـ/1038م[6]، وخلفه في الحكم ابنُه باديس، وشهدت فترة حكمه سلسلةً من الصراعات الداخلية والخارجية، وكانت البداية مع ابن عمه يدَّيْر بنُ حباسةَ بنُ ماكسن الذي حاول السيطرة

---

(1) عنان، دولة، ج2، ص123.

* القيروان: قاعدة البلاد الإفريقية، وأهم مدنها، تقع في بيئة رملية لا ينبت فيها شجر ولا ثمر، كما لا يوجد فيها ماءٌ صالحٌ للشرب، تبعد مسافة ستة وثلاثين ميلاً عن البحر المتوسط، وأربعين ميلاً عن المهدية والمنستير. انظر: الحميري، الروض، ص486؛ الوزان، وصف، ص(460،464).

* المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، تولى ولاية القيروان وهو طفل صغير بعد وفاة والده باديس بن منصور(386-406هـ/996-1016م)، واستمر حكمه سبعة وأربعين سنة، وهي من أطول فترات الحكم خلال العصر الزيري. انظر: ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص(18-19).

(2) ابن بسام، مج1، ق1، ص458؛ ابن عذارى، ج3، ص128؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص517.

(3) ابن بلقين، ص24؛ ابن بسام، مج1، ق1، ص(458-459)؛ ابن سعيد، ج2، ص106؛ ابن عذارى، ج3، ص(128-129)؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(516-517)؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة غرناطة، ص100.

* زناتة: قبيلة بربرية، موطنهم بافريقية والمغرب، وتنقسم إلى ثلاث قبائل رئيسية هي: جيراوة والمغراوة وبنو يفرن. انظر: ابن خلدون، تاريخ، مج7، ص(3-7).

(4) عنان، دولة، ج2، ص125.

(5) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص477.

(6) ابن بلقين، ص(42،30).

على الحكم بالاتفاق مع بعض شيوخ صنهاجة. يتحدث ابن بلقين عن علاقة يدَّيْر بنِ حباسه مع عمه حبوس، إذ كان يفضّله على ولديه باديس وبلقين، ويعتمد عليه في كثير من الأعمال، كما فضّله بعض الصّنهاجيين على ولدي حبوس، وحاولوا إقناع حبوس أن يولي يدَّيْر حكم غرناطةَ بعد وفاته[1]، وعارضهم في ذلك أحدُ شيوخِ صنهاجةَ ويُدعى بفرقان، الذي أشار بأنّ الولاية لا تصلح إلا لباديس، فأخذ حبوس برأيه وجعل باديس ولياً للأمر، مما أشعل نارَ العداوةِ في نفس يَدَّيْر، الذي أخذ يجمع الصّنهاجين حوله، ويحرّض بلقين على قتل أخيه[2]، بتشجيعٍ من الكاتب أبي الفتوح ثابتٍ بنِ محمدٍ الجرجاني(ت:431هـ/1039م)[3].

كان هؤلاء المتآمرون قد شاركوا اليهودي إسماعيل بن نغرالة الذي كان قد أبقاه باديس كما كان في عهد أبيه حبوس، فتظاهر ابن نغرالة بالقبول، فاجتمعوا في منزله، فأرسل إلى باديس وأخبره بالأمر، وأتى معه إلى المنزل وقال له" ليس الخبر كالعيان! استمع بأُذنِك وعِ بقلبك!". ولما اجتمعوا وقرروا قتل باديس وإقامة يدير مكانه، كان باديس قد سمع ما يخططون له، الأمر الذي جعله يثق باليهودي، ويأخذ رأيه في أكثر أموره مع ابني عمه، ثم اتفق المتآمرون على قتل باديس، عند خروجه من الرملة[4]، – وهي قريةٌ تابعةٌ لمدينة وادي آش[5]–، آش[5]–، ووصل باديس إلى موضع هناك له بابان، وكان الشيخ الصنهاجي فرقان من بين المتآمرين، وقال في نفسه: " لم أجد فُرصةً نحظى بها عند باديس أمكن من هذه "، فأخبر باديس بالأمر، وقال له مختلساً "انجُ بنفسك واخرج من الباب الآخر، فإنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك"، فأخذ باديس بنصيحته وخرج من الباب الآخر متجهاً نحو قصبته، وعندما علموا بالأمر فرّوا إلى إشبيلية بقيادة يدير والجرجاني، أما بلقين شقيق باديس، فقد ذهب إلى أخيه وطلب منه العفو، وصفح باديس عنه، وهمَّ إلى قتل أكثر من مئتي رجلٍ من صنهاجةَ كانوا قد اشتركوا في

---

(1) ابن بلقين، ص(27–28)؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة غرناطة، ص120.

(2) ابن بلقين، ص(28–29).

(3) السيوطي، بغية، ج1، ص482. ابو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني: ولد سنة 350هـ/961م، وعُدَّ من علماء الأدب والشعر والمنطق والنجوم، وكان إلى جانب ذلك فارساً يتقن فنون الحرب، ارتفع شأنه لدى الحاجب المنصور بن أبي عامر، ثم لحق بغرناطة، إلى أن قتل على يد باديس بن حبوس سنة 431هـ/1039م؛ عقاباً له على اشتراكه بالثورة ضده. انظر: ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص(454–458)؛ السيوطي، ج1، ص482.

(4) ابن بلقين، ص31؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة غرناطة، ص121.

(5) المقرَّي، نفح، ج4، ص288.

المؤامرة ضده، وشاور وزيره اليهودي بذلك، فقال له: "أرى من الرأي ألّا تُؤنِّب أحداً على هذه الكتب، ولا تُعلِمْهم أنها صارت إليك، وأن تأمر الآن بنارٍ تحرقها بها وتطفئ أثرَها؛ فرأس العقل مداراة الناس. فإن عاقبتَ، كم عسى(أن) تعاقب، وهم أجنادك وأجنحتُك! فاحْتَل للأمر بغير هــذا الوجه!" فأخذ باديس بنصيحته واستعان ببعضهم على بعض[1].

وكانت مدينةُ وادي آش تابعةً لباديس بن حبوس، تحت وصاية وزيره يوسف ابنِ نغرالة الذي كان يدفع إلى باديس خمسةَ عشرَ ألفَ درهمٍ، وهي تساوي أكثرَ من مئةِ ألفِ دينارٍ، ونتيجةً لما كان عليه اليهود من تجبّرٍ وتسلّطٍ في الدولة، سعوا إلى السيطرة على وادي آش وانتزاعهــا من يد صاحبها ابن نغرالة، فدبّروا مكيدة مع بلقين ابن الأمير باديس، واقنعوه بأهمية هذه المدينة حيث قال أحدهم: "إنّه يلزمني طاعتك ونصيحتك لأكون لك كالذي أنا لأبيك؛ وأراك كثيرَ الذرية، تلزمك نفقاتٌ وتجمُّل الرياسة؛ ومن الغبن أن يكون وزراءُ والدك أغنى منك! وهــذه وادي آش، بنت غرناطةَ، لا تَجمُل إلا لك، وأنا أعمرها وأجعلك تأخذ فيها مائة ألف"، وعندما وصل الخبر إلى باديس وعلم بأمر ابنه وأنّه يريد وادي أش، قام بسحبها من وزيره ابن نغرالة وأعطاها إلى ابنه بلقين[2].

وأمام كل هذا بدأ يوسفُ بن نغرالة بتحضير مؤامرة لعزل الابن الأكبر بلقين عن ولاية العهد، وذلك بعد أن أظهر الأخيرُ من حقدٍ وكرهٍ له، وكان بلقين بالرَّغم من بغضه ليوسفَ، إلّــا أنّه كان يُظهر له المودة ويتردد على داره، ويشرب معه، فقرر يوسفُ القضاء على بلقين قبل أن يقضي هو عليه، فدعاه إلى بيته لتناول الشراب، ووضع له السُمَّ في شرابه، فمــا كــاد يغــادر مجلسه حتى أصابه ألمٌ وقيءٌ شديدٌ، واستلقى على الأرض، فلم يستطع الوصول إلى بيتــه إلّــا بمشقة، ولبث يومين يتألّم في فراشه، حتى توفي سنة 456هــ/1064م، فغضب باديس لوفاة ابنه على هذه الصورة المفاجئة، وصرف يوسفُ التهمة إلى طائفةٍ من فتيان ولده وجواريه وقرابته، فعاث فيهم باديس قتلاً وإبادة، فقتل بعضهم وفرّ آخرون[3].

---

[1] ابن بلقين، ص(32-34).

[2] المصدر نفسه، ص(38-39)

[3] ابن بلقين، ص(39-40)؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج2، ص134.

وفي ظل هذه الأحوال المضطربة، وما آل إليه باديس من ضعفٍ وهوانٍ علـــى فـــراق ابنه، انتهز يوسف ابن نغرالة ذلك، وزاد في تحكّمه، بمعنى أنه أصبح صاحب الأمر والنهي في البلاد، بَيدَ أن مكانته باتت تُزدرى لدى باديس وأعوانه، فذهب به الأمر للقاء المعتصم بالله ابـــن صمادح – صاحب المرية – وتحريضه على تصيير ملك باديس إليه، حيث صوّر له بأنّ أبواب غرناطةَ باتت سهلةً، وأوهمه بسهولة فتحها، ونجح في ذلك[1].

وعمل المعتصم بنصائحِ ابن نغرالة، فتوجّه إلى وادي آش وشحنها برجاله وتمكن مـــن إحكام سيطرته عليها وعلى جميع المناطق المحيطة، بها فلم يبق لباديس إلّـــا مدينـــةُ غرناطـــة والمنكب وباغة وقبرة[2]، كما توجّه إلى معاقل غرناطةَ الشرقيةِ واحتلها ولم يبق لباديس غيـــرَ حصن قبريرة القريب من غرناطة على طريق وادي آش[3]، وقد تمكّن المعتصم بالله من تملّـــك هذه المعاقل والحصون دون أن يلاحظ باديس خروجها من يده[4].

ولقد ساءت العلاقات إلى درجة كبيرة بين أهل صنهاجةَ واليهود وفـــي مقـــدمتهم ابـــن نغرالة، مما أجّج التوتر بين الطرفين قصيدة أبي اسحاق الإلبيري(ت:459هـ/1066م)*، التـــي يقول فيها:

---

[1] ابن بلقين، ص(50–53)؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة غرناطة، ص(135–136)؛ مملكة المرية، ص37.

[2] ابن بلقين، ص(52–53)؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة غرناطة، ص136. المنكب: تقع في أقصى جنوبي بلاد الأندلس، على ساحل البحر الأبيض المتوسط، فوق سفوح التلال الجنوبية لجبال الثلج(*Sierra Nevada*)، في منتصـــف المســـافة تقريباً بين مدينتي المرية شرقاً ومالقة غرباً؛ وتبعد المُنكّب عن المرية مائة ميل على البحر، وعن مالقـــة ثمـــانين مـــيلاً. الإدريسي، ج2، ص570؛ الحميري، الروض، ص548. باغة: من أعمال غرناطة، تقع إلى الشمال من لوشة، بالقرب من قلعة يحصب، في ولاية جيان، تبعد عن إلبيرة أربعين ميلاً، تكثر فيها المياه والأشجار والثمـــار. الحميـــري، الـــروض، ص122؛ طويل، مملكة غرناطة، ص56.

[3] ابن بلقين، ص53؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة غرناطة، ص136.

[4] ابن بسام، ق1، ص(768–769)؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة غرناطة، ص136.

* أبو إسحاق الإلبيري: إبراهيم بن سعيد التجيبي، كان فقيهاً ومحدثاً وأديباً وشاعراً، أُبعد عن غرناطة وسكن إلبيرة بتدبير من الوزير يوسف بن نغرالة لأمور نقمها منه لدى سلطانه باديس، فلجأ إلى العبادة والزهد، وأخذ يحرض أهل صـــنهاجة على اليهود في شعره ومواعظه، حتى وقع العداء بينهما، وتوفي في أواخر سنة450هـــ/1066م. عنـــان، دولـــة، ج2، ص135، الحاشية.

(المتقارب)

ألا قـــــل لصـــــــنهاجة أجمعـــــــين	بـــــدور الزمـــــان أســـــد العـــــرين
مقالـــــــــة ذي مِقـــــــةٍ مشـــــــفقٍ	صـــحيحِ النصـــيحة دنيـــا وديـــــن
لقـــــــــد ذَلَ ســـــــــيّدكم ذِلَـــــــــةً	أقَـــــرَّ بهـــــا أعــــــين الشــــــامتين
تخيّـــــــــــرَ كاتبــــــــــه كـــــــــافراً	ولـــو شـــاء كـــان مـــن المـــؤمنين
فعـــــزَّ اليهـــــود بـــــــه وانتقـــــوا	وســـادوا وتـــاهوا علـــى المســـلمين

وانتشرت هذه القصيدة بين المسلمين، فأثارت في نفوسهم الغضب، ودفعتهم إلى الهيـاج على يوسف واليهود[1]، وفي العاشر من صفر سنة 459هـ/31 كانون الأول1066م، اجتمـع يوسف بالقصبة يشرب مع صحبته من عبيد باديس، وأخبرهم أنّ المعتصم سيعطيهم بعض قرى غرناطةَ، وفي الوقت نفسه كان المعتصم بالله ينتظر إشارة ابن نغرالة، فانتدب إليه أحدهم ممـن كان يكمن بغضه، وقال له: "قد علمنا هذا فأخبرنا عن تسويغك هذه الإنزالات، أهو مولانا حـيٌ أو ميتٌ؟ "فَرَدَّ عليه بعض حاشية اليهودي، ووبّخه على قوله، فأنِفَ ذلك العبد وخرج فارّاً على وجهه وهو سكران، يصيح بالناس ويقول: "يا معشر من سمع بالمظفّر قد غدره اليهوديُّ وهـذا ابن صمادح داخل في البلدة"، ولما سمع الناس ذلك، استشاطوا غضباً على ابن نغرالة، وأجمعوا على قتله، فحاصروا القصبة واقتحموها، وحاول باديس تهدئتهم لكنّه فشل فـي ذلـك، وهـرب يوسف ابن نغرالة إلى داخل القصر، ولحق به الناس وتمكّنوا من قتله[2].

وأورد ابن عذارى أن قبيلة صنهاجة توجهوا في سنة 459هـ/1066م علـى بيـت اليهودي واقتحموه، فلاذ بالفرار متخفياً في بيت فحم، وسوّد وجهه لكنّهم عرفوه وقتلوه وصلبوه على إحدى مداخل غرناطة، وترتب على ذلك حربٌ ضروسٌ شنّها أهل غرناطة ومعهـا وادي آش على اليهود، ذهب ضحيتها أكثر من ثلاثة آلافٍ منهم[3]، وكان ابن بسام قد أشار إلى أنّـه

---

[1] ابن الخطيب، أعمال، ص(231-233)؛ المقرَّي، نفح، ج4، ص322؛ انظر أيضاً: عنـان، دولـة، ج2، ص(135-136)؛ طويل، مملكة غرناطة، ص155.

[2] ابن بلقين، ص54.

[3] ابن عذارى، ج3، ص266؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج2، ص137؛ طويل، مملكة غرناطة، ص136

قتل أكثر من أربعة آلافِ يهودي[1]، وقد تمكن أهل المدينة من ذخائرهم وممتلكاتهم، فما كان من ابن صمادح إلّا أن تراجع عن أمره عقب انهيار مشروعه[2].

وإثرَ مقتل يوسف ابن نغرالة، تحرك باديس لاسترداد ما انتزعه ابن صمادح، وكانـــت البداية وادي آش، حيث جمع الناس حوله وقال لهم: "ما ترونَ في أمر وادي آش، وتصيُّرها إلى ابن صُمادح، واستحواذه على أنظارنا؟" فأجابه قواده ورعيتـــه أن "لا دواء لهـــذا، إلا أن تَبـــذل الأموال، وتَترك الدَّعة وتُباشر الأمرَ بنفسك" فجمع باديس قوّاته وفرّق عليهم الأعطيات، وزحف بهم نحو وادي آش وأقام حولها حصاراً شديداً وضيّق على أهلها. وعندما رأى ضعف قواته أمام قوات المعتصم بالله، طلب الاستغاثة من صـــاحب طليطلـــة المـــأمون بـــن ذي النـــون(435-467هـــ/1044-1075م)* فأرسل إليه يعلمه بما دهمه من الأمر، ويسأله صلة يده به، وأنّه ما انصرف إليه من البلاد أعطاهُ منها ما أحبَّ واختار. فما لبـــث المـــأمون أن تحـــرك، مـــدفوعاً بأطماعه، وتوجّه بجيوشه ولحق بباديس إلى قصبة وادي آش، وكلّفهم ذلك من الأموال كثيـــراً، بحيث بلغت النفقة ستَ بيوتٍ من المال؛ البيت منها ألف ألف دينارٍ ثلثيـــة، أي ســـتة ملايـــين دينار[3].

ولما شعر بعض شعراء المعتصم ورجاله الموجودين بالقصبة بقوة باديس والمـــأمون، تحيَّلوا وأرسلوا للمأمون وأعلموه بوضعهم ويسألونه أن يتوسط لهم لدى باديس لينسحبوا بأمـــان من وادي آش وأحوازها ويسلموها لباديس، ووعدوه إن هو أنقذهم أن يجعلوا المرية ملكا لـــه، "وكان ابن ذي النون من الطمع في غاية لم ينتهِ إليها ملكٌ، فطمع بقولهم ذلك وأقنع باديس، فقبل باديس بذلك، فخرجوا من وادي أش وسلموها لباديس، وأوفى باديس بعهده للمأمون وسلّمه مدينة

---

[1] ابن بسام، ق1، ص769.

[2] ابن بسام، ق1، ص769؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج2، ص137.

* المأمون بن ذي النون: يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن المطرف، حاكم مملكة طليطلـــة خـــلال عصـــر ملـــوك الطوائف بين سنتي(435-467هـــ/1044-1075م)، كان في حروب متواصلة مع بني هود حكام سرقسطة وبني عبـــاد حكام إشبيلية، وأحياناً مع بني الأفطس حكام بطليوس. استطاع من خلال حروبه ضم بلنسية وقرطبة لـــه بعـــد الإذعـــان لمطالبات فرناندو بأداء الجزية له. انظر: ابن سعيد، المغرب، ج2، ص148؛ عنان، دولة، ج2، ص(97-100).

[3] ابن بلقين، ص(55-56)؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة المرية، ص36؛ مملكة غرناطة، ص(136-137)؛ سالم، تاريخ مدينة، ص80؛ أبو الفضل، تاريخ، ص(128-129).

بسطة، أما المعتصم بالله فقد شعر بالندم الشديد على فعلته، وأرسل يطلب العفو والأمـــان مـــن باديس، وأنّه لم يكن ليحتَلّ وادي آش لولا تحريض اليهودي يوسف بن نغرالة، فصدقّه بـــاديس وقبل اعتذاره وتجدّد الحلف بينهما(1).

وكان باديس عقب مقتل وزيره يوسف بن نغزالة، عيَّن النايةً* وزيراً له، وسلّمه أمـــور الخلافة، وزاد جاهه وأهمل صنهاجة، ورفع مكانة بني برزال*؛ لأنهم كانوا من قبـــل أوليـــاءه وأنصاره. ولمّا رأى وزراء باديس وعبيده ما وصل إليه النابة، استشعروا أن الأخيـــر يحـــاول توسيع نفوذ باديس لتحقيق أهداف شخصية بتقريب بني برزال من الحكم، فدبّروا مؤامرةً للإيقاع به، فاتفقوا مع ابن القاضي صاحب باغة وابن يعيش صاحب قبرة، وواصِل العِلج صاحب وادي آش، وأبي عبيد الله محمد بن الحسن النباهي(472هـــ/1079م)* وزير مالقة وقاضيها على قتل النابة(2).

اتفق حكام المدن على أن يقوم واصل العلج بقتله، وهو صديق النابة، وموضـــع ثقتـــه، مقابل منحه الوزارة من بعده، وضمنوا له توطيدهم الأمر عند باديس، فاستعد واصل لقتل النابة. وتوجّه الأخير بأمر من باديس للنظر في بعض الأمور المالية هناك، وعندما حلّ بها توجّه إلى حاكمها وأقام عنده، فاستضافه واصل وبالغ في إكرامه، ثم استدرجه بالشرب وأتاه برمحه وقتله وهو سكران، وطاف برأسه أطراف المدينة، وعندما عَلِمَ باديس بذلك أرسل إلى واصل بالأمان، ويطلب منه القدوم عليه ليشكره على فعلته، حيث أخبره صاحب باغة بما كان يرمي إليه النابة،

---

(1) ابن بلقين، ص(56-57)؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة غرناطة، ص137.

* النابة: من عبيد المعتضد بن عباد، اتهم بالمؤامرة التي دبرها إسماعيل بن المعتضد ضد أبيه، ففرَّ مـــن إشـــبيلية إلـــى باديس، وتقرب منه، إلى أن عينه وزيراً بعد مقتل يوسف بن نغرالة. انظر: ابن بلقين، ص(46-48)؛ انظر أيضاً، طويل، مملكة غرناطة، ص159.

* بنو برزال: قبيلة أمازيغية ينتمون إلى بطن من بطون زناتة بن يفرن، كانوا يقطنون بالمغرب بأرض المسلية والـــزاب الأسفل، وكان لهم دور كبير في التاريخ الأندلسي في عهد الخلافة الأموية. انظر: عنان، دولة، ج2ـــ ص(148-149).

* محمد بن الحسن النباهي: يكنى أبا علي، كان من أهل النباهة والجلالة، استقضي بغرناطة، وتوفي سنة472هـــ/1079م. ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص225.

(2) ابن بلقين، ص(46-48، 62-64)؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة غرناطة، ص159.

وأنّ ذلك ما كان إلا لحمايته، وعلى أثر ذلك عهد باديس إلى واصل العِلج بمنصب قائد الفرسان تقديراً لجهوده[1].

وعندما توفي باديس نُصّب للخلافة حفيـدهُ عبـدُالله بـن بُلقـين(467-483ه/1074-1090م)*، وقد كان جده باديس بايع له بالعهد عند وفاة أبيه، وكان عبدُ الله يتمتع بصفاتٍ أهّلته لهذا المنصب[2]، وبحكم صغر سنه، وقلة درايته، تولى أمر دولته إحدى شيوخ صنهاجةَ ويُدعى سِماجة* الذي ما لبث أن أستأثر بالسلطة، فقام بتحصين وادي آش والمنكب وغيرها من معاقـل غرناطة، وشحنها ببني عمومته ليساندوه في مسيرته، وعندما رأى الأمير عبد الله توسُعَ نفـوذ وزيره سِماجة، قرر القيام بعدة إصلاحاتٍ داخليةٍ للدولة؛ ليتمكن من خلالها قطع الطريق أمـام وزيره سِماجة، ولما شعر الأخير بما ينوي له أميرُه اغتمّ للأمر، وخاف من سوء العاقبة، فرأى أن لا سبيل له إلّا إشغال الأمير بالنساء، وابتياع الرقيق له، ولكن الأمير أصرّ علـى إصـلاح الدولة، فتوجّه بنفسه إلى مدينة وادي آش وعزل عاملها ابن أبي جوش*، صنيعة سِماجة، وعزل عامل المنكب وعدداً كبيراً من العمال الذين اتُّهموا بالخيانة وقلة الأمانة، وعيَّن مكانهم عمالاً يثق بهم، يقول الملك عبد الله: "وعزلت كل من يُتّهم بخيانةٍ وقدمت عمالاً إلى الجهات، أريد تجديـد الدولة. وعزلت بني عمه من الحصون؛ ولقد كان فريقٌ منهم لمّا سمعوا بـذلك، يفـرون منهـا ويتركونها حتى يوجّه إلى جندها عن قائد. ولم نلقَ في ذلك كله مشقة، ولم يبقَ إلا ابن عم لـه، صاحب المنكب؛ فجزع إن تركه أن يوجدَ إليه السبيل بسببه؛ فأخبرني بالأمر، وسألني إرسـال قائدي إليه، فعُزل. وسأل زاوي زوال أخيه بَلبار عن وادي آش. فكان ذلك كلُّه على أمكن سعادة

---

[1] ابن بلقين، ص(62-65)؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج2، ص139؛ طويل، مملكة غرناطة، ص(159-160).

* عبد الله بن بلقين: أمير غرناطة. ولد سنة 447هـ/1036م. ولي بعد جده باديس سـنة 467هـ/ 1075م، وصـحبه وزيره سماجة الصنهاجي تسع سنين، ووصف بأنه وافر البلاغة والمعرفة وشاعر مجيد. أنظر: ابن الخطيب، الإحاطـة، ج3، ص(379-382).

[2] طويل، مملكة غرناطة، ص171؛ عنان، دولة، ص142.

* سماجة الصنهاجي: من وزراء باديس بن حبوس، وصف بأنه حازمٌ شديد السطوة، شجاع، قوي، جواد فاضل، صـحب عبد الله بن بلقين مدة كوزير، ثم عزله وأبعده عن غرناطة، فارتحل إلى المرية، وعاش في حماية صاحبها المعتصم بـالله بن صمادح. انظر: طويل، مملكة غرناطة، ص161.

* ابن أبي جوش: أحد وزراء الأمير عبد الله بن بلقين، عينه الأمير عبد الله ولاية وادي آش، ومن ثم قام بعزلـه عنهـا، وذلك لتذمر الناس من سوء معاملته. انظر: ابن بلقين، ص(86-88).

وأجود تقدير"، وقلَّل من صلاحيات وزيره سِماجة، وساواه مع غيره من الوزراء، ثم عزله نهائياً ونفاه إلى المرية، فاستتبَّ الأمن بغرناطةَ وأصبح الناس في أحسن حالٍ لمدة طويلة[1].

ولعبت مدينة وادي آش دوراً في الأحداث التي وقعت بين المسلمين والممالك المسيحية الإسبانية آنذاك إذ تحدث ابن بلقين في مذكراته عن أطماع المسيحيين بمدينة وادي آش، حيث أخذ ألفونسو السادس يضغط على ملوك الطوائف ويطلب منهم المال وإلّا أفسد لهم بلادهم، فأرسل إلى الأمير عبد الله بنِ بلقين يطلب منه مالاً مقابل عدم احتلاله لوادي آش، فقام ابن بلقين بإعطائه بعض الأموال على ألّا يهاجم بلاده، لكن الفونسو طالب بالمزيد، فامتنع ابن بلقين محتجّاً بسوء أوضاع البلاد، وعندما عَلِمَ ألفونسو بالأمر أرسل يطالبه بالجزية عن الأعوام الثلاثة التي انقضت منذ معركة الزلاقة وحصار لبيط(479-481هـ/1086-1088م) وتبلغ ثلاثين ألفَ مثقالٍ، أي عشرة آلافِ مثقالٍ عن كل سنة، وهدَّد ابنَ بلقين، مما أجبره على الرضوخ والإلتزام بدفعها كل سنة مقابل عدم تعرض ألفونسو لغرناطة وأعمالها[2].

وأرسل ابن بُلقين إلى يوسفَ بنِ تاشفين وأخبره بما أقدم عليه، فردّ الأخير بكتاب فيه تهديدٌ ووعيدٌ يقول فيه: "أمَّا مُداهنتك وقولك الباطل، قد علمناه! وسنعلم عن قريب كيف ترضى الرعية؟، وما تصنع إذ زعمتَ أنك نظرت لها؟ ولا تسوِّف. فإن هذا قريبٌ غير بعيد"[3]. فشكّ عبد الله ابن بلقين بنوايا المرابطين، وشعر بخطرٍ مرابطي إسباني مزدوجٍ يهدد دولته، لذلك شرع ابن بلقين في بناء أسوارها وترميم أبراجها وأقام عليها الديدبانات*، وشحنها بالمؤن والأسلحة وحشدها بالجند استعداداً لمواجهة المرابطين، وعلاوةً على ذلك اتّصل بالفونسو السادس وعقد حلفاً معه، الأمر الذي زاد نقمة المرابطين عليه[4].

---

[1] ابن بلقين، ص(84-88)؛ طويل، مملكة غرناطة، ص(172-173)؛ عنان، دولة، ج2، ص144.

[2] ابن بلقين، ص(123-127)؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة غرناطة، ص216.

[3] ابن بلقين، ص127.

* الديدبانات: من أنواع الأسلحة، اخذه مسلمو بلاد المغرب الأدنى عن البيزنطيين. انظر: طويل، مملكة غرناطة، ص216.

[4] ابن بلقين، ص(120-121)؛ انظر ايضاً: طويل، مملكة غرناطة، ص(216-217).

سيطرة المرابطين على وادي آش، ودورها في الصراع الإسلامي المسيحي(483-541هـــ/ 1090-1147م):

بدأ يوسف بن تاشفين يعدُّ العدة للقضاء على دول الطوائف والسيطرة على بلاد المسلمين. وما يعنينا هنا هو مصير مملكة غرناطة، اذ تمكّن يوسف من دخولها والسيطرة عليها، وملَك قصر عبد الله[1] واحتجزه فيه[2] وتمكن من جميع ممتلكاته، ومن ثم نفاه إلى المغرب الأقصى ثم نقله وأخوه تميم(465-483هـ/1073-1090م)* إلى مراكش وماتا فيها[3].

وقد اختلف المؤرخون حول دخول المرابطين إلى غرناطة، حيث أورد ابن بلقين في مذكراته أنّهم دخلوها في الثاني والعشرين من شهر رجب سنة 483هـ/أيلول1090م[4]، بينما تردّد ابن الخطيب في تحديد تاريخ دخولهم، ويقول تملَك ابن تاشفين غرناطة يومَ الاحدِ الثالثَ عشرَ من شهر رجب سنة 483هـ/1090م[5]، ثم أورد "خُلع عبد الله بن بلقين، حفيد باديس، يوم الأحد عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة 483هـ/1090م"[6]، ثم ذكر أنهم دخلوها في منتصف رجب من السنة نفسها[7]، وحدد القلقشندي ذلك سنة 483هـ/1090م[8]، ويذهب ابن الأثير إلى القول: إنّ نهاية حكم ابن بلقين جاء في شهر رجب من سنة 484هـ/ 1091م[9]، بينما ذكر أبو الفدا أنّ خروج عبدالله من غرناطةَ وتملّك ابن تاشفين لها كان سنة

---

(1) ابن بلقين، ص(154-159)؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص(380-382).

(2) ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص(380-381).

* تميم بن بلقين بن باديس الصنهاجي، آخر حكام مالقة في عهد ملوك الطوائف، تلقب بالمنتصر بالله، لجأ مع ملوك الطوائف ليوسف بن تاشفين كي يخلصهم من ملك قشتالة ألفونسو السادس الذي كان قد أرهقهم بالجزية، شارك تميم إلى جانب ملوك الطوائف وجيوش المرابطين في معركة الزلاقة سنة 479هـ/1086م. خلعه بن تاشفين ونفاه إلى المغرب وتوفي في مراكش سنة 488هـ/1095م. انظر: عنان، دولة، ج2، ص(144-146، 323-324، 342-343).

(3) ابن بلقين، ص160؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ص381.

(4) ابن بلقين، ص170؛ انظر أيضاً طويل، مملكة غرناطة، ص230.

(5) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص118.

(6) ابن الخطيب، أعمال، ص236؛ انظر أيضاً: طويل، مملكة، ص230.

(7) ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص353.

(8) القلقشندي، صبح، ج5، ص251.

(9) ابن الأثير، ج8، ص353.

480هـ/1081م[1]، وترجح المراجع رواية عبد الله بن بلقين؛ لأنّه مَن تنازل عن غرناطةَ لابن تاشفين فهو أعرف من غيره اليوم الذي سلمت فيه[2]، وبهذا تكون غرناطة- ومعها وادي آش- أولَ معقلٍ إسلاميٍّ يدخل في حوزة المرابطين، ويكون بذلك ابن بلقين أول ملوك الطوائف المخلوعين[3].

وبعد غياب وادي آش عن مسرح الأحداث السياسية والعسكرية ما لبثت أن ظهرت خلال عهدِ يوسفَ بن تاشفين، إذ تعرضت في عهده لهجوم قشتالي سنة 487هـ/1094م[4]، بقيادة الملك الفونسو السادس الذي عاث في نواحيها، واستولى عليها، ولمَّا بلغ يوسفَ بنَ تاشفين ما يدور في المنطقة، غضب لتهاون ابن أخيه في تسليم المدن دون أن يقوم بواجبه بالدفاع عنها[5].

واستمر ابن تاشفين في حكم المنطقة حتى وفاته سنة 500هـ/1107م، وتولى الحُكم بعده ابنُه عليٌّ(500-537هـ/1106-1143م)[6]، واستمر الصراع بين المسلمين والمسيحيين في عهده، اذ تحرّك المسيحيون الأراغونيون سراً في حملة عسكرية في أول شعبان سنة 519هـ/2أيلول1125م[7] بقيادة ألفونسو الأول المحارب(*Alfonso I*) (499-529هـ/1104-529هـ/1104-1134م)* بقواتٍ يُقّدر قوامُها خمسةَ آلافِ فارسٍ و خمسةَ عشرَ ألفاً من

---

[1] أبو الفدا، المختصر، ج2، ص198.

[2] طويل، مملكة غرناطة، ص230.

[3] أبو الفدا، ج2، ص198.

[4] ابن عذارى، ج4، ص36؛ انظر أيضاً: حتاملة، موسوعة، ج2، ص1124.

[5] ابن عذارى، ج4، ص(36-37).

[6] ابن أبي زرع، ص(156-157). أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي، تولى الحكم بعد أبيه فاضطلع بالأمور أحسن اضطلاع، اذ بلغت الدولة المرابطية في عهده أوج قوتها وضخامتها، جاز إلى الأندلس خلال فترة حكمه أربع مرات، وتوفي بمراكش سنة 537هـ/1143م. أنظر: مؤلف مجهول، الحلل، ص(84-85، 120)

[7] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص109؛ مؤلف مجهول، الحلل، ص(91-92).

* الفونسو الأول بن شانجة بن ردمير، الملقب بالملك المحارب، وذلك بسبب استمراره في القتال ضد المسلمين طوال حياته، تولى عرش مملكة اراغون بعد وفاة أخيه بيدرو الأول سنة 497هـ/1104م، وتعتبر فترة حكمه من أهم الفترات التي مرت بها الممالك المسيحية ولا سيما مملكة اراغون، توفي سنة 501هـ/1108م. انظر: أشباخ، ج1، ص(145-148).

المشاة[1]، وقيل أربعةُ آلافِ فارسٍ[2]، خرجوا من سرقسطة يتقدمهم أسقفا سرقسطة ووشقة[3]، واتّجهوا نحو بلنسية، ووصلوها يومَ الثلاثاء 20رمضان519هـ[4]، وأثناء تواجد الفونسو المحارب فيها توجّه المعاهدون للانضمام إليه، وأخذوا يدلّونه على أماكن تواجد المسلمين. ومن بلنسية توجه الاسبان نحو جزيرة شقر*، ثم ساروا نحو مدينة دانية*، ثم مرسية وبيرة* عن طريق بسطة، لكونها غير محصّنة، وضربوا حصاراً حولها لكنّهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليها، فتركوها وساروا حتى وصلوا إلى وادي آش[5].

وصل الفونسو الأول إلى قرية القصر* قرب وادي آش[6] يومَ الجمعةِ الأولِ من ذي القعدة من السنة نفسها، وبدأ يشنُّ هجماته على وادي آش من جهة المقابر، وقام يقاتلها من الجمعة حتى الإثنين، ثم انتقل إلى موقع سَنَد يوم الثلاثاء، وخَرَجَ منه يومَ الأربعاء، وتابع سيره نحو مدينة غرناطة، حتى وصل إلى قرية فنيانة، الواقعةَ في الجنوب الشرقي من مدينة وادي آش وبقي فيها مدة شهرين[7]، وقيل شهر واحد[1]، وأخذ يقاتل المدينة من غربها محاولاً السيطرة

---

(1) ابن عذارى، ج4، ص69.

(2) مؤلف مجهول، الحلل، ص91.

(3) عنان، دولة، ج3، ص109؛ الهرمي، دولة، ص226. وشقة: أو أشقة، من أعمال الثغر الأعلى، شمال شرق الأندلس، ذات حصون ومعاقل، وتقع شمال شرق سرقسطة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص199.

(4) ابن عذارى، ج4، ص70؛ انظر أيضاً: الهرمي، ص226.

* جزيرة شقر: مدينة حصينة تقع على ساحل البحر المتوسط شرقي الأندلس، بالقرب من مدينة شاطبة التي تبعد عنها اثني عشر ميلاً، وتبعد عن بلنسية ثمانية عشر ميلاً، وسميت بالجزيرة لأن نهر شقر يحيط بها من جميع الجهات، وهي مدينة حسنة كثيرة الأشجار والثمار. انظر: العذري، ص19؛ الإدريسي، ج2، ص556؛ الحميري، الروض، ص349.

* دانية: مدينة أندلسية من أعمال بلنسية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، لها سور حصين وقصبة منيعة، كثيرة التين والعنب واللوز، استقر فيها مجاهد العامري في عصر الطوائف. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص343؛ الحميري، الروض، ص(231-232).

* بيرة: من أعمال المرية تقع بالقرب من ساحل البحر بالأندلس، لها مرسى حسن بين مرسية وألمرية، مشهورة بالمرجان. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص526.

(5) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص109؛ مؤلف مجهول، الحلل، ص(90-92)؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج3، ص(108-110)؛ الهرمي، ص226.

* قرية القصر: بلدة أندلسية حديثة تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة غرناطة. انظر: ابن عذارى، ج4، ص70، حاشية رقم2؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص110، حاشية رقم1.

(6) ابن عذارى، ج4، ص70؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(109-110).

(7) مؤلف مجهول، الحلل، ص(93-94)؛ انظر أيضاً: الهرمي، ص227.

السيطرة عليها[2]، وخلال تلك الفترة حاول المعاهدون استدعاءه فانكشف أمرُهم[3] وحاول الأمير تميم بن يوسف منعهم لكنّه فشل في ذلك، وأخذ أنصار الفونسو يتوافدون إليه، فكثُــرت قواتــه، وأخذ يهاجم مدينة وادي آش والمدن الأخرى في طريقه[4]، ولمَّا وصلت أخبار هذه الحملة إلــى عليٍّ ابن تاشفين حشد قواتَه ووجّهها إلى مدينة غرناطة، وأحدقت بها، ثم تقدمت قوات بلنســية ومرسية للغرض نفسه[5]، "وصارت الجيوش كالدائرة علــى غرناطــةَ، وهــي فــي وســطها كالنقطة"[6]، وتحرك الفونسو من مدينة وادي آش نحو قرية دجمة يومَ عيد الأضــحى، وعنــد وصوله مدينة غرناطة، كانت جيوشه قد بلغت خمسين ألفاً، وبقي في المدينة أكثرَ مــن عشــر ليالٍ، لكنّه لم يستطع شن أي هجومٍ عليها؛ لسوء الأحوال الجوية فيها[7].

وقرر ألفونسو ترك غرناطة والعودةَ إلى بلاده بعد أن رأى قوتهــا وكَثــرة الجيــوش المحيطة بها، فتحرك عائداً في شهر ذي الحجة سنة 520هــ/1127م[8]، ولحقت بــه الجيــوش الإسلامية وتقابلت مع جيوشه في منطقة يقال لها حصنُ لسانة[9]، وهناك حدثت مناوشاتٌ بــين الجيشين ودارت الدائرة على الجيش الإسلامي[10]، حيث أقبل قائده على تصرفٍ غيــرِ حكــيم؛ عندما أمر بتغيير مقرّه من مكانٍ منخفضٍ إلى آخرَ مرتفعٍ، مما جعل جيشه يظنُّ أنّه انســحب؛ فانسحبوا من موقعهم[11]، مما أدى إلى هزيمة المسلمين. وعلى أثر ذلك جمع ألفونسو المحارب قوّاته وقرّر العودة إلى غرناطة مرةً أخرى[12] فأقام على بعد ثلاثةِ فراسخٍ منها لثلاثةَ أيــامٍ[1]،

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(109-110).

[2] مؤلف مجهول، الحلل، ص93.

[3] ابن عذارى، ج4، ص70؛ مؤلف مجهول، الحلل، ص92؛ انظر أيضاً: الهرمي، ص227.

[4] مؤلف مجهول، الحلل، ص93.

[5] الهرمي، ص227.

[6] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص110.

[7] مؤلف مجهول، الحلل، ص(93-94).

[8] ابن الأثير، ج9، ص235؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص110؛ مؤلف مجهول، الحلل، ص97.

[9] مؤلف مجهول، الحلل، ص(93-94). انظر أيضاً: عنان، محمد، دولة، ج3، ص111. حصن لسانة: وتكتــب أحيانــاً اللسانة، وهو من حصون غرناطة الدفاعية ويقع إلى الشمال الغربي منها. انظر: مؤلف مجهول، الحلل، ص95، حاشية.

[10] ابن الأثير، ج9، ص235؛ مؤلف مجهول، الحلل، ص95.

[11] الهرمي، ص228.

[12] مؤلف مجهول، الحلل، ص96؛ انظر أيضاً: الهرمي، ص228.

هاجم خلالها المدينة، لكنّ حَصانتها حالت دون تحقيق أهدافه[2]، فغير وجهته وتقدّم نحو مدينة وادي آش[3]، وترك في إحدى قلاعها القريبة بعض جيوشه لتأمين طريق عودته[4]. وكانت القوات المرابطية تتبعه، فقتلت أعداداً كبيرةً من جنوده. ومما زاد الأمر سوءاً تفشي المرض في صفوف جيوشه، فسلك طريق العودة إلى بلاده[5]، بعد أن أقام في الأراضي الإسلامية مدةَ سنةٍ وثلاثةِ أشهر[6].

وفي الفترة الأخيرة من عهد الأمير علي بنِ يوسف بن تاشفين، بدأ الضّعف ينخر في جسد الدولة المرابطية، وكان لظهور الموحّدين في المغرب دورٌ في ذلك، إذ قاموا بثورة أثّرت بشكلٍ كبيرٍ على أوضاع المرابطين في الأندلس، وتم استدعاء كبار قادتهم وجيوشهم إلى المغرب لمحاربة الموحدين هناك[7]، وتوفي الأمير عليٌّ سنة 537هـ/1142م[8]، وبويع لابنه تاشفين بنُ علي(537- 539هـ/1143-1145م)*، واستمر حكمه سنتين وشهرين وقُتِل خلال حربه ضد الموحدين، وخلفه ابنه إبراهيمُ بنُ علي(539هـ/1145م)* ثم اسحقُ بن علي(539-541هـ/1145-1147م)* الذي قُتِل أيضاً من قِبل الموحدين، وبمقتله سقطت دولة المرابطين

---

(1) ابن عذارى، ج4، ص(71-72).

(2) ابن عذارى، ج4، ص72؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(110-113).

(3) ابن عذارى، ج4، ص72؛ مؤلف مجهول، الحلل، ص96.

(4) أشباخ، ج1، ص157.

(5) ابن عذارى، ج4، ص72؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(110-113)؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج3، ص112؛ الهرمي، ص229.

(6) مؤلف مجهول، الحلل، ص97.

(7) مؤلف مجهول، الحلل، ص(119-120)؛ انظر ايضاً: مؤنس، معالم، ص199.

(8) ابن خلكان، ج7، ص125.

* تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين، يكنى أبا محمد، ولاه أبوه على الأندلس، وخاض خلال حكمه سلسلة من الحروب، وتمكن من فتح كثيرٍ من الحصون، حارب الموحدين وقتل على أيديهم سنة539هـ/1145م. انظر: مؤلف مجهول، الحلل، ص(124، 134).

* إبراهيم بن علي يكنى أبا إسحاق، ولاه ابوه عهده اثناء اقامته بوهران وذلك قبل وفاته بشهر، ولم يدم حكمه طويلاً، حيث تم عزله من قِبل عمه إسحاق بن علي. انظر: مؤلف مجهول، الحلل، ص135.

* إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين، من حكام دولة المرابطين، حاول إيقاف زحف الموحدين في بلاد المغرب العربي، لكنه فشل، وقتل وهو يدافع عن مراكش. انظر: مؤلف مجهول، الحلل، ص139.

وقامت دولة الموحدين في بلاد المغرب[1]، أما الأندلس فقد أثّر انشغال المرابطين في حـــروبهم ضد الموحدين سلباً على أحوالها، إذ استغل النّصارى ذلك بشنّ هجماتٍ متكررةً علـــى المـــدن الأندلسية، لمّا علموا بعجز المرابطين في الدفاع عنها، فتغلبوا وسيطروا على كثير منها[2].

---

(1) ابن عذارى، ج4، ص(104–105).

(2) مؤلف مجهول، الحلل، ص(119–120).

الفصل الرابع

وادي آش خلال عصر الموحِّدين وبني الأحمر (541-895هـ/1146-1489م)

- **وادي آش في العصر الموحدي، ودورها خلال الصراع بين محمد بن هود ومحمد بن يوسف ابن الأحمر(541-635هـ/1147-1238م)**
- **أحوال وادي آش منذ عهد السلطان محمد الفقيه حتى نهاية عهد الغني بالله محمد الخامس(671-793هـ/1273-1391م)**
- **وادي آش منذ عهد السلطان محمد الأيسر حتى نهاية عهد السلطان أبي الحسن علي ابن سعد(820-890هـ/1417-1485م)**
- **الحرب الأهلية بين أبي عبد الله الصغير وعمه الزغل، وسقوط وادي آش سنة 895هـ/1489م**

الفصل الرابع

وادي آش خلال عصر الموحِّدين وبني الأحمر(541-895هـ/1147-1489م)

وادي آش في العصر الموحدي، ودورها خلال الصراع بين محمد بن هود ومحمد بن يوسف ابن الأحمر(541-635هـ/1147-1238م)

انتهز أهل الأندلس ضعف المرابطين وأعلنوا الثورة ضدهم، واستعان الثوار بقوات قشتالية وبرتغالية[1]، ولم تخلُ وادي آش من هذه الثورات، ومنها ثورة المُريدين* التي بدأت في منطقة شلب* غرب الأندلس، بقيادة أحمد بن قسيّ(ت:546هـ/1151م)* ، في أواخر سنة 538هـ/1143م وأوائل سنة 539هـ/1144م، الذي بدأ يجمع الناس حوله، وادّعى الولاية، وتسمى بالمهدي، ثم انتقل ابن قسيّ من شلب إلى ميرتلة* لتنظيم قواته هناك بمساعدة رجل يُدعى بابن القابلة(ت:539هـ/1144م)*، فزحف إليه المرابطون، ولكنّهم فشلوا في القضاء عليه، وتمكن ابن قسيّ من السيطرة على ميرتلة في 12 صفر 539هـ/ 14 أغسطس 1144م، ومنها انتشرت ثورة الأخير في يابرة ولبلة وقرطبة[2] ووصل إلى مدينة وادي آش[3] وسيطر

---

[1] سالم، تاريخ مدينة، ص92.

* المريدون: طائفة ظهرت بغرب الأندلس، كثر خوضهم بمسائل التصوف، وموضوعات الغلاة من الباطنية، انتشروا في شلب ولبلة وميرتلة، وأعلنوا الثورة على دولة المرابطين. انظر: القاضي عياض، الغنية، مقدمة المحقق، ص13.

* شلب: قاعدة ولاية أشكونية، تقع غربي الأندلس، بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وتبعد عن قرطبة مسافة عشرة أيام، وبينها وبين شنترين خمسة أيام، كثيرة المياه وتشتهر بزراعة التفاح. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص357؛ الحميري، الروض، ص342.

* أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسيّ: رومي الأصل من بادية شلب، أول الثائرين بالأندلس، إذ بدأ ثورته عندما ضعفت دولة المرابطين، عمل على تجنيد جملة من العامة لصالحه ودعا للثورة ضد المرابطين، ثم ما لبث وأعلن طاعة الموحدين، ثم خانهم وانضم إلى النصارى، واغتيل سنة 546هـ/1151م. انظر: ابن الأبار، الحُلة، ج2، ص(197-200).

* ميرتلة: مدينة بالأندلس، من أعمال كورة باجة، بينهما أربعون ميلاً، تقع على نهر وادي آنة، لها قصبة وصفت بأنها أمنع حصون منطقة غرب الأندلس. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص242؛ الحميري، الروض، ص569.

* ابن القابلة: محمد بن يحيى الشلطيشي، كاتب أندلسي، مختصٌ بأعمال ابن قسيّ ومن كبار معاونيه، حتى أطلق عليه اسم المصطفى، لكن ابن قسيّ نقم عليه وقتله بعد ذلك. انظر: الزركلي، ج7، ص137.

[2] ابن الأبار، الحُلة، ج2، ص(197-199)؛ ابن الخطيب، أعمال، ص(225-227)؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج3، ص(307-311). يابرة: مدينة قديمة من كور باجة، تقع غربي الأندلس. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص424؛ الحميري، الروض، ص615. لبلة: مدينة قديمة حسنة، تقع غربي الأندلس، لها ثلاث عيون، وسور منيع، وبها أسواق وتجارات. انظر: الحميري، الروض، ص(507-508).

[3] البيذق، أخبار، ص87.

عليها[1]، ثمَّ انضم إلى الموحدين، لكنّه ما لبثَ أن خرج عليهم ودخل في طاعة الإسبان إلى أن قُتل سنة 546هـ/1151م[2].

وفي سنة 539هـ/1144م[3] ثار في وادي آش رجلٌ يُدعى أحمدُ بنُ محمد بن ملحانَ الطّائي الوادياشي[4]، وهو رجلٌ حازمٌ مضطلع بالعمل[5]، أطلق شرارة ثورته عندما عَلِمَ بثورة أحمدُ بن محمد ابن حمدين(548هـ/1153م)* ضد المرابطين في قرطبة[6]، فاتّخذ أحمد لنفسه لقب المتأيّد بالله، وأنشأ عدة حصون عسكريةٍ ساعدته في الانقضاض على الدولة المرابطية[7]، فانتشرت ثورته وامتدت إلى مناطق قريبة من وادي آش، كمدينة بسطة المجاورة، وقد ساندته أموالُه وأعمالُه في ذلك، كما واستند على بعض العلماء في إيصال أفكاره كأبي بكرٍ ابن طفيل(ت:581هـ/1185م)[8]، ونجح ابن ملحانَ في تحقيق أهدافه، وأصبح حاكماً لمدينة وادي آش، وذلك بمساعدة الموحدين سنة 546هـ/1151م، فدخل في طاعتهم ومدّهم بالعساكر والمؤن، إلّا أنّ علاقتهم لم تدم طويلاً؛ فسرعان ما تمّ نفيه إلى مراكشَ وتوفي فيها[9].

وأثناء فترة الصراع بين المرابطين والموحدين، ثار محمدٌ بن سعدٍ بن مردنيش(542-567هـ/1148-1172م)* شرقي الأندلس[10]، حيث زحف سنة (546هـ/1151م) إلى مدينة

---

[1] رحيم، ص69.

[2] ابن الأبار، الحُلة، ج2، ص(199-200)؛ ابن الخطيب، أعمال، ص(251-252).

[3] ابن الخطيب، أعمال، ص246؛ انظر أيضاً: أبو رميلة، علاقات، ص81.

[4] ابن الخطيب، أعمال، ص264؛ انظر أيضاً: البيذق، ص88، حاشيه رقم201.

[5] ابن الخطيب، أعمال، ص264.

* أحمد بن محمد بن حمدين التغلبي: قاضي قرطبة، تزعَّم ثورة المدن الأندلسية ضد الحكم المرابطي سنة 539هـ/1144م، وتسمى بالمنصور، إلى أن تمكن المرابطون من إخمادها مؤقتاً، توفي سنة 543هـ/1148م. انظر: الزركلي، ج1، ص215.

[6] أبو رميلة، علاقة، ص81.

[7] ابن الخطيب، أعمال، ص264؛ انظر أيضاً: أبو رميلة، علاقة، ص81.

[8] ابن الخطيب، أعمال، ص264.

[9] البيذق، ص88، حاشية رقم201.

* أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الجذامي، حكم شرق الأندلس، كان عزيز الجانب، شجاعاً، قوي الساعد، تولى حكم مرسية وضم إليها بلنسية وشاطبة ودانية. استعان بالقشتاليين لقتال جيش الموحدين، قوي سلطانه بعد وفاة الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي(524-558هـ/1130-1163م)، وتوفي سنة 567هـ/1171م. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص(121-127)؛ انظر أيضاً: الزركلي، ج6، ص137.

[10] أبو مصطفى، تاريخ، ص60.

وادي آش لاستخلاصها من أحمدَ بنِ ملحانَ الطائي، فنجح في ذلك، وتمكّن من ضمّها إلى أملاكه[1]، وقد ساندَه القشتاليون بقيادة جيرالدو الجليقي(*Geraldo Gallego*)*، الذي لعب الدور الأعظمَ في ذلك[2]، ونجح ابنُ مردنيش في بسط سيطرته على عدة مدنٍ، ومن بينها وادي آش، وقد وصف ابن الخطيب ذلك بقوله: "وكاد يستولي على جميع بلاد الأندلس"[3].

وكانت وادي آش تحت سيطرة المرابطيّ أبي الحسن بنِ نزار*، الذي ثار أهلُ المدينة ضده وأعلنوا ولاءهم لابن مردنيش، فأرسل الأخيرُ لهم أحدَ رجاله ليحكمهم، ثمّ أعادها لأبي الحسن بن نزار بعد أن تثبّت من حُسن نواياه[4]، إلّا أنّ ذلك لم يدم طويلاً، إذ غزت القوات الموحّدية المدينة وأطاحت بحكمه، بعد أن أوقعوا بقواته خسائرَ عظيمةٍ، وعقب وفاته سنة 567هـ/1171م، بسط الموحّدون سيطرتَهم على كافة ممتلكاته فيها[5].

وتعرضت مدينة وادي آش لهجومٍ نصراني سنة 563هـ/1167م، فقد دخلتها قواتٌ كبيرةٌ من القشتاليين بهدف الاستيلاء عليها، وتمكّنت قوات الموحدين من الصمود في وجهها والقضاء عليها، وإلقاء القبض على مجموعة منهم تقدر بثلاثةٍ وخمسين شخصاً، جيء بهم إلى غرناطةَ، وضُربت أعناقهم؛ وتم الإستيلاء على الغنائم التي كانت بحوزتهم[6].

وأما بنو هود الذين ظهروا في مسرح الأحداث في الأندلس، فينحدرون من قبيلة جذام العربية، وكانوا قد دخلوا سرقسطة واستقروا فيها سنة405هـ/1014م، ثم اتخذوها عاصمة

---

(1) حتاملة، موسوعة، ج2، ص1125.

* جيرالدو الجليقي، أو جيرانده الجليقي: أحد قادة القشتاليين، ساند ابن مردنيش في مدينة وادي آش، ثم أصبح قائداً لجيش ألفونسو هنريكيز ملك البرتغال، عُرف بصلابته وكرهه للمسلمين، أجبره الموحدون على الاستسلام في إشبيلية، لكنه بقي على صلة بملك البرتغال محاولاً الكيد للمسلمين، فقتلوه. انظر: البيذق، ص89، حاشية رقم203.

(2) البيذق، ص89، حاشيه رقم 203.

(3) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص126.

* أبو الحسن بن نزار: أحد ولاة المرابطين على مدينة وادي آش، أرسل إليه محمد بن مردنيش حملة وأخذه أسيراً إلى مرسية، ثم أفرج عنه بعد فترة من الزمن، وأعاده أميراً ليحكم مدينة وادي آش. انظر: المقَّري، نفح، ج3، ص(492-494).

(4) المقَّري، نفح، ج3، ص(492-495).

(5) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص127.

(6) ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص16.

لمملكتهم (430-503هـ/1039-1110م)[1]، ثمَّ عادوا للظهور بقيادة محمدٍ بنِ يوسفَ بن هود الجذامي(ت:635هـ/1238م)[2]، الذي اشتهر منذ سنة 614هـ/1217م عندما ترأّس مجموعةً للموحدين وسار بهم نحو حصن شنفيرة* بالقرب من مرسية، واستطاع بحنكته ودهائه أن ينتزعه من حاميته النصرانية[3].

وأورد بعض المؤرخين أنّ ابن هود تمرّد بمرسية سنة 616هـ/1219م[4]، في موضع موضع يسمى حُصن الصخيرات[5]، الذي اتّخذه مقراً له فيما بعد[6]، ولجأ إلى التحالف مع الغشتي قائد إحدى العصابات التي كانت تقاتل الإسبان والمسلمين هناك، وعملا معاً على الانقضاض على بعض معاقلِ الإسبان المجاورة لمرسية، مما ساهم في زيادة أنصار ابن هود ومؤيديه[7].

وتوجّه ابنُ هود إلى مرسية في أواخر رجب من سنة 625هـ/1227م[8]، وأورد ابنُ الخطيب أنّه زحف إليها في التاسع من رجب السنة نفسها[9]، مستغلا ما آلت إليه أوضاع الدولةُ الموحّدية من ضعف وهوان[10]، ولا سيما بعد تحالف الخليفةِ الموحدي المأمون(624-630هـ/1227-1232م)* مع ملك قشتالة ضدّ أخيه المعتصم(624-627هـ/1227-

---

[1] إسماعيل بن إبراهيم، ص94؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص(209-210)؛ القلقشندي، قلائد، ص57؛ انظر أيضاً: أشباخ، ج1، ص47.

[2] ابن الأبار، الحلة، ج2، ص308؛ مؤلف مجهول، تاريخ، ص264، حاشية رقم1.

* حصن شنفيرة: من حصون الأندلس، يقع شرقي مدينة مرسية على بُعد أربع مراحل منها، أشتهر بمنعته وحصانته. انظر: الحميري، صفة، ص116.

[3] الحميري، الروض، ص348.

[4] فرحات، ص17.

[5] مؤلف مجهول، تاريخ، ص264. حصن الصخيرات: ويعرف أيضاً بالصخور، يقع على نهر مرسية، وهو الموضع الذي دعا فيه محمد بن هود الجذامي لنفسه سنة 625هـ/1228م. انظر: الحميري، صفة، ص118.

[6] حسن، دولة، ص79.

[7] ابن الخطيب، أعمال، ص279.

[8] ابن الأبار، الحلة، ج2، ص308؛ مؤلف مجهول، تاريخ، ص264.

[9] ابن الخطيب، أعمال، ص278.

[10] ابن خلدون، تاريخ،ج4، ص(215-216).

* المأمون الموحدي: إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، أبو العلاء، الملقب بالمأمون، أحد خلفاء دولة الموحدين بمراكش، يرجع نسبه إلى قيس عيلان بن معز، وقد كان كاتباً بليغاً وشاعراً محسناً، وعالماً بالفقه والحديث، ولي الحكم

1230م)*، لتحقيق أطماع سياسيةٍ، فسعى جاهداً لتحرير الأندلس من الإسبان والموحّدين معاً[1] وساندە في ذلك ما قيل من تكهناتٍ مفادُها بأنّ المنقِذ يُدعى محمدٌ بنُ يوسفَ[2]، ونتيجةً للأوضاع المزرية التي وصلت إليها الأندلس في ذلك الوقت كان لزاماً على العامة أن يصدقوه، إذ اعتبروه طوق النجاة لهم ولدولتهم من الموحّدين والإسبان[3]، فبايعه أتباعُه وأنصاره في مدينة مرسية في رمضان سنة 625هـ/آب1228م، ويعتبر ذلك أولَ ظهورٍ له على المسرح السياسي للدولة[4]، ومن أجل صبغ دولته بالشرعية السياسية نادى للخليفة العباسي في بغداد المستنصر بالله(623-640هـ/1226-1243م) واتّخذ السواد شعاراً له[5].

ونجح ابنُ هود في تحقيق أهدافه حيث أشعل فتيل ثورته التي امتدت لتصل كل مكان، وتمكّن من خلالها التغلب على مناطقَ شرقي الأندلس، ثم أخذ يوّسع مساحةَ نفوذه في المنطقة، ويبسط سيطرته على مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة وغيرها[6]، ودخلت كذلك مدينة وادي آش في حوزته بعد ثورة أضرمها ضد الموحدين هناك، وذلك في رجب سنة 625هـ/1228م[7]، كما تعرّضت المدينة في عهده إلى هجوم إسباني في شوال من سنة 626هـ/1229م، ولمّا عَلِمَ ابنُ هود بالأمر سار بقواته نحو وادي آش، وتفاجأ بعودتهم إلى ديارهم، فلحق بهم على بُعد ثمانين ميلاً وتمكّن من القضاء عليهم، فلم ينجُ منهم أحد[8].

سنة 624هـ/1227م، كثرت الثورات في عهدة فثار عليه أمير أفريقية، وخرجت الأندلس عن حكمه، وتوفي في مراكش630هـ/1232م. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(409-415)؛ انظر ايضاً: الزركلي، ج1، ص281.

* المعتصم: يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب بن المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن الكوفي، احد ملوك الدولة الموحدية بالمغرب الأقصى، بايعه الموحدون بمراكش سنة 624هـ/1227م بعد مقتل عمه عبد الله العادل(621-624هـ/1224-1227م)، وتوفي سنة 633هـ/1236م. انظر: الزركلي، ج8، ص165.

(1) حسن، دولة، ص79.

(2) ابن الخطيب، الإحاطة،ج2، ص128؛ أعمال، ص278.

(3) خلوفي، الزهراء؛ العمراني، جميلة، الحياة، ص13.

(4) ابن أبي زرع، الأنيس، ص275؛ ابن خلدون، ديوان، ج4، ص216.

(5) المراكشي، المعجب، ص335.

(6) سالم، تاريخ مدينة، ص99.

(7) حتاملة، موسوعة، ج2، ص1125.

(8) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص131؛ أعمال، ص280.

وتمكّن ابنُ هود من فرض سيطرته على المنطقة الجنوبية من الأندلس وانتزاعها مــن أيدي الموحدين سنة 626هـ/1229م[1]، ودخلت كلٌّ من إشبيلية وماردة* وجيان وبطليوس* في طاعته، ولكن ما لبثت الموازينُ أن انقلبت؛ إذ اضطّر لمواجهة عدوَّين في آن واحد[2]، فمن جهةٍ جهةٍ ظهر المأمونُ الموحدي الذي بذل قصارى جهده للقضاء عليه، ومن جهةٍ أخرى ظهــرت الممالك المسيحية التي كانت تنتهز الفرص من أجل بسط سيطرتها على المناطق المتاخمة لها[3]، لها[3]، ممّا دفعه إلى عقد صلح مع ملك قشتالة فرناندو الثالث(*Ferdinand lll*)(614-627هـ/ 627هـ/ 1217-1230م)* مقابل ضريبة تبلغ أربعَمئة ألف دينار سنوياً[4].

كما ظهرت موازينُ قوىً جديدة في الأندلس تتمثّل بثوراتِ بني مردنيش في بلنســية[5]، بالإضافة إلى الغالب بالله محمدٍ الأولِ بنِ الأحمرِ، الذي ظهر كمنافسٍ قويٍّ لابن هود، إذ كــان يطمح في السيطرة على بلاد الأندلس خلفاً للموحدين[6]، واحتدم الصراع بين كلٍّ من ابنِ هــودَ وابنِ الأحمرِ، ووصل أشده؛ فقد تصادما في عدة معاركَ في قرطبةَ وإشبيلية وغيرها من مناطق الأندلس، وكانت الغلبةُ فيها لابنِ الأحمر[7]، واستّمر هذا الصراع بينهما حتى بعد تأسيس دولــة بني الأحمر بغرناطة[8].

---

[1] عنان، دولة، ج4، ص(31-32).

* ماردة: مدينة على الضفة الشمالية لوادي يانة، إلى الشمال الغربي من قرطبة، لها سور منيع من بناء الملــك لوذريــق، مشهورة بالرخام. انظر: الحميري، الروض، ص(518-519)؛ انظر أيضاً: عنان، الآثار، ص380.

* بطليوس: مدينة على وادي يانة، تبعد عن ماردة أربعين ميلاً، وعن قرطبة ست مراحل، كانت قرية صغيرة، ثم عمرها وزاد عليها عبد الرحمن بن مروان الجليقي بأمر من الأمير عبد الله بن محمد. انظــر: الحمــوي، معجــم البلــدان، ج1، ص447؛ الحميري، الروض، ص93؛ انظر أيضا: عنان، الآثار، ص372.

[2] فرحات، ص17.

[3] ابن الخطيب، أعمال، ص(279-280)؛ انظر أيضاً: حسن، دولة، ص(80-81).

* فرناندو الثالث(*Ferdinand III*): من أعظم ملوك قشتالة، خلف جدة لأمه الملك الفونسو الثامن(*Alfonso VIII*)(550-611هـ/1155-1214م) على عرش ليون وجليقية في سنة 627هـ/1230م، اتحدت في عهده مملكتا قشتالة وليــون، وبذلك أصبحت مملكة قشتالة أقوى الممالك الإسبانية وأكبرها. انظر: عنان، دولة، ج4، ص(87-88).

[4] حسن، دولة، ص81.

[5] المصدر نفسه.

[6] ابن الخطيب، اللمحة، ص43.

[7] ابن الخطيب، أعمال، ص279؛ ابن خلدون، تاريخ، مج4، ص218.

[8] عبد القادر، الأندلس، ص28.

وتعتبر دولةُ بني الأحمرِ آخرَ دولةٍ للمسلمين في الأندلس، ويُنسب ملوكُها لمؤسس دولتهم محمدٍ بنِ يوسفَ الأنصاري، وسُميت الدولة ببني الأحمر نسبة له[1]، ويُرجِع المؤرخون والنسابةُ نسبهم إلى سيد الخزرج سعدِ بنِ عبادة الخزرجي(ت:14هـ/635م)[2]، حيث انتقلوا للعيش في الأندلس في أوائل الفتح الإسلامي لها على غرار غيرهم من السكان، واستقروا بأرجونة*، أحد حصون قرطبة[3].

ودخل محمدٌ بنُ يوسفَ الأحمرِ معترك الحياة السياسية بعد مبايعة أهل أرجونة له سنة 629هـ/1232م[4]، وفَتَحَت وادي آش أبوابَها لبني الأحمرِ وأعلنت انتماءها لهم، واختلفت المصادر حول تاريخ دخولها في طاعتهم، حيث أورد ابنُ الأبار أنّها دخلت في طاعتهم سنة 630هـ/1231م[5]، واعتمد ابنُ الخطيب سنة 629هـ/1231م سنة دخولهم[6]، كما أورد حتاملة في موسوعته أنّها أعلنت طاعتها لهم سنة 631هـ/1233م[7]، بينما ذكر يوسفُ فرحات أنّها بايعتهم سنة 633هـ/1236م[8]، وفي سنة 635هـ/1238م دخل ابنُ الأحمرِ إلى مدينة غرناطةَ وبايعه أهلها، واتخذ منها حاضرةً له، فيكون بذلك التأسيس الفعلي لدولة بني الاحمر[9].

الاحمر[9].

---

(1) ابن الخطيب، رقم، ص115؛ ابن خلدون، ديوان، ج4، ص218.

(2) ابن خلدون، تاريخ، مج4، ص218؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص260؛ المقَّري، نفح، ج1، ص447. سعد بن عبادة الخزرجي: هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، تزعم قبيلة الخزرج في المدينة المنورة، توفي في الشام في فترة خلافة أبي بكر الصديق، ويقال في خلافة عمر بن الخطاب. انظر: ابن سعد، الطبقات، ج3، ص460.

* أرجونة: مدينة أو قلعة من حصون قرطبة، ينسب لها محمد بن يوسف بن الأحمر، أول سلاطين مملكة غرناطة. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، مج2، ص93؛ الحميري، الروض، ص26.

(3) ابن الخطيب، رقم، ص115.

(4) ابن أبي زرع، ص275.

(5) ابن الأبار، الحلة، ج2، ص354، حاشية رقم1.

(6) ابن الخطيب، كناسة، ص8.

(7) حتاملة، موسوعة، ج2، ص1126.

(8) فرحات، ص19.

(9) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص98.

وساندهم في ذلك أصهارهم بنو أشقيلولة مقابل أن يتقاسموا الملك فيما بينهم[1]، وكان بنو بنو أشقيلولة قد ظهروا على الواجهة السياسية في خضمّ الأحداث التي تلت موقعة العقاب 609هـ/ 1212م*، وتمركزوا في مدينة مالقة[2].

وبدأ حكم بني أشقيلولة لوادي آش بعد أن أجاز لهم محمدٌ بنُ يوسف الأحمر بذلك، حيث تولّى كبيرُهم أبو الحسن بنُ أشقيلولة* قيادة الجيش[3]، وعقب وفاته أسند حكم وادي آش لولده أبي إسحاق* حيث عَهِد إليه ابنُ الأحمر بذلك، وهو أول من تسلّم مقاليدَ الحكم في المدينة، وقابله عبدالله أبو محمدٍ بنُ أشقيلولة* على مدينة مالقة[4]، بَيدَ أن علاقتهم الوديّةَ لم تدم طويلاً، فسرعان فسرعان ما انتكست؛ وذلك بعد أن أوصى ابنِ الأحمر بولاية العهد لولديه محمدٍ ويوسفَ، ولم يُشرك بنو أشقيلولة فيها بعد أن كان قد وعدهم بذلك[5]، كما سحب قيادة الجيوش من بني أشقيلولة ومنحها لبني مرين[6]، الأمر الذي أثار غضب واليها عبدِ الله بنِ علي بنِ أشقيلولة

---

(1) ابن الخطيب، أعمال، ص287. انظر أيضاً: جاسم، الطيف؛ جميل، قتيبة، بني أشقيلولة، ص(271-272)

* موقعة العقاب: وقعت بالأندلس بين جيان وقلعة رباح، سنة609هـ/1212م، بين المسلمين بقيادة الخليفة الموحدي محمد الناصر (595-610هـ/1199-1213م)، والجيوش الإسبانية بقيادة ألفونسو الثامن(*Alfonsn VIII*) ملك قشتالة، وبيدرو الثاني(*Pedro II*)(592-610هـ/1196-1213) ملك أرغون، وسانشو السابع(*Sancho el Fuerte*)(590-631هـ/1194-1234م) ملك نافار، وتمخض عنها هزيمة الجيش الموحدي. انظر: الحميري، صفة، ص137.

(2) ابن الخطيب، أعمال، ص287؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص255.

* أبو الحسن بن أشقيلولة(الأول): علي بن محمد التجيبي، زعيم بني أشقيلولة في وادي آش، وكان من الثائرين على بني هود، وحليف محمد بن الأحمر الأول حتى تسلم الأخير حكم مدينة غرناطة، فعقد له على مدينة وادي آش. انظر: ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص254؛ انظر أيضاً: الطيف، ص270.

(3) ابن الخطيب، أعمال، ص287؛ انظر أيضاً: الطيف، ص270.

* أبو إسحاق بن أشقيلولة: إبراهيم بن علي بن محمد التجيبي، الابن الأصغر لأبي الحسن بن أشقيلولة، الذي تسلم حكم مدينة قمارش ووادي آش عقب وفاة والده، واستمرت تحت سلطته حتى توفي سنة 682هـ/1283م. انظر: ابن خلدون، ديوان، ج7، ص(216، 281).

* أبو محمد عبد الله بن أشقيلولة(الأول): عبد الله بن علي بن محمد، الابن الأكبر لأبي الحسن بن أشقيلولة، تسلم حكم مدينة مالقة بعد وفاة واليها أبي الوليد بن الحجاج بن نصر سنة 655هـ/1257م. انظر: الطيف، ص271.

(4) ابن الخطيب، أعمال، ص287؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص254.

(5) فرحات، ص24؛ الطيف، ص272.

(6) المقَّري، نفح، ج1، ص(452-453). بنو مرين: يرجعون في نسبهم إلى قبيلة زناتة البربرية، وأصلهم من أحواز تلمسان، قاعدة المغرب الأوسط، وكان موطنهم ما بينها وبين تاهرت، أسسوا دولتهم بعد انهيار دولة الموحدين سنة 668هـ/1269م، وأول سلاطينهم أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق(668-685هـ/1269-1286م). انظر: المراكشي، المعجب، ص336؛ مؤلف مجهول، الحلل، ص(185-187).

وإخوته؛ حيث رفضوا التنازل عنها، وأعلنوا الثورة والعصيان، واشتعلت نارُ الفتنة والعداوة في نهاية حكم محمدٍ ابنِ الأحمرِ، وتحوّلت المنطقةُ إلى حلبة صراعٍ بين الأسرتين، ووصل بينهم التنافرَ إلى حد سفك الدماء[1].

أحوال وادي آش منذ عهد السلطان محمد الفقيه حتى نهاية عهد الغني بالله محمد الخامس(671-793هـ/1273-1391م):

تُوفيَ السلطانُ محمدٌ الأول بن يوسف بن الأحمر سنة 671هـ/1272م، وأعقبه على الحكم ابنُه محمدٌ الفقيه (الثاني)(671-701هـ/1273-1301م)[2]، واستمرت مدينة وادي آش تحت حكم أبي إسحاقَ بنِ أشقيلولة حتى وفاتِه سنة 682هـ/1283م، وخلفه أخوه أبو الحسن ابنُ أشقيلولة (الثاني)* ليسانده في الحكم أخيه أبي محمدٍ بنِ أشقيلولة*، وفي خضمّ هذه الأحداث المضطّربة لجأ كلٌّ من زعيمِ بني أشقيلولة وزعيم بني الأحمر إلى إبرام معاهداتِ صلحٍ مع ملوك قشتالة ضد بعضهما [3]، ولم يكتفِ محمدٌ الأشقيلولي بهذا، فتوجّه إلى السلطان أبي يوسفَ يعقوبَ بنِ عبدِ الحق المريني(668-685هـ/1269-1286م)*، في بلاد المغرب، وأعلن

---

[1] ابن الخطيب، أعمال، ص(287-288).

[2] فرحات، ص26. محمد الفقيه: ثاني ملوك غرناطة، ولد سنة633هـ/1236م، وتولى الحكم بعد وفاة أبيه المؤسس سنة 671هـ/1273م، وصف بحسن الخُلق ورجاحة العقل ورعاية أهل العلم والأدب والمواظبة على الجهاد، وتوفي في 8شعبان701هـ/7نيسان1302م. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(556-566).

* ابو الحسن بن أشقيلولة الثاني: بن إبراهيم بن علي بن محمد التجيبي، الابن الأكبر لأبي اسحاق بن أشقيلولة، الذي حكم وادي آش عقب وفاة والده بمساعدة أخيه أبي محمد. انظر: الطيف، ص271.

* أبو محمد بن أشقيلولة: عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التجيبي، حكم مدينة وادي آش بمساعدة أخيه أبي الحسن، واستمر في حكم المدينة بعد وفاة أخيه، ويعد أخر زعماء بني أشقيلولة في غرناطة حيث انتقل منها إلى المغرب وتنازل عن حكم وادي آش لبني مرين. انظر: الناصري، ج3، ص68.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص377؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص(280-281)؛ الناصري، ج3، ص68؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج4، ص(108-109)؛ العبادي، دراسات، ص(404-405).

* يعقوب بن عبد الحق المريني: أمّه أمّ اليمن بنت علي البطوئي، ولد سنة607هـ/1210م، عرف بالحلم والتواضع والشجاعة، بويع سنة 656هـ/1258م وفتح مراكش سنة 688هـ/1269م، وملك المغرب الأقصى، وبعض بلاد الأندلس، توفي سنة685هـ/1286م ودفن في رباط الفتح. انظر: ابن القاضي المكناسي، ص(556-558).

طاعته له، ودعاه لتسلُّم مدينة مالقة[1]، فوافق السلطان المريني، وتسلَّمها، وعلى أثر ذلك ساءت الأمورُ بين دولتي بني نصرٍ وبني مرين[2].

ولم يكتف محمدٌ الأشقيلولي بهذا، بل أقام دعوته في وادي آش[3]، سنة686هـ/ 1287م[4]، ممّا أوقف ابنَ الأحمرِ عن التدخل في الشؤون الداخلية للمدينة، من أجل الحفاظ على العلاقات السياسية التي تربطه ببني مرين، ولمّا استتبّ له الأمرُ أفصح لبني مرين عن نيته في حكم وادي آش، وكان له ما أراد[5]، فتمّ الاتفاقُ بينهما على أن يتنازل سلطانُ غرناطةَ عن مدينة وادي آش قاعدة بني أشقيلولة لبني مرين بينما يتنازل الأخيرُ عن قصر كُتامة* في شمال المغرب لبني أشقيلولة[6]، وتنفيذاً لذلك أرسل سلطانُ بني مرين إلى أبي محمدٍ بنِ أشقيلولة يطالبه بالخروج من المدينة والتوجّه إلى المغرب[7]، فغادروها سنة 689هـ/ 1290م[8]، وقيل سنة 687هـ/1288م[9] واستقروا في المغرب إلى أن انقرضت أخبارهم في أواخر دولة بني مرين[10].

ولم يتوقفْ الخلافُ بين دولتي بني نصر وبني مرين عند ذلك الحد، بل استمر السلطانُ محمدٌ الثاني بعقد تحالفاتٍ إقليميةٍ من أجل استعادة وادي آش لأهميتها الاستراتيجية وقربها من

---

[1] ابن ابي زرع، ص328.

[2] ابن الخطيب، اعمال، ص288.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص377؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص(280-281)؛ الناصري، ج3، ص68؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج4، ص(108-109)؛ العبادي، دراسات، ص(404-405).

[4] ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص281.

[5] ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص281؛ الناصري، ج3، ص68؛ انظر أيضاً: الطيف، ص274.

* قصر كتامة أو القصر الكبير: عبارة عن ميناء مغربي يقع على مضيق جبل طارق بين مدينتي سبتة وطنجة مقابل ثغر طريف الأندلسي، وقد استخدم كمقر للجيوش الذاهبة إلى الأندلس، وكان يسمى أيضاً بقصر عبد الكريم. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص377، حاشية رقم4؛ العبادي، دراسات، ص405.

[6] ابن الخطيب، اللمحة، ص44؛ الإحاطة، ج3، ص377؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص281؛ الناصري، ج3، ص68؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج4، ص(108-109)؛ العبادي، دراسات، ص(404-405).

[7] ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص377؛ انظر أيضاً: الطيف، ص274.

[8] ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص377.

[9] ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص(280-281)؛ الناصري، ج3، ص68.

[10] ابن الخطيب، اللمحة، ص44؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص281؛ الناصري، ج3، ص68.

غرناطةَ، فلقد كان محمدٍ الثاني يُعرب على الدوام عن مخاوفه من استيلاء بني مرين عليهـا[1]، وقام بإجراء مفاوضات مع الملك القشتالي سانشو الرابع(*Sancho IV*)(681-690هـ/1282-1291م)*، واتفق معه على أن تهاجم قشتالة قاعدة بني مرين(طريف) بمساعدة محمد الثـاني، بينما يقوم الأخير باستعادة وادي آش[2]، ومع حلول سنة 690هـ/1291م قام السلطان محمـد الثاني بالهجوم على مدينة وادي آش وأخرج الحاكم المريني منها[3]، ولم يكتف بذلك، بل أخـذ يتواصل مع العديد من الأطراف في الأندلس والمغرب، وأقام معهم تحالفاتٍ لإبعاد خطر بنـي مرين عن مملكته[4].

ومن الجدير ذكرُه أنه في عهد السلطان محمد الفقيه ظهرت وظيفةٌ عسكرية تعرف باسم مشيخة الغزاة*، والتي جاءت نتيجة تعاون القوات المغربية مع الأندلسية ضد الأعداء، وكان مقرٌّ القيادة العامة لهذه المشيخة في مدينة غرناطة، ويتبع هذه القيادة قياداتٌ محليةٌ أو إقليميةٌ تتوزّع في عدة مدنٍ أندلسية ومنها وادي آش[5]، وكان سلاطينُ غرناطةَ يعاملون هؤلاء الجنود معاملةً حسنةً، وكانوا يُغدِقون عليهم الأموالَ والعطايا[6].

---

[1] عبد القهار، علاقات، ص(87-88).

* سانشو الرابع(*Sancho IV*): ملك قشتالة وليون، ثار على أبيه ألفونسو العاشر(*Alfonso X*)(650-681هـ/1252-1282م) سنة 681هـ/282م، فنشبت حرب أهلية في قشتالة، وانتصر الابن على أبيه، وقام بخلعه، وتسلم الملـك سـنة 681هـ/1282م، واستمر حتى سنة 690هـ/1291م. انظر: الكتاني، انبعاث ص45؛ عنـان، دولـة، ج4، ص(104-105).

[2] ابن الخطيب، اعمال، ص291؛ انظر أيضاً: عبد القهار، ص88.

[3] ابن الخطيب، اعمال، ص(290-291).

[4] عبد القهار، ص87.

* مشيخة الغزاة: مجموعة من المجاهدين المغاربة في الأندلس، ظهرت في الفترة المرينية، رئيسها شيخ الغزاة مـن بنـي مرين، ثم تولى رئاستها بنو العلاء وأولهم عبد الله بن أبي العلاء(ت:693هـ/1294م)، ووظيفة شيخ الغزاة تُعين بموجب مرسوم سلطاني من بني الأحمر ويكون من المغاربة، استمرت هذه الوظيفة حتى سـنة783هـ/1381م. انظـر: ابـن الخطيب، نفاضة، ص17؛ الحجي، ص(540-541).

[5] ابن الخطيب، نفاضة، ص17.

[6] ابن الخطيب، ريحانة، ج2، ص64.

وبعد وفاة محمد الفقيه في شعبان سنة701 هـ/1302م تولّى عرش مملكة غرناطة ابنُه أبو عبدالله محمدٌ الملقب بالمخلوع(701-708هـ/1302-1309م)[1]، وعُدَّت مدينـــة وادي آش من ضمن ممتلكاته، إذ وضعها تحت وصاية أحد أقربائه، الوالي أبي الحجاج بن النصر، الـذي بدأ يخطّط للثورة على السلطان[2]، فاستعطفه الأخير وجدّد ولايته أمام الناس ليحفظ المدينة مـن خطر الفتنة، فما كان من الوالي أبي الحجاج بنِ نصر إلا وذهب إلى مدينـــة وادي آش، وبـدأ يستبدُّ بأهلها، ولم يستمرَّ ذلك طويلاً، فقد حاصره أهلُ المدينة، وقبضوا عليه، واقتادوه مكبلاً إلى القصر، فأمر السلطانُ ابنَ عمه محمداً بنَ علي بن أحمدَ بضرب عنقه، سنة 703هـ/1305م[3].

وتحدث ابن الخطيب عن عزل السلطان محمد الثالث عن الحكم، في يوم عيد الفطر من سنة 708هـ/1308م، فقد اجتمع رجالُ الدولة ضدّه وقرروا خلعه، فأوقعوا بوزيره أبي عبدِالله محمدِ بن الحَكَمْ، ثمّ اقتحموا منزل السلطانِ ونقلوه إلى مدينة المنكب، وعيّنوا أخاه نصـراً بـن محمد بن محمدٍ بن يوسف بن نصر(708-713هـ/1309-1314م) مكانه[4].

وفي أيامه انتشرت الفتنُ الداخلية، فقد ثار عليه ابن أخته إســماعيلُ بــن يوسـفَ بـن إسماعيل بن فرج بن نصر(713-725هـ/1314-1325م)* -صاحب مالقة-، وعلى أثر ذلك

---

[1] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص(45-47). أبو عبد الله محمد بن محمد الفقيه: تولى الحكم سنة701هـ/1302م، كان أديباً وشاعراً، قام بتجديد بناء المسجد الأعظم بغرناطة، وأولى الجانب القضائي اهتمامه، وله العديد من المآثر الجهادية، إلا أنه واجه العديد من الثورات الداخلية، التي كانت آخرها على يد أخيه أبي الجيوش نصر، الذي خلعه عن الحكم سنة708هـ/1308م. انظر: ابن الخطيب، اللمحة، ص(47-56).

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(551-552)؛ اللمحة، ص53؛ أعمال، ص292.

[3] ابن الخطيب، أعمال، ص(292-293).

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(553-554)؛ اللمحة، ص54؛ انظر أيضاً: حتاملة، الأندلس، ص572. نصر بن محمد بن يوسف بن نصر: رابع ملوك غرناطة، تولى الحكم سنة 708هـ/1308م، وكان عمره حينذاك ثلاثة وعشرين سنة. هاجم الإسبان في عهده الجزيرة الخضراء والمرية وجبل الفتح، كما اضطر لمواجهة العديد من الثورات، مما أدى إلى عزله عن الحكم إلى مدينة وادي آش سنة 713هـ/1313م، وبقي فيها حتى مات سنة 722هـ/1322م. انظر: ابن الخطيب، اللمحة، ص(57-63).

* أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر: خامس سلطان على غرناطة من بني الأحمر خلال(713-725هـ/1314-1325م)، حيث تسلم الحكم بعد أن خُلع نصر، واغتيل وهو بين جنده وعبيده في باب القصر على يد ابن عمه محمد بن إسماعيل المعروف بصاحب الجزيرة، بعد مشاحنات بينهما. انظر: ابن الخطيب، اللمحة، ص(65-66، 73-74).

قام إسماعيلُ بنقل خاله نصرٍ إلى وادي آش وتنصيبه حاكماً عليها، واستمر في حكمها حتى وفاته سنة 722هـ/1322م[1].

وعَقِب وفاة نصر انتقل الحكم إلى أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف، وفي عهده شهدت مدينة وادي آش صراعاً بين المسلمين والإسبان، وذلك في شهر صفر من سنة716هـ/1316م، وكانت الغلبةُ فيها للإسبان[2]؛ وقيل أن الطرفين لم يحققا أيَّ نتائجَ إيجابيةٍ ملموسةٍ[3]، وفي26رجب من سنة 725هـ/1325م، قُتِل السلطانُ إسماعيلُ غدراً في قصره على يد ابن عمه محمدٍ ابنِ إسماعيلَ، وأعقبه على الحكم ابنُه محمدٌ الرابع بن إسماعيل بن فرج(725-733هـ/1325-1333م)[4].

ومن الأحداث المهمة في عهده تلك الصراعاتُ الطاحنة بين كلٍّ من وزيره محمدٍ بنِ أحمد المحروق(729هـ/1328م)* ، وشيخِ الغزاة أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء(ت:730هـ/1329م)*، وذلك في محرم سنة 727هـ/1327م، حيث أمتدّت الفتنةُ لتشمل عدة مناطق من الأندلس، فلجأ السلطان إلى أسلوب اللين والمهادنة مع شيخ الغزاة[5]، وعلى أثر ذلك انتقل شيخُ الغزاة إلى مدينة وادي آش تحت حماية السلطان وطاعته، واستقرت الأمور بعض الشيء[6].

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(385-387)؛ اللمحة، ص(62-63).

[2] فرحات، ص33.

[3] ابن الخطيب، اللمحة، ص(294-295)؛ انظر أيضاً: فرحات، ص33.

[4] ابن الخطيب، اللمحة، ص(73-74، 77)؛ انظر أيضاً: الطوخي، ص37. محمد بن إسماعيل بن فرج: بن إسماعيل بن نصر ولد سنة 715هـ/1315م، وأمّه أمُّ ولد اسمها علوة. تولى الحكم سنة 725هـ/1325م، ووصف بالشجاعة، ومن أعظم مناقبه تخليص جبل الفتح من الإسبان، وقتل وهو عائد من هذه الغزوة في 12ذي الحجة سنة 733هـ/23آب1333م. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(532-540).

* الفقيه أبو عبد الله محمد بن احمد بن المحروق: من أوائل وزراء الملك الغرناطي أبي عبد الله محمد الرابع، من أهل غرناطة، اغتيل بأمر من مليكه في 2محرم729هـ/5كانون الأول1328م. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص537.

* ابو سعيد عثمان بن أبي العلاء: أحد قادة مشيخة الغزاة بالأندلس، لمدة ثلاثِ وعشرين سنة، أبلى خلالها بلاءً حسناً، فعظمت مكانته، وظل كذلك حتى توفي سنة 730هـ/1329م، وعمره ثمان وثمانون سنة. انظر: ابن خلدون، تاريخ، مج7، ص(490-493).

[5] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(535-536)؛ اللمحة، ص(79-80)؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج4، ص(121-122).

[6] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص536.

وما لبثت العلاقات العدائية أن عادت إلى سابق عهدها بين بنـــي الأحمـــر والمغاربـــة، وبخاصة بعد مقتل السلطان الغرناطي على أيديهم بينما كان عائـــداً مـــن جبـــل الفـــتح ســـنة 733هـ/1333م، وعلى إثر ذلك تمّت مبايعة أخيه أبي الحجاج يوسف الأول[1]، الذي استمرّ في الحكم حتى قُتل سنة 755هـ/1354م، وهو في السابعة والثلاثين من عمره، وخلفه ابنُه الغنـــي بالله محمدٌ الخامس[2]، وبعد مرور خمسِ سنواتٍ على حكمه وتحديداً في ليلة 27[3] وقيل 28[4] رمضان سنة760هـ/1359م، قامت عليه الثورةُ بتخطيطٍ مسبقٍ من زوجة أبيه والـــدة أخيـــه إسماعيل، إذ انتهز الثائرون غياب الغني بالله عن قصره؛ فقاموا بمهاجمته ودخلوا إلـــى بيـــت الحاجب رضوان وقتلوه في مضجعه[5]، وأسروا وزيره ابن الخطيب[6]، وأطلقوا سراح الأميـــر إسماعيل ونادوا به سلطاناً[7]، وأثناء عودة السلطان – الغني بالله– وأهلَه من جنة العريف* علم بالأمر، فتوجّه نحو وادي آش، حيثُ استقبله أهلُها بحفاوةٍ، وبايعوه، ونادوا به حاكماً علـــيهم[8]، ورَغمَ ذلك لم تبرد شكوكُه ومخاوفُه، مما دفعه إلى الاستنجاد بسلاطين المغرب، طالباً اللجـــوء إليهم[9]، وقيل إنّ سلطان المغـــرب أرســـل إليـــه يســـتدعيه إلـــى بـــلاده[10]، فتوجّـــه ســـنة 762هـ/1360م[11] إليها مع وزيره ابنِ الخطيب بعد أن أُفرج عنه، وبقي فيها حتى اســـترجع ملكه المسلوب سنة 763هـ/1361م[12]، حيث لم يمتد حكم الأمير إسماعيل أكثر من سنةٍ؛ فقـــد

---

(1) المصدر نفسه، ص(540-541)؛ انظر أيضاً: حتاملة، الأندلس، ص579.

(2) ابن الخطيب، اللمحة، ص(97، 100).

(3) ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص405؛ المقَّري، أزهار، ج1، ص95؛ نفح، ج5، ص95.

(4) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص(26-27)؛ اللمحة، ص(108-109).

(5) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص(26-27)؛ اللمحة، ص(108-109)؛ ابن خلدون، تاريخ، مج7، ص405؛ المقَّري، نفح، ج5، ص95.

(6) ابن الخطيب، نفاضة، ص15؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص406؛ انظر أيضاً: فرحات، ص38.

(7) ابن الخطيب، اللمحة، ص109؛ المقَّري، أزهار، ج1، ص195.

* جنة العريف: قصر صغير، يقع بالقرب من شمال شرقي قصر الحمراء، يتميز بموقعه الجميل، وروعة المناظر الطبيعية التي تحيط به، وقد اتخذه سلاطين وملوك غرناطة متنزهاً للراحة والاستجمام. انظر: ابن الخطيب، ج2، حاشية رقم2.

(8) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص27؛ اللمحة، ص109.

(9) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص27؛ ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص406؛ انظر أيضاً: حتاملة، الأندلس، ص585.

(10) ابن الخطيب، اللمحة، ص109؛ المقَّري، أزهار، ج1، ص196؛ انظر أيضاً: حتاملة، الأندلس، ص585.

(11) ابن الخطيب، اللمحة، ص(109-110)؛ المقَّري، أزهار، ج1، ص201.

(12) ابن خلدون، تاريخ، ج7، ص409.

انغمس في الملذاتِ والرذائل، ممّا دفع صهرَه وزوجَ أختِه الرئيس محمد بن عبد الله بـــن أبـــي الوليد(761-763هـ/1359-1361م) إلى الثورة عليه وقتله سنة761هـ/1359م[1]، وتـــولّي حكم المملكة[2]، فجاء السلطان الغني بالله بمظهر المنقذ للدولة من الضـــياع والـــزوال، وحكـــم المملكة حتى وفاته سنة 793هـ/1391م، وفي عصره ساد الأمنُ والسلامُ، ووصلت غرناطـــةُ في عهده إلى قمة اتساعها وازدهارها[3].

وادي آش منذ عهد السلطان محمد الأيسر حتى نهاية عهد السلطان أبي الحســن علـــي ابــن سعد(820-890هـ/1417-1485م)

تُعدّ فترةُ حكمِ السلطانِ محمدٍ الأيسر(820-858هـ/1417-1454م)*، بدايةً لسلسلةٍ من الاضطرابات والأحداث المتعاقبة؛ ففي عهده ساءت الأحوال، وزادت الفتنة الداخلية، إذ عُـــزل السلطانُ نفسُه خمسَ مراتٍ عن العرش، واشتد كره الشعب له، فقد كان سيء الطباع، صـــارماً مع الرعية، وقليل الإهتمام بهم، حيث أوكل أمورَ الحكم إلى وزيره يوسف بنِ سراجٍ الذي سعى إلى التخفيف من كره الشعب للسلطان، ولم يجد ذلك نفعاً، فقامـــت الثـــوراتُ والانقلابـــاتُ[4]، واستغل الإسبان سوءَ الأوضاعِ الداخليةِ، فساروا بقيادة ملك قشتالة خـــوان الثـــاني (*Juan ll*) (809-858هـ/1406-1454م)[5] سنة 831هـ/1428م لغزو غرناطةَ، وتوغّلوا في أرجائها وعاثوا في بسائط وادي آش، فازدادت الأمور سوءاً، بعد أن فشل الأيسر في دحرهم؛ وسرعان

---

[1] ابن الخطيب، اللمحة، ص(114-115، 117)؛ نفاضة، ص(113-115)؛ انظر أيضاً: فرحات، ص38.

[2] ابن الخطيب، نفاضة، ص183.

[3] عنان، دولة، ج4، ص148؛ فرحات، ص41.

* أبو عبد الله محمد الأيسر بن يوسف: تسلم حكم مملكة غرناطة بعد والده، وكان صارماً، سيء الطباع، بعيداً عن شعبه، فشكّل حكمه بداية لسلسلةٍ من الاضطرابات السياسية، حيث ساءت الأوضاع، وزاد سخط الشعب عليه، فثاروا ضده وفقـــد عرشه على إثر ذلك، لكنه عاد واسترده مرة أخرى. انظر: خطاب، ج2، ص(187-188).

[4] عنان، دولة، ج4، ص155؛ حتاملة، الأندلس، ص592.

[5] حتاملة، الأندلس، ص592. خوان الثاني: تسلم مُلك قشتالة في الثانية عشر من عمره، وكان تحت وصاية أمه الملكـــة كونستاس الإنجليزية، وعمه الأمير فرناندو صاحب أنتقيرة (*Fernando de Antequera*)، واستمر في الحكم حـــوالي نصف قرن، وكان أميراً ضعيف الشخصية، سيء الخلال، يقضي أوقاته في اللهو والصيد والفروسية. عنان، دولـــة، ج4، ص175؛ حتاملة، الأندلس، ص591.

ما عمّت الثورات المطالبة بخلعه[1]، ونادت بتعيين الأميــر محمــد بــن محمــد بــن يوســف الثالثِ(831-833هــ/1427-1429م)، وهو ابنُ أخِ الأيسر ويقال ابنُه، ويلقّب بالزغير، فرحل الأيسر إلى تونس بضيافة السلطان أبي فــارس عبــدِ العزيــز بــنِ أحمــد الحفصــي(796-837هــ/1394-1434م)[2].

وتولّى محمدٌ الزغير حكم غرناطة بعد رحيل الأيسر، واستقر في مدينــة وادي آش[3]، وبذل قُصارى جهده من أجل القضاء على الدسائس والفتن، ولكنّه لم يوفّق في ذلك[4]، وكان بنو سراج* من ألدّ خصومه وأعدائه، فعمل على مجابهتهم وطردهم لإنهاء نفوذِهم القوي المتغلغــلِ في غرناطةَ وأنحائها؛ فغادر يوسفُ بنُ سراجٍ غرناطةَ مع عددٍ كبيرٍ من أفــراد أســرته إلــى مرسية، ثم توجّه إلى إشبيلية لطلب الحماية من ملك قشتالة خوان الثــاني، واتّفقــا معــاً علــى استرجاع الأيسر للعرش، وأرسلوا إليه من أجل مغادرة تونس، فلبّى الدعوةَ، وزوّده السلطانُ أبو فارس الحفصي بفرقةٍ من الفرسان، فتوجّه نحو المرية واستقبله أهلُها ونادوا به سلطاناً عليهم[5]، عليهم[5]، وعندما وصل الخبر للزغير أرسل قواته للقضاء عليه، لكن حدث ما لم يكن بالحسبان إذ انضم أغلب جيوش الزغير إلى الأيسر؛ فزحف الأخير نحو وادي آش حيث يحتشد أنصاره، ثم توجّه منها إلى غرناطةَ حيث بايعه أهلُها ونادوا به ملكاً عليهم، فحاصــر قصــرَ الحمــراءِ واعتقل الزغير وقطع رأسه، وأسر أولاده وأهله، وقيل قبض عليه واعتقله هو وأخاه الأمير أبو

---

[1] عنان، دولة، ج4، ص155؛ فرحات، ص44.

[2] ابن عاصم الغرناطي، ج1، ص15؛ انظر أيضاً: عنــان، دولــة، ج4، ص155؛ فرحــات، ص44؛ خطــاب، ج2، ص188. أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصي الهنتاني: يعرف بعزوز، ويلقب بالمتوكل على الله، بويع بعد وفاة أبيــه سنة 796هــ/1374م، وكان حازماً حسن السيرة. انظر: الزركلي، ج4، ص14.

[3] رحيم، ص(72-73).

[4] عنان، دولة، ج4، ص156؛ الأندلس، ص593.

* بنو سراج: أسرة أندلسية عريقة، يرجعون في نسبهم إلى مَذحج وطئ، ظهروا على الساحة السياسية في عصــر بنــي الأحمر، ونالوا مناصب مهمة في الدولة، وبرز منهم يوسف بن سراج، الذي ساعد محمد الأيسر في استرداد عرشه أكثــر من مرة. انظر: عنان، دولة، ج4، ص(154-155).

[5] عنان، دولة، ج4، ص156؛ فرحات، ص44؛ الأندلس، ص593.

الحسن عليٌّ بنُ يوسفَ في قلعة شلوبانية، التي تعتبر سجن الدولة الرسمي في عهد دولـــة بنـــي الأحمر، وذلك سنة 832هــ/1435م[1].

عمل الأيسر على تنظيم أمور مملكته، وأعاد يوسفَ بنَ سراجٍ إلى الوزارة، وأرسل إلى ملك قشتالة خوان الثاني من أجل تجديد الهدنة، فاشترط ملكُها دفعَ الأيسر كلّ ما أنفقه القشتاليون من أجل إرجاعه للعرش، ودفع جزيةٍ سنويةٍ، والدخول في طاعته، بالإضافة إلى إطلاق ســـراحِ كافةِ الأسرى الإسبان الموجودين في بلاده، فرفض الأيسر ذلك، وهدّد ملك قشتالة بـــالحرب[2]، وعلى أثر ذلك انقسمت البلاد، واشتعلت الفتنُ الداخلية، وظهر يوسفُ بنُ محمدٍ بنُ اســـماعيل*، الذي دبّر مكيدة لخلع الايسر، إذ تعهّد بتحرير أسرى الإسبان ودفع جزيـــةٍ ســـنوية، وحضـــور مجلس الكورتس(مجلس النواب القشتالي) مقابل الحصول على تأييدهم ودعمهم[3]، فقام الإسبان بشنّ غاراتٍ على أراضي المسلمين، وكانت البداية ضد رندة*، فزحف الأيسر للقـــائهم وتمكّـــن منهم بالبداية، لكن سرعان ما توجّه ملك قشتالة مع قواته إلى حصن اللوز[4]– أحد حصون وادي آش–[5] وأرشذونة وغيرها، وعاثوا في نواحيه[6]؛ وانحاز القشتاليون إلى يوسفَ بنِ محمدٍ بـــنِ إسماعيلَ، ونادوا به ملكاً، فتوجّه بجيوشه نحو غرناطةَ، فلقيه يوسفُ بنُ سراج الذي هُزم وقُتل، ودخل غرناطةَ وتسلم الملك[7].

---

[1] عنان، دولة، ج4، ص156؛ حتاملة، الأندلس، ص593؛ فرحات، ص44؛ خطاب، ج2، ص(188–189).

[2] عنان، دولة، ج4، ص(156، 158)؛ حتاملة، الأندلس، ص593؛ فرحات، ص45؛ خطاب، ج2، ص189.

* أبو الحجاج يوسف بن المول، أمّه ابنة السلطان يوسف بن الغني بالله، وأبوه ابن المول من وزراء الدولة النصرية، قـــام بتدبير مؤامرة لخلع الأيسر، فلجأ إلى ملك قشتالة خوان الثاني وطلب منه مساعدته على انتزاع العرش لنفسه، وتعهد بـــان يحكم باسمه وتحت طاعته، ووقع معه معاهدة خضوع وتبعية. انظر: عنان، دولة، ج4، ص158؛ خطاب، ج2، ص190.

[3] ابن عاصم الغرناطي، ج1، ص16؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج4، ص(158، 160)؛ حتاملـــة، الأنـــدلس، ص595؛ خطاب، ج2، ص190.

* رندة: مدينة أندلسية قديمة، بها آثار كثيرة، تقع إلى الغرب من مالقة على ضفة نهـــر. انظـــر: الحميـــري، الـــروض، ص269.

[4] عنان، دولة، ج4، ص160؛ خطاب، ج2، ص191.

[5] مالدونادو، ج1، ص383.

[6] عنان، دولة، ج4، ص160؛ خطاب، ج2، ص191.

[7] عنان، دولة، ج4، ص160؛ خطاب، ج2، ص191؛ فرحات، ص45.

وعقب وفاة السلطان يوسف، اتفقت بعض القوى على إرجاع محمد الأيسر للعرش للمرة الثالثة في سنة 835هـ/1432م، وواصل جهوده في التّصدي للثورات والمكائدِ التي كان يقودها ملك قشتالة ضد غرناطة، كما استمرّ في التّصدي للقشتاليين، فتوجّه مع عدد من جيوشه إلى محاربة جيوشهم التي كانت تشن الغارات، وتعيث في أحواز غرناطةَ ووادي آش وغيرهما، وذلك سنة 835هـ/1432م[1]، وقيل سنة 839هـ/1435م[2]، وقد تمكن القائدان أبو إسحاق إبراهيم بن عبدِ البَر*، وأبو القاسم محمد بن السراج(ت:848هـ/1145م)* من هزيمتهم في مدينة أرشذونة ووادي آش ومرج غرناطة وغيرها[3]، لكن سرعان ما عاد الإسبان، بقيادة القشتالي جومث دي ريبيرا(*Gomez de Ribera*)، وهاجموا هذه المناطقَ وتمكّنوا من انتزاع عددٍ من الحصون والقرى المجاورة، حيث استولوا على حصن اللقون القريب من وادي آش سنة 836هـ/1433م، واستمرّ الصراع بضعةَ أعوامٍ بين المسلمين والقشتاليين، وتحوّل بين سنتي 839-841هـ/1436-1438م لصالح القشتاليين؛ إذ سيطروا على عدة حصون، ولمّا رأى المسلمون كثرةَ خسائرهم أعلنت مدينة بسطة ووادي آش ولاءهما لهم[4].

وفي سنة 849هـ/1445م ازدادت الاضطراباتُ والفتن الداخلية التي ساهمت بشكلٍ أو بآخرَ في إضعاف المسلمين وانحسار رقعةِ دولتهم، كثورةُ ابنِ أُختِ الأيسرِ أبي الحجاج يوسفَ ابنِ أحمدَ بنِ نصر(يوسف الرابع) ضد خاله[5]، وكان موقف وادي آش مؤيداً لأبي الحجاج، إذ

---

[1] ابن عاصم الغرناطي، ج1، ص18؛ انظر أيضاً: خطاب، ج2، ص(191-192)؛ عنان، دولة، ج4، ص161.
[2] خطاب، ج2، ص192.
* أبو إسحاق إبراهيم بن عبد البر: من عائلة بني سراج في غرناطة، عُين وزيراً وقائداً لمدينة وادي آش، كان مجاهداً في سبيل الله، واستطاع إلحاق عدة هزائم بالإسبان، توفي سنة 856هـ/1452م. انظر: ابن عاصم، ج1، ص18 وما بعدها.
* أبو القاسم محمد بن السراج: تولى منصب القضاة، ولقب بقاضي الجماعة، أسند إليه السلطان يوسف منصب الوزارة، فقام بسد الثغور وبث العطاء في الجند، وأحسن معاملة الناس، وبعد ذلك جرى اعتقاله بأمر من الرئيس أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. انظر: ابن عاصم الغرناطي، ج1، ص24 وما بعد.
[3] ابن عاصم الغرناطي، ج1، ص(18-19)؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج4، ص161؛ حتاملة، الأندلس، ص596؛ خطاب، ج2، ص192.
[4] ابن عاصم الغرناطي، ج1، ص19.
[5] ابن عاصم الغرناطي، ج1، ص22؛ انظر أيضاً: حتاملة، الأندلس، ص597.

ساندَه أهلُها ووقفوا إلى جانبه، وكذلك أهالي بلش* ومالقة؛ الأمر الذي جعل السلطان في وضعٍ سيءٍ، مما اضطّره إلى خلع نفسه عن الملك؛ لتجنب المزيد من الفتن[1]، ومن ثم استقرّ الحكمُ لأبي الحجاج لمدة أربعةِ أشهرٍ[2]، إذ انتهى حكمُه نتيجةَ ثورةِ أبي الوليد إسماعيلَ بنِ الأحمرِ عليه، حيث توجّه إلى حصن قنبيل إلى الشمال من غرناطة، "فنجم الخلاف وتواترت إلى جهته الشرّاد وكثر بالحضرة والارجاف، فقام السلطانُ أبو الحجاج بعزل الوزير عليٍّ بن علاق، وأسند الوزارة إلى محمدٍ بنِ يوسفَ بنِ السراج، الذي تمكّن من استعادة الأمن للمنطقة، إذ سدّ الثغور، وبثّ العطاءَ في الجنّ، وأجمل مواعد الناس، وتوقفت تلك الحال ونزع عن الفتنة كثيرٌ ممن اشرأب إليه، وعاد الرئيس إلى أعماق قشتالة آيساً مما كان قد أشرف عليه من نُجح القصد"[3].

وقام السلطان أبو الحجاج بعزل محمدٍ بنِ يوسفَ بن السراج من منصبه[4]، إذ جرى اعتقالَه مع يوسف بنِ فرجٍ بنِ كماشة، كما حاول السلطان القبض على قائد آخرَ من قادة الأيسر، وهو إبراهيم بن عبد البر، وقام بإرساله إلى وادي آش حيث يقيم، لكن استبسال ابن عبد البر إلى جانب أهالي وادي آش حال دون اعتقاله، ثم قدم ابنُ عبد البر أبو الوليد بنُ اسماعيلَ من قشتالة إلى مدينة وادي آش، الأمر الذي دفع أبو الحجاج إلى ترك قصره والهروب إلى المرية، التي بقي فيها حتى وفاته سنة 851هـ/1447م، وعاد الأيسر إلى حكمه للمرة الخامسة، "والأُلفةُ قد حصلت والفُرقةُ قد ارتفعت والدولة الغالبية قد تجددت، واستقرّ منها كلٌّ ذي ولاية في محل ولايته"[5].

واستمر الأيسر في الحكم حتى سُجن، وقيل قُتل سنة 858هـ/1454م[6]، وتسلّم الملكُ سعدُ ابنُ إسماعيل النصري(858-868هـ/1454-1464م) الذي سعى في أواخر أيامه إلى

* بلش: مدينة من أعمال مالقة، على بعد أربعة كيلومترات إلى الشرق منها. انظر: حتاملة، موسوعة، ج1، ص317.

[1] حتاملة، الأندلس، ص598.

[2] ابن عاصم الغرناطي، ج1، ص311؛ انظر أيضاً: حتاملة، الأندلس، ص598.

[3] ابن عاصم الغرناطي، ج1، ص25.

[4] حتاملة، الأندلس، ص598.

[5] ابن عاصم الغرناطي، ج1، ص25.

[6] فرحات، ص45.

التخلص من بني سراج، لكنّه لم ينجح في ذلك؛ إذ اتّصلوا بابنه أبي الحسن عليٍّ بن سعد(868-887هـ/1464-1482م) وزيّنوا له الثورة على والده، فثار عليه في سنة 867هـ/1463م، وخلعه وسجنه[1]، وتوفي السلطانُ سعدُ في سجنه سنة 868هـ/1464م[2]، وكان له ولدان آخران هما أبو عبد الله محمد المعروف بالزغل(890-896هـ/1485-1490م)، ويوسف بن سعد الذي توفي سنة871-872هـ/1467م[3].

تولى أبو الحسن عليٌّ بنُ سعد العرشَ بعد خلع والده، لكنّه لم يستخلص الملك لنفسه إلا بعد صراعٍ عنيف بينه وبين منافسيه، وأهمهم أخوه أبو عبد الله الزغل، الذي كان والياً على مالقة، ولجأ إلى ملك قشتالة هنري الرابع(*Enrique IV*)(858-879هـ/1454-1474م) ليسانده ضد أخيه، فبدأت فجوةُ الخلاف تتسع بينهما، إذ ثار الزغل على أخيه أبي الحسن في مالقة، وحاول الأخير إخمادَها أكثرَ من مرة، لكنّه لم ينجح، فقد استدعى الثوارُ الزغل وأعلنوه حاكماً عليهم، وعلى أثر ذلك انقسمت المملكة إلى قسمين متنافرين[4].

ومن البديهي أن يؤدي هذا الواقعُ الجديد إلى مزيدٍ من الخضوع والتبعية للإسبان، ممّا ساهم في اشتداد الفتنة واستمرارها حتى سنة 880هـ/1475م[5]، إلى أن توجّه الزغل إلى أخيه أخيه ودخل في طاعته[6]، وعقب تصالحهما أُسند حكم مالقة وأحوازها للزغل، وحكم أبو الحسن الحسن غرناطةَ وما يتبعها[7].

وكان للسلطان أبي الحسن ولدان من زوجته عائشة الحرّة، وهما أبو عبد الله الملقب بالصغير، وأبو الحجاج يوسفَ، وعندما تقدمت به السنُ تزوج من فتاةٍ إسبانية تدعى إيزابيلا

---

[1] حتاملة، الأندلس، ص603؛ فرحات، ص46.

[2] فرحات، ص46.

[3] حتاملة، الأندلس، ص604.

[4] عنان، محمد، ج4، ص192.

[5] الناصري، ج4، ص102.

[6] المقَّري، نفح، ج4، ص511.

[7] عنان، دولة، ج4، ص194.

سُوليس(*Isabel de Solis*)، وعرفت في المصادر الإسلامية باسم ثريا الرومية*، وعملت على تدبير المكائدِ من أجل تنصيب أحد ولديها سعدٍ ونصرٍ سلطاناً خليفة لوالده[1]، ومن أجــل ذلــك بذلت جهودَها لإبعاد عائشة وولديها عن العرش وحرمانِهم من كــلِّ نفــوذٍ، واســتمرّت فــي التحريض والدّس حتى تمكّنت من إقناع أبي الحسن بالحجر على زوجته عائشةَ الحرّة وأبنائهــا في قصر قمارش* وعوملوا بمنتهى القسوة[2].

فأثار هذا التّصرفُ غضبَ كثير من الناس، وانقسم الزعماءُ والقادة والرعية إلى قسمين، أحدهما مع عائشةَ والآخر مع ثريا الرومية[3]، وقد عمدت عائشةُ إلى الاتّصال بأنصارها، وفي مقدمتهم بنو سراج، وأخذت تخطّط معهم للفرار من قصر الحمراء، وبالفعل تمكّنت من الفــرار مع ولديها في جمادى الثانية887هــ/1482م بمساعدة أنصارها من بني سراج[4]. وتحدثنا بعض بعض الروايات الإسلامية عن فرار ولديها فقط[5]، أما الرواية القشتالية وهي الأصحّ، فتشير إلى إلى فرارها مع ولديها[6]، وتوجّهت الأميرة عائشةُ وولداها نحو مدينة وادي آش، حيث يحتشــد أنصارهم، الذين نادوا بمبايعة أبي عبد الله الصغير، ومن ثم تبعهم أهــل غرناطــة وبــايعوه، واشتعلت نار الفتنة ببلاد الأندلس، ونشبت الصراعاتُ بين أفراد الأسرة الحاكمة، في الوقت الذي كان فيه أبو الحسن منشغلاً بالدفاع عن مدينة لوشة ضد الخطر الإسباني الذي كانت تتعــرض له[7].

---

* ثريا الرومية: ابنة ضابط في الجيش الإسباني، يدعى سانشو خيمينيس دي ســوليس(*Sancho Jimenez de solis*)، كان قد أسرها السلطان أبي الحسن علي بن سعد في إحدى غزواته ثم أسلمت وتزوجهــا. انظــر: العبــادي، دراســات، ص464.

[1] مؤلف مجهول، نبذة، ص(5-6)؛ المقَّري، نفح، ج4، ص512؛ انظر أيضاً: عنــان، دولــة، ج4، ص(198-200)؛ خطاب، ج2، ص(204-207)؛ حتاملة، الأندلس، ص(605-607)؛ فرحات، ص47؛ أرسلان، خلاصة، ص186.

* قصر قمارش: برج من أمنع أبراج قصر الحمراء. انظر: عنان، دولة، ج4، ص200.

[2] عنان، دولة، ج4، ص200؛ خطاب، ج2، ص207.

[3] أرسلان، خاتمة، ص150؛ الذنون، افاق، ص47؛ عنان، دولة، ج4، ص201؛ فرحات، ص47.

[4] عنان، دولة، ج4، ص(200-201)؛ خطاب، ج2، ص207.

[5] مؤلف مجهول، نبذة، ص10؛ انظر ايضاً: عنان، دولة، ج4، ص(200-201)؛ خطاب، ج2، ص207.

[6] عنان، دولة، ج4، ص201؛ خطاب، ج2، ص207.

[7] مؤلف مجهول، نبذة، ص10.

واستمرت الفتنة مشتعلةً، وكانت الغلبةُ فيها لأبي عبد الله الصغير، إذ لم يستطع والدهُ أبو الحسن مواجهتها مما دفعه للفرار من غرناطة إلى مالقة التي كان يحكمها أخوه الزغل، فجلس أبو عبدالله الصغير مكان والده، والتفّ الشعبُ الغرناطي حوله في أواخر سنة 887هـ/1482م، وأطاعته وادي أش وأعمالها، واستمرّت مالقة وغرب الأندلس تحت طاعة أبيه وعمّه الزغل[1]، وفي صفر سنة 888هـ/اذار1483م[2] توجّه الإسبان إلى مدينة وادي آش للاستيلاء عليها، مستغلين ضعف حاميتها، فساروا إليها بقوات تُقدّر بثلاثةِ آلافِ فارسٍ، وحينها خرج الزغل بقيادة جيوشه من مالقة لمواجهتهم، ولمّا علم الإسبان بقدومه قال قائدهم: "لنطلُع هذا الجبل، ذلك خيرٌ لنا من أن نُذبَح كالغنم في قعر الوادي"، فصعدوا الجبل، ولكن ضربات المسلمين ما لبثت أن لاحقتهم ونشبت معركةٌ بين الطرفين، هُزم فيها الإسبان هزيمةً نكراءَ، وقُتل وأُسر منهم كثيرٌ[3]، وعرفت هذه المعركة باسم الشرقية نسبةً للمكان الذي وقعت فيه شرقي مالقة[4].

وفي شهر ربيع الأول سنة 888هـ/نيسان1483م أراد أبو عبد الله الصغير أن يحقق نصراً مماثلاً فقام بتجهيز جيوشه وزحف تجاه قرطبة، وحرَّر في طريقه عدداً من الحصون والضياع، كما تمكّن من هزيمة الإسبان في عدة مواقع، بعد معارك شديدة، وكانت الغلبةُ فيها لأبي عبد الله الصغير، وفي طريق عودته، وبالقرب من أرض اللسّانة، أدركهم الإسبان، فشتتوا جمعه، وقتلوا وأسروا كثيرا منهم، وكان من بين الأسرى الأميرُ أبو عبد الله الصغير نفسُه[5].

وقام الإسبان بأخذ أبي عبد الله إلى قائدهم، فاستقبله أفضل استقبال، وسارع بإخبار ملكي قشتالة فرناندو الخامس (*Ferrando V*) (872-922هـ/1468-1516م)*

---

[1] عنان، دولة، ج4، ص202؛ الذنون، ص47؛ الفلاحي، التاريخ، ج2، ص103؛ خطاب، ج2، ص(209-210).

[2] مؤلف مجهول، نبذة، ص11؛ انظر ايضاً: خطاب، ج2، ص210.

[3] أرسلان، خلاصة، ص(194-195).

[4] خطاب، ج2، ص210

[5] مؤلف مجهول، نبذة، ص12؛ المقَّري، نفح، ج4، ص515؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج4، ص203؛ خطاب، ج2، ص211.

* فرناندو الخامس(*Ferrando V*): اقترن في سنة 873هـ/1469م بإيزابيل التي كانت مرشحة لوراثة عرش قشتالة، وبهد موت والده خوان الثاني سنة 884هـ/1479م مما أتاح له توحيد قشتالة وأراغون وصقلية ونابولي في صورة إسبانيا الكاثوليكية الموحدة وأخذ وزوجته يخططان لإنهاء الوجود الإسلامي في الأندلس، فتم لهما ذلك سنة897هـ/1492م. انظر: الوزير، رحلة، ص(173-174)؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج4، ص(180-182).

وايزابيل* بذلك، فأمر فرناند الخامس أن يؤتى بالأسير إلى قرطبة، وأن يُستقبَل استقبال الأمراء، فأُخذ أبو عبد الله مع باقي الأسرى إلى قرطبة حيث ملك قشتالة الذي أكرمه وأحسن معاملته لكونه الورقةَ الرابحةَ التي ستحقق أهدافَه في احتلال غرناطة[1]، ورفض تسليمه لأبي الحسنِ وعائشةَ رغمَ محاولاتهما الكثيرة[2]. وفي غضون ذلك ازدادت أمور الأندلس سوءاً، مما دفع كبار غرناطةَ إلى محاولة إعادة أبي الحسن ليتسلّم الحكم بدلاً من أبي عبد الله الصغير، ولكنّ المرض كان قد أعياه، فخلع نفسه وعين أخاه الزغلَ خليفةً له، ولجأ إلى مدينة المنكب، وبقي فيها حتى توفي سنة 890هـ/ 1485م، واستقلّ الأمرُ لأخيه الزغل يدير شؤون المملكة[3]، وأثناء وجود أبي عبد الله الصغير في الأسر سعى الزغل بعد توليه ملك غرناطة لفرض سيطرته على ما تبقى من مملكة غرناطة، الأمر الذي دفع الأميرَ يوسفَ أبا الحجاج – شقيق أبي عبد الله الصغير – لمجابهة عمه في مدينة المرية، فزحف الزغل نحو مدينة المرية وسانده أنصارُه هناك، فتغلّب على أبي الحجاج الذي قُتِل أثناء ذلك، ويُقال أنّه قُتل بتخطيطٍ من أبيه أبي الحسن أو عمه الزغل[4].

ومن ناحيةٍ أخرى أدرك فرناندو ما لأسر الأمير أبي عبد الله الصغير من أهميةٍ، فأخذ يدبّر مكيدةً حتى يشعل نارَ الحرب الأهليةِ بينه وبين عمهِ الزغل، إذ يساعده ذلك في إضعاف المملكة تمهيداً لسحقها؛ فقرر إطلاق سراحه مقابل مساعدته على انتزاع العرش، وتمّ إبرام معاهدةٍ سريةٍ بين الفريقين تنص على اعتراف الأمير أبي عبد الله الصغير بطاعة الملك فرناندو وزوجته إيزابيلا، ودفع جزيةٍ سنويةٍ قدرها اثنا عشر ألفَ قطعةٍ من الذهب، وأن يُطلِقَ سراحَ

* ايزابيل: ابنة خوان الثاني ملك قشتالة، وزوجة فرناندو الخامس، تربعت على عرش قشتالة بعد وفاة أخيها هنري الرابع سنة 879هـ/1474م، وكان لها دور كبير إلى جانب زوجها في السيطرة على الأندلس. انظر: الوزير، ص174؛ السرجاني، قصة، ج2، ص(667-668).

[1] مؤلف مجهول، نبذة، ص12؛ المقَّري، نفح، ج4، ص515؛ انظر أيضاً: الذنون، ص48؛ عنان، دولة، ج4، ص(203-204)؛ خطاب، ج2، ص(211-212).

[2] فرحات، ص50.

[3] مؤلف مجهول، نبذة، ص(12-13)؛ المقَّري، نفح، ج4، ص515؛ انظر أيضاً: الذنون، ص48؛ البتنوني، رحلة، ص104؛ خطاب، ج2، ص212؛ عنان، دولة، ج4، ص204؛ ايرفنغ، أخبار، ص(72-74).

[4] عنان، دولة، ج4، ص208؛ خطاب، ج2، ص215؛ حتاملة، الأندلس، ص(611-612).

أربعِمئةٍ من أسرى الإسبان الموجودين في غرناطة، ثم يُطلِقُ في كل سنة سبعين أسيراً لمدةِ خمس سنوات، وأن يقدِّم ابنَه وغيرَه من أبناء الأمراء كرهائنَ لضمان الوفاء بالمعاهدة، وبالمقابل تعهّد الملكان الكاثوليكيان بالوقوف إلى جانبه لاسترداد عرشه، وأن يعاوناه في فتح المدن الثائرة عليه. وهذه المدن إذا فُتِحت توضع تحت طاعةِ ملك قشتالة، وأن تستمر الهدنة لمدة سنتين من تاريخ الإفراج عن الأمير أبي عبد الله الصغير، وعقب الموافقة على هذه البنود، أُطلق سراحه في أواخر سنة 890هـ/1485م بعد انتصار المسلمين على الإسبان في موقعة موكلين[1].

الحرب الأهلية بين أبي عبد الله الصغير وعمه الزغل، وسقوط وادي آش سنة 895هـ/1489م

اندلعت الحرب الأهلية في الأندلس، وكان الملكان الكاثوليكيان قد اختارا هذا التوقيت، وقاما بفكّ قيد أبي عبد الله الصغير، وذلك بعد أن أبرم اتفاقاً يلتزم بموجبه بالطاعة والخضوع لهم حسب ما تقدم[2]، وتوجّه أبو عبد الله الصغير إلى المناطق الشرقية، ونادى به أنصاره هناك، وأصبح ملكاً عليهم، وأخذ ينشر دعوته ويتغنّى بالصلح الذي أبرمه مع القشتاليين، ومدى الأهمية والفوائدِ التي سيجنيها المسلمون من خلاله، وفي هذه الأثناءِ ناصرَ أهلُ ربض البيازين* الأميرَ أبا عبد الله الصغيرِ، وأعلنوا الثورة ضدّ عمه الزغل، فاشتدت واشتعلت نارُ الفتنة، ودارت المعاركُ بين أهالي الربض وأهالي غرناطةَ، واستمرت من شهر ربيع الأول سنة 891هـ/نيسان1486م، حتى منتصف جمادى الأولى/أيار من السنة المذكورة، وخلال هذه الفترةِ قاوم أهلُ الربض واستبسلوا وحاولوا صدَّ هجمات الزغل، منتظرين العون من أميرهم أبي عبد الله الصغير، إلّا أنَّ الأخير سار إلى مدينة لوشة وعقد الصلح مع عمه الزغل، وأسند إليه حكم بعض النواحي، وأرسل بعد ذلك إلى أهل البيازين وأدخلهم في الصلح، وأنهى كلَّ التزاماته تِجاه

---

[1] عنان، دولة، ج4، ص205؛ خطاب، ج2، ص(212-213)؛ حتاملة، الأندلس، ص611. موقعة موكلين: وقعت سنة 890هـ/1485م بالقرب من حصن موكلين، حيث دارت المعركة بين جيش مملكة غرناطة بقيادة محمد الزغل سلطان غرناطة، وبين الإسبان، وكان النصر فيها حليف المسلمين. انظر: مؤلف مجهول، نبذة، ص(14-15).

[2] عنان، دولة، ج4، ص208؛ خطاب، ج2، ص215.

* ربض البيازين: من أحياء غرناطة الخارجية، ويقع في شمالها الشرقي مقابل قصور الحمراء. انظر: عنان، دولة، ج4، ص208.

الإسبان واتفق مع الزغل على قتالهم[1]، وهناك روايةٌ أخرى تتحدّث عن تقسيم المُلْك المتبقـــي بين العمّ وابن أخيه، خوفاً من تكالب العدو عليهم، وبناءً على هذا التّقسيم حكم الزغل وادي آش والأجزاء الشرقية من غرناطةَ، وتسلّم الصغير الحكم في مدينة غرناطة وأعمالهـــا[2]، ونـــودي بالصلح في الأسواق، وأيّدت العامةُ ذلك، واعتبرته الحلَّ الأمثل لحماية مملكتهم[3].

وفي ربيع سنة 891هـ/1486م زحف ملك قشتالة باتّجاه مدينة لوشة التي كانت مـــن ضمن أملاك أبي عبد الله الصغير، فحاصرها وقاتل أهلها إلى أن سيطر عليها في جمادى الأولى من سنة 891هـ/أيار1486م، ويبدو أنّ الصغير سلمها ليضمن حريةَ ابنه وحمايتـــه[4] ووقّـــع معهم معاهدةً عُرفت باسم "معاهدة لوشة"، ومن بنودها إعلان الصغير الحرب على عمه الزغل، إلى جانب تنازله عن لقب ملك غرناطة، والاكتفاء بلقـــب دوق ومـــاركيز وادي آش، ففســـدت العلاقات بين أبي عبد الله الصغير وعمه الزغل، وتدهورت أكثر بعد طلب الصغير مـــن أهـــل المملكة التصالح مع الإسبان، غير أنّ طلبه قوبل بالرفض، فعاد وأرسل إلى أهالي حي البيازين ليخبرهم بذلك، فأعلنوا قبولهم واعترفوا به وعيّنوه ملكاً، فأمدّه ملك قشتالة بالمال والسلاح، ولمّا وصل الخبر إلى الزغل عمِدَ إلى محاصرة حي البيازين، وبينما هو على وشك الانتصار عليهم، علم بتوجّه ملك قشتالة فرناندو بقواته إلـــى مدينـــة بلـــش مالقـــة فـــي ربيـــع الثـــاني ســـنة 892هـ/مارس1487م[5]، مستغلاً انشغال المسلمين بالفتنة الداخلية، فتوجّه الزغل إليها بقواته، وترك جزءاً منهم لقتال أبي عبد الله وأهل البيازين، وحاول الدفاع عنها، لكنّه لم ينجح في ذلك، إذ سقطت بيد الإسبان في جمادى الأولى سنة 892هـ/نيسان سنة 1487م، وارتدّ الزغل بجيشه إلى وادي آش، وبقي فيها مع قواته[6].

---

[1] مؤلف مجهول، نبذة، ص(16-17).

[2] العبادي، أحمد، ص467.

[3] المقَّري، نفح، ج4، ص517.

[4] المقَّري، نفح، ج4، ص517؛ انظر أيضاً: حتاملة، الأندلس، ص614.

[5] حتاملة، الأندلس، ص614.

[6] حتاملة، الأندلس، ص(614-617).

وعقب سقوط بلش مالقة، شقّ الإسبان طريقهم باتّجاه مدينة مالقة، وقاموا بمحاصـرتها، وفي بادئ الأمر استبسل أهلها ورفضوا تسليمها، ولكنّ الإسبان شددّوا حولها الحصار ومنعـوا الدخول إليها أو الخروج منها، ولم تصل إلى هذه المدينة أيُّ نجدةٍ أو مساعدةٍ رَغمَ استصراخها، إلا من بعض أهالي وادي آش الذين حاولوا دخولها بالقوة[1]. وقيل إنّهم استصـرخوا الزغـل، فجهّز جيوشه لإنقاذها، ولكنّ ابنَ أخيه الأميرَ أبا عبد الله الصغيرَ أرسل جيوشه لاعتراضه فـي الطريق وهزمه، فعادت جيوش الزغل إلى وادي آش[2]. ولمّا عاد ظهر فـي مدينـة وادي آش رجل يُدعى إبراهيمُ، يُلقّب "بالصانتو" أي الوالي، أخذ يجوب شوارعَ المدينـةِ ويُطالـب أهلهـا بالدفاع عن مالقة، ويقول إنّه أُوحي إليه كيفيةَ خلاص مالقة، فصدّقوه وساروا معـه باتّجاههـا، وحاولوا دخولها وهجموا على الإسبان هناك، ولكنهم ما لبثوا أنْ قُتِل قسمٌ كبيـرٌ مـنهم، وفـرّ الآخرون، وأما إبراهيمُ الصانتو فتمّ أسرهُ ومن ثم قَتْله، وإرسال جثته إلى أهل مالقة، فغسـلوها ودفنوها بكل إكرام[3]، واستمرّ الإسبان في شنّ هجماتهم على مدينة مالقة حتى سقطت فـي 27 شعبان سنة 892هـ/1487م[4].

ومع سقوط مالقة بدأ فرناندو بتنفيذ خطّته للقضاء على ما تبقى من مدن الأندلس، فقرّر السيطرة على الأجزاء الشرقية، وأنْ يقضي على السلطان أبي عبد الله الزغل، لِما كان يخشـاه من قوّته وعزمه وشجاعته، فتوجّه أولاً إلى بسطة التي كانت من القواعد الشرقية التي يسـيطر عليها الزغل، ولكنّ الأخير لم يتمكن من مغادرة مقرّه في وادي آش للدفاع عنها؛ خشيةَ قيام ابنِ أخيه الأميرِ أبي عبد الله الصغير بمهاجمته أثناء غيبته[5]، فتوجّه الإسبان في شهر رجـب مـن سنة 894هـ/حزيران1489م إلى حصن موجر*، وحاصروه وقاتلوا أهله قتالاً شديداً؛ وتمكّنـوا من السيطرة عليه وعلى غيره من الحصون القريبة، ومن ثم قصدوا مدينة بسطة ونزلوا بالقرب

---

(1) المقَّري، نفح، ج4، ص520؛ انظر ايضاً: أرسلان، خلاصة، ص(217-218)؛ عنان، دولـة، ج4، ص(213-214، 216).

(2) أرسلان، خلاصة، ص220.

(3) المرجع نفسه، ص(220-221).

(4) المقَّري، نفح، ج4، ص(520-521)؛ انظر ايضاً: أرسلان، خلاصة، ص(220، 223-224).

(5) عنان، دولة، ج4، ص225.

* حصن موجر أو مُنْدُجَر: بينه وبين المرية مرحلة. انظر: الحميري، صفة، ص185.

منها[1]، وكان بالمدينة ما يقارب من عشرين ألفَ فارسٍ[2]، فزحفت إليها قواتٌ من أهالي وادي آش والمرية والمنكب للدفاع عنها بناءً على طلب الأميرِ أبي عبد الله الزغل[3]، وقبل أن يقترب الإسبان من بسطة كان أهلها قد أسرعوا في حصد حقول القمح قبل نضوجها، وأدخلوهـا إلـى المدينة حتى لا يستفيد منها العدو، كما أُدخِلت كلُّ المواشي إلى المدينة محملـةً بكـل الأغذيـة الممكنة لسد حاجات أهلها[4].

وفي شهر شوال من السنة نفسها قام الإسبان بتشديد الحصـار حـول مدينـة بسـطة؛ وأحاطت جيوشهم بها ومنعوا الدخول إليها أو الخروج منها، وأما المـدافعون عنهـا فأخـذوا يتأهبون للدفاع، وكانوا على استعدادٍ لملاقاتهم، حيث نصبوا آلاتِ الـدفاعِ علـى أسـوارها[5]، فأرسل فرناندو إليهم يدعوهم إلى التسليم، ولكنهم رفضوا ذلك؛ فردّ الإسـبان علـيهم بتشـديد الحصار، وبناء سور من الخشب حول المدينة، وحفروا حولها خندقاً عظيماً، واستمرّ الحصـار أربعة أشهر، الأمر الذي جعل قائد المدينة وأهلها يلجأون إلى الاستسلام، فأرسلوا إلى فرنانـدو، الذي دخلها في 10محرم895هـ/3كانون الأول1489م[6].

ومنح فرناندو أهل بسطة الأمان، وقال لهم: "من بقي بموضعه فهو آمن، ومن انصرف خرج بماله وسلامه سالماً، ثم أخرج العدوُّ المسلمين مـن البلـد، وأسـكنهم بـالرّبض خـوف الثورة"[7]، وأما الرجالُ والفرسان فقد خرجوا منها مُؤمَّنين بخيلهم وأسلحتهم إلـى مدينـة وادي آش[8]، وقبل توجّه الملك فرناندو إلى المرية؛ قام بتعيين قائدٍ للمدينة؛ وأمدّه بالمـال والسـلاح، وعلى الرَّغم من قوة القائدِ يحيى النيار وشجاعته وبراعته في تنظيم الدّفاع عن مدينتي بسـطة والمرية، وعلى الرّغم من بسالته في المعارك ضد القشتاليين، إلّا أنّه قرّر الاستسلام واعتنـاق

---

[1] مؤلف مجهول، نبذة، ص(25-26).

[2] أرسلان، خلاصة، ص227.

[3] المقَّري، نفح، ج4، ص521.

[4] ايرفنغ، ص(313-314).

[5] مؤلف مجهول، نبذة، ص25؛ انظر أيضاً: ايرفنغ، ص228.

[6] مؤلف مجهول، نبذة، ص26.

[7] المقَّري، نفح، ج4، ص522.

[8] مؤلف مجهول، نبذة، ص27.

المسيحية، كما أنه وقّع معاهدةً سريةً مع مندوب الملك فرناندو، وأهمُّ ما جاء فيها؛ ضمان الحياة الكريمة له ولعائلته، ومَنْحه الحق في الاحتفاظ بأملاكه التي كان قد ورثها، وإعفائه وعائلته من دفع أي جزيةٍ للقشتاليين للأبد، والسماح له باصطحاب عشرين فارساً مسلحاً لحمايته، "وأنّــه إذا تنازل صِهرك ملك وادي آش عن نِصف الملاحاتِ التي أهبها إليه، فإنّي أهبــك دخــلاً قــدرهُ خمسُمئةٍ وخمسين ألفَ مرافيديٍّ في ملاحات دلايا؛ وفضلاً عن ذلك، فإنّه إذا تمّ تسليم وادي آش في الموعد المتّفق عليه فإنّي أهبك عشرةَ آلافِ رِيالٍ مكافأةً لك على جهودك في خدمتي لــدى ملك وادي آش وغيره من القادة، وأقدّم لك سائر البراءاتِ اللازمةِ بما تَقدّمْ"[1].

وتوجّه يحيى النيار إلى مدينة وادي آش لتنفيذ الاتفاق، وإقناع الأميرِ أبي عبد الله الزغل بتسليم آخر مناطقَ نفوذه، إذ لم يبقَ بحوزته سوى مدينتي وادي آش والمرية، مُستغلاً ما وصلت إليه الأندلس من ضعف وهوان، فأخبره أنّه لا محالة من سقوط مملكــة غرناطــة فــي أيــدي الإسبان، وسأله إذا ما أراد تسليمها لابن أخيه الأمير أبي عبد الله الصغير حليف الإسبان، فلمــا سمع الزغل بذلك اضطرب وقال: "كلا! بل أفضّل أن أرى راياتِ العدو خافقةً فوق هذه الأبراج من أن أسلمها لهذا الشقي" فاغتنم يحيى النيار ذلك، وأخذ يقنعه بتسليمها للإسبان، إلى أن حصل على موافقته، ففوّضه الزغل بالتفاوض مع الإسبان بالنيابة عنه[2]، وتمخّض عن ذلــك تســليمُ مدينتي وادي آش والمرية للإسبان، وأنْ يكون الزغل حليفاً لهم، وأن يُقطع أرضاً واســعةً مــن البشراتِ مع نصف الملاحة، وأن يُلقّب بملك أندرش، وأن يوضع ألفَ مدجَّنٍ حارساً لــه، وأن يمنح مبلغاً من المال[3]، كما تقّرر بينهما أن يكون التسليم في مدينة المرية.

ودخل الاسبان مدينة وادي آش في أوائــل صــفر ســنة 895هـــــ/أواخــر كــانون الأول1489م[4]، وعلى الرغم من الامتيازات التي منحت للزغل؛ إلّا أنه لم يستطع الاســتمرار،

---

[1] عنان، دولة، ج4، ص226.
[2] أرسلان، خلاصة، ص(247–248)؛ ايرفنغ، ص(351–352).
[3] عنان، دولة، ج4، ص228.
[4] مؤلف مجهول، نبذة، ص(35–37).

فتنازل عن حقوقه وامتيازاته لفرناندو مقابل مبلغ من المال، وقرّر الرحيـــل عـــن الأنـــدلس[1]، فرحل إلى وهران ومنها إلى تلمسانَ بصحبة أتباعه[2].

وبذلك تكون مدينة وادي آش الأندلسية قد ودَّعت تاريخها الإسلامي، لتدخل في مرحلـــة جديدة تحت الحكم الإسباني، وأما من بقوا فيها من المسلمين فقد تعرَّضـــوا، أســـوة بغيـــرهم، لمحاولات التنصير، إذ لم تنته سنة 897هـــ/1492م إلّا وكانت حملات التنصير قد عمّت مناطقَ غرناطةَ كلها[3]، وتحولت المساجد إلى كنائسَ، ومن بينها المسجدُ الجامعُ في وادي آش، الـــذي يتوسط المدينة بين قسميها الأعلى والأسفل على حافة الربوة، ويُعدُّ واحداً من أهـــمّ الصّـــروح المعمارية الأندلسية[4]، حيث شُيّدت على أنقاضه كنيسةٌ عُرفـــت بكتدرائيـــة(ســـانتا ماريـــا)[5]، واحتوت على برج ذي شكلٍ مربعٍ، يمكن مشاهدتُه من السهل على بعد مسافةٍ كبيرةٍ، وشهد في تصميمه نموذجاً لتداخل فن العمارة الإسلامية والمسيحية، إذ ظهرت فيه مقتبساتٌ مـــن طـــراز منارة الجامعِ القديم[6].

---

[1] المقَّري، نفح، ج4، ص542؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج4، ص228.

[2] مؤلف مجهول، نبذة، ص35؛ المقَّري، نفح، ج4، ص542؛ انظر أيضاً: عنان، دولة، ج4، ص228.

[3] بروكلمان، كارل، تاريخ، ص344. رحيم، ص75.

[4] عنان، الآثار، ص226.

[5] رحيم، ص75.

[6] عنان، الآثار، ص216.

الفصل الخامس

مظاهر الحضارة الأندلسيَّة
في مدينة وادي آش

- أولاً: الحياة الفكرية والعلمية
  - البيوتات العلمية
  - القضاء
  - العلوم الشرعية
  - الحركة اللغوية والأدبية
- ثانياً: النواحي العمرانية
- ثالثاً: الحياة الاقتصادية
  - الزراعة
  - الصناعة
  - التجارة

الفصل الخامس

مظاهر الحضارة الأندلسيَّة في مدينة وادي آش

أولاً: الحياة الفكرية والعلمية

عُدّت مدينة وادي آش من المدن الأندلسية التي وصلت في حقول العلم إلى أعلى الدرجات، وبلغت أوج مجدها في كافة المجالاتِ، ويظهر ذلك في اقتنائها فحول الأدب والعلم، واستقطابها أعداداً غفيرةً من طلاب العلم ورجال المعرفة، الذين برعوا في شتّى أصناف العلوم، الشرعيةِ والأدبية وغيرها.

البيوتات العلمية

عَرَفت وادي آش كغيرها من المدن ظاهرة البيوتاتِ العلميةِ، التي أنجبت ثلّةً من العلماء الذين نبغوا في مختلف المجالاتِ المعرفيةِ؛ ومنها بيت بني أرقم. إذ حلّ بوادي آش جدُّهم ثوابةُ بنُ حمزةَ النميري، واستقر فيها، وعُرف قومُه بالتنقل والترحال في بعض جهاتها، وقد التفوا حول الدولة النصرية وانخرطوا فيها، وترعرعوا في أحضانها، ويُعتَبر جدُّهم ابراهيمُ(765هـ/1364م)* رجلَ خيرٍ وعطاءٍ، ومن أهل الدين، "كتب للرؤساء من بني أشقيلولة، عند انفرادهم بوادي آش"[1].

ومن أعلام هذا البيت عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ بنُ أرقمَ النميري، من علماء وأدباء وادي آش، وسكان المرية، يُكنّى بأبي الأصبغ، أخذ بغرناطةَ عن أبي الفتوح الجرجاني، وبقرطبةَ عن أبي القاسم بن الافليلي، وغيرهما، ويُشهد له بالعلم، والعمل، والرئاسة، وله مساهمةٌ في التأليف، وذلك بتصانيفه: "عِقابُ المستور"، وهو أشبه برسالةٍ؛ خاطب بها القاضيَ أبا بكر بنَ صاحب الأحباس، و"كتاب الأنوار في دروبٍ من الأشعار"؛ الذي اختصره فيما بعد وسماه "بالأحداق"،

---

* ابن الحاج النميري: إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن أسد، المعروف بابن الحاج، شاعر وأديب، له العديد من المؤلفات، أهمها "كتاب اللباس والصحبة". انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(342، 347)

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص342.

وتُوفي في عهد المعتمد بن عباد[1]، وكذلك ينتمي إليهم ابنُه الأصبغُ بنُ عبدِ العزيز بنُ محمدٍ بنُ أرقمَ النميري، الذي يُكنّى بأبي عامر، وهو من علماء وادي آش، حيث كـان يحتـرفُ الأدب والشعر، وعُرف بخطّه الجميل، وتوفي سنة 535هـ/1140م[2]، ومنهم أيضاً محمدٌ بنُ رضوانَ بنُ محمدٍ بنُ أحمدَ النميري الوادي آشي، من أهل وادي آش، يُكنّى بأبي يحيى؛ وهو أديبٌ لغويٌّ زاهدٌ، واعظٌ، كان من المهتمين بالعلوم والحساب والهندسة، وعُرف بتقواه وورعـه، وحُسـن أخلاقه وسيرته. تولّى القضاءَ بوادي آش، ثمَّ انتقل منها إلى بُرشانة*؛ وتتلمذ على يد أبي الكرم جودي بنِ عبد الرحمن، وأخذ عنه القراءاتِ السبعِ، كما وأخذ عن غيره من العلماء، وقد كانـت وفاتُه ليلة السبت 17من شهر ربيع الآخر سنة 757هـ/1356م، مُخلفاً وراءه عدةَ مصـنفاتٍ، منها: كتاب "الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الأحوال"، وكتاب "تقاييدِ منثورٍ ومنظومْ في علـم النجومْ"، بالإضافة إلى "رسالة في الاسطرلاب الخطي والعمل به"[3].

كما ويُنسب إلى هذا البيت محمدٌ بنُ عبد الله بنُ عبد العظيم بنُ أرقمَ النميري، ويُكنّـى بأبي عامر، من شيوخ وادي آش؛ برز في فنونٍ شتّى من فقهٍ وأدبٍ وعربية، وكـان محمـودَ الصفات، وذا خُلقٍ حسنٍ، وعُرف بمجالسته للعلماء، وتوفي في مسقط رأسه سـنة 740هـ/ 1339م[4].

ومنهم أيضاً الصّوفي عليٌّ بنُ عبد الله النميري، المعروف بأبي الحسن الشُشتُري، أصله من شُشتُر، وهي من قرى وادي آش، كان فقيها، عالماً بالتفسير والأحكام والفقه، برَع في قراءة القرآن الكريم، وتفسير معانيه، وسمع من العديد من العلماء وأخذ عنهم، وأبرزهم القاضي محيي الدين محمدٌ بنُ إبراهيمَ بنُ الحسنِ بنُ سُراقةَ الأنصاري الشاطبي؛ وللشُشتُري العديد من المؤلفات منها: كتاب "العُروى الوثقى في بيان السنن وإحصاء العلوم وما يجب على المسـلم أن يعلمـه

---

[1] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص171.

[2] المصدر نفسه، ص171.

* بُرشانة: من قرى إشبيلية بالأندلس، وهي أحد حصون بجانة، تقع على نهرين مجتمعين، وتعد من أكثر الحصون مناعـة وعمارة. أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص384؛ الإدريسي، مج2، ص537؛ الحميري، صفة، ص42.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص(141–143)؛ السيوطي، ج1، ص104.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص(88–89)

ويعتقده إلى وفاته"، وكتاب "المقاليدِ الوجوديةِ في أسرار الصوفية" وغيرها، وتوفي يوم الثلاثاء في 17صفر سنة 668هـ/1269م، ودفن في دمياط[1].

وأما بيت بني حاجبٍ، فاشتهر فيه بنو سامي الوادي آشيون الذين تبوَّءوا مناصبَ الولاةِ والخدمة في المدينة، ومنهم أبو رزين لقيطُ بنُ عامر بنُ صَبَره بنُ عبد الله بنُ المنتفق، المشهودِ له بالعدل وصدق الرواية، وكذلك ينتمي إليهم ابنُ كعبٍ بنُ حبيبٍ بنُ عامرٍ بنُ خويلد بن الأصم ابن عامر بنُ عقيلٍ، المُكنى بأبي بكر[2]. ومن البيوتات العلمية الوادآشية أيضاً بيت بني الحصين؛ ويُنسبوا إلى الحصين بنِ الدّجنِ بنِ عبد الله؛ اتّخذوا من مدينتي جيان ووادي آش مركزاً لهم، وهم بنو عطاف بن الحصين بن الدجنِ بنِ عبد الله بنِ محمدٍ بن عمروٍ بنِ يحيى بنِ عامرٍ بنِ خويلدٍ ابنِ سمعانَ، ومن أبرز شخصياتهم إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن صخرٍ ابن عطاف[3]؛ وظهر أيضاً بيت بني عذرةَ، وعُدَّ بيتهم بيتُ علمٍ، وفقهٍ، وحسبٍ، ونسبٍ[4]؛ ينسبون إلى عُذرة بنِ عبد الله الفهري، وأورد المقري روايةً يتحدث فيها حول نفي ابن بشكوال صلةَ عُذرةَ بنَ عبدالله الفهري بسلاطين الأندلس، مقارنةً بالحجاري الذي عدّه من أشجع وأنبه فرسانها، كما وتحدث حول شجاعة ابنِه هشام بن عُذرة في الاستيلاء على طليطلة، وفي عُقبه بوادي آش نباهةً وأدباً[5]، ومنهم أيضاً، أبو محمدٍ عبد الله بن عُذرة، الذي يعتبر من أهل الكرم والأدب[6].

ومن بيوتاتهم أيضاً بيت بني البَرّاق، وهم أعيان جليانة من وادي آش[7]، ومن أفراد هذا هذا البيت محمدٍ بنِ عليٍّ بن محمدٍ بن إبراهيمَ بن محمد الهمداني؛ المشهور بابن البَرّاق، يُكنّى بأبي القاسم، كان محدثاً، وشاعراً، وأديباً، وله مشاركةٌ في الطب وغيره من العلوم؛ أخذ عن أبي

---

[1] المقَّري، نفح، مج2، ص185.
[2] ابن حزم، ص(273-274).
[3] المصدر نفسه، ص275؛ انظر أيضاً: سعيد، ص(138-139).
[4] ابن سعيد، ج2، ص148.
[5] المقَّري، نفح، ج3، ص(17-18).
[6] ابن سعيد، ج2، ص148.
[7] المصدر نفسه، ج2، ص149؛ انظر أيضاً: سعيد، صباح، الحياة، ص139.

العباس الخروبي، وأبي بكرٍ بنِ محمدٍ بنِ عبد الواحد العقيلي، وغيرهم كثيرون، وحدّث عنه أبو الكرم جودي بنُ عبد الرحمن، توفي سنة 596هـ/1199م[1].

وأما بيت بني جودي، فيُنسب إلى سعيدٍ بنِ جودي، ومن أعلامهم، أبو الحسن عليٌّ ابن جودي؛ قرأ على أبي بكرٍ بنِ باجّه أحد فلاسفة الأندلس، إلى أن أصبح مشكوكاً في دينه، فتمت ملاحقتُه ممّا دفعه إلى الفرار والانضمام إلى قُطّاع الطّرق المنتشرين بين الجزيرة الخضراء وقلعة خولان[2]، ومنهم أيضاً جودي بن جودي، وهو من سكان مدينة وادي آش، عُرف بأشعاره، وكان بينه وبين والد ابنِ سعيد المغربي – صاحب كتاب "المغرب في حلي المغرب"– مخاطباتٌ وأبياتٌ شعريةٌ[3]، وكذلك ينتمي إليهم جوديُ بنُ موسى بنُ وهبٍ بنُ عدنانَ القيسي، أصله من وادي آش، يُكنّى بأبي الكرم، ويُعتبر من جُلّة الفقهاء والمحدّثين، ورجالِ الأدب، عُني بالرواية أتمّ عنايةٍ، وكان موفورَ الحظِ بالعربية من خطٍ وشعرٍ وكتابة، كما كان على دِرايةٍ بعلمِ النبات، تتلمذ على يد أبي القاسم السهيلي* وغيره، وتوفي في مدينته بعد مرضٍ ألمَّ به سنة 631هـ/1233م[4].

وظهر أيضاً بنو نزارٍ، ويُنسبون إلى جدّهم أبي الحسن بنِ نزار[5]، الذي تمتع بمكانةٍ رفيعةٍ في مدينة وادي آش، فحسده أهلُ بلده، وأوقعوا بينه وبين ابن مردنيش الذي أرسل إليه حملة وقيده أسيراً، بعدما كان يُنتظر منه أن يُقدَّم أميراً، وبقي على حاله حتى ظهرت منه موشحاتٌ سمعها ابن مردنيش من جارية كان قد اتفق معها أبو الحسن بنِ نزارٍ، فاستدعاه وقال له: "يا أبا الحسن؛ قد أمرنا لك بالسّراح على رغم الحسود، فارجع إلى بلدك مباحاً لك أن تطلب المُلك بها وبغيرها إن قررت، فأنت أهلٌ لأن تملك جميع الأندلس، لا وادي آش"[6].

---

[1] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص76.

[2] ابن سعيد، ج2، ص(109-110).

[3] المصدر نفسه، ص(110-111).

* أبو القاسم السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي، ولد في مدينة مالقة سنة 508هـ/1114م، ضرير، حافظ وعالم باللغة والسير، توفي في مراكش سنة 581هـ/1185م. انظر: الزركلي، ج3، ص556.

[4] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص202.

[5] ابن سعيد، ج2، ص147، الحاشية رقم1.

[6] المقَّري، نفح، مج3، ص(492-494).

ومن بيوتاتهم أُسرة يوسف الفهري، وتُنسب إلى آخر ولاة الأندلس يوسفَ الفهري، الذي أقام في إلبيرة، ثم انتقل منها واستقرّ في قرطبةَ عندما أصبح والياً[1]، كما واستقر أحد فروعِ هذه الأسرة في مدينة طليطلة، واستمرّ نسلُها بالعيش في مدينة وادي آش[2].

ومن البيوتات العلمية الوادآشية أيضاً أُسرة سعد العشيرة، وتُنسب إلى مالك بـــنِ أُدَدَ[3]، وهي قبيلة قحطانية[4]، قدموا إلى الأندلس وسكنت جماعتـــان مـــنهم فـــي مـــدينتي وادي آش وإشبيلية[5]، وأورد القلقشندي سبب تسميتهم بسعد العشيرة حيث قال: "كان بلغ ولدُه وولدُ ولـــدِهِ مئةَ رجلٍ يركبون معه، فكان إذا سئل عنهم يقول: هؤلاء عشيرتي، وقاية لهم من العين"[6].

القضاء

هو الفصل في المنازعات بين الناس وإقرار العدل وحماية الضعيف، وقـــد قـــال عنـــه القاضي أبو الأصبغ بن سهل "خِطّة القضاء من أعظم الخِطط قدراً، وأجلّها خطراً"[7]، ويُشـــترط فيمن يتولاها، أن يكون بالغاً، عاقلاً، ذكراً، حراً، مسلماً، سميعاً، بصيراً، متكلماً، مجتهداً، وعالماً بالأحكام الشرعية، وغيرها من الشروط[8]، ومن مهامِ القاضي فضّ النّزاع بين المتخاصـــمين، وإحقاق الحق لمن يطلبه، والإشراف على الأحباس، وتزويج الأيامى من الأكفّاء، وإلزام الولاية للسفهاء والتحجّر على المفلس، والنظر في المصالح العامة والتسوية في الحكـــم بـــين القـــوي والضعيف[9].

---

[1] ابن عذارى، البيان، ج2، ص(35-36)؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص40؛ انظر أيضاً: طه، الفتح، ص212؛ رحـــيم، ص58.

[2] المقَّري، نفح، ج3، ص18؛ انظر أيضاً: طه، الفتح، ص212؛ رحيم، ص58.

[3] ابن السائب الكلبي، نسب، ج1، ص300.

[4] القلقشندي، نهاية، ص289.

[5] ابن حزم، ص(384، 387)؛ انظر أيضاً: طه، الفتح، ص205.

[6] القلقشندي، نهاية، ص291؛ انظر أيضاً: رحيم، ص58.

[7] النباهي، تاريخ، ص6.

[8] الماوردي، الأحكام، ص66؛ النباهي، ص4.

[9] النباهي، ص(5-6).

وللقضاء أهميةٌ كبرى في أي مدينةٍ على حدٍّ سواء، وفي وادي آش كان له أهميةٌ خاصةٌ للمكانة العظيمة التي حُظي بها القضاةُ، ولارتباط العديد من المشاريع المهمة به والتي تلعب دوراً أساسياً في الحياة الاجتماعية والإدارية فيها، فتمتع القضاة فيها بمكانةٍ جليلة لدى الحكام على مر الحِقب التاريخيّة، ويجدر بنا الإشارةَ إلى أنّ المصادر التاريخيةَ لم تمدّنا بمعلوماتٍ عن أيٍّ من القضاة قبل العصر المرابطي، وممن تولّى القضاء بوادي آش خلال العصر المذكور أحمدُ ابنُ أحمدَ بنُ محمدٍ بنُ أحمدَ بنُ محمدٍ الأزدي، يُكنّى بأبي الحسن، ويُشتَهر بابن القصير، أصله من غرناطة، تحدّثت المصادر عن قيمته العلمية، ووصفته بأنّه كان فقيهاً، عالماً، حافظاً، ومن أهل الشورى، أجاز له كلٌّ من أبي الأصبغ بن سهل*، وأبي بكر بنِ سابق الصقلي* وغيرهم كثيرين، وتوفي في مدينة غرناطة سنة(531هـ/1137م)[1]، كما وتولى قضاء وادي آش أحمدُ بنُ عبدِ الواحد بنُ عيسى الهمداني، يُكنّى أبو جعفر، من أهل غرناطة، فقيهاً، ومشاوراً، وهو قاضٍ ابنُ قاضٍ[2]، أخذ عن أبي حفصٍ وأبي مروانَ ابني عمه محمدٍ بنِ عيسى، عيسى، بالإضافة إلى خاله أبي عبد الله بن مالك، وُلد ما يقارب سنة 500هـ/1106م، وتوفي مستشهداً عند دخول المرابطين إلى غرناطة، وذلك سنة(539هـ/1144م) [3].

وبعد انتهاء العصر المرابطي في الأندلس تولّى قضاءَ وادي آش عددٌ من القضاة، ومنهم أحمدُ بنُ محمدٍ بنُ سعيدٍ بنُ عبدِ الله الأنصاري من أهل وادي آش، يُكنى بأبي العباس، ويُعرف بابن الخروبي، فقيهاً، حافظاً، مفسراً، أديباً، وعالماً بالحديث وراوياً له؛ تولّى القضاءَ والصلاةَ والخطابةَ ببلده[4]، سمع من أبي بكرٍ غالبِ بنِ عطية وابنِه عبد الحق، وغيرِهم كثيرين، توفي سنة(562هـ/1166م)[5].

---

* أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجيّاني المالكي، أصله من جيّان، سكن قرطبة، وكان عالماً، فقيهاً، وحافظاً، أخذ عن أبي محمد مكيّ بن أبي طالب، وأبي عبد الله محمد بن عتّاب الفقيه، وتوفي سنة486هـ/1093م. انظر: ابن بشكوال، ج2، ص635.

* أبو بكر محمد بن سابق الصقلي، فقيه، ومحدث، وخبير بعلم الكلام، روى بمكة عن كريمة بنت أحمد المَروزي، وقَدِم إلى الأندلس وأخذ عنه أهل غرناطة. توفي في مصر سنة493هـ/1100م.انظر: ابن بشكوال، ج3، ص872.

[1] المراكشي، الذيل، ج1، ص221.

[2] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص47.

[3] المراكشي، الذيل، ج1، ص(448-449).

[4] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص(64-65)؛ نويهض، معجم المفسرين، ج1، ص(63-64).

[5] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص(64-65).

ومن قضاةِ وادي آش أحمدُ بنُ زيدٍ بنُ زيادٍ وادياشي، من أهل وادي آش، يُكنّى بـــأبي جعفر، وكان فقيهاً، تقياً، زاهداً، رفيعَ المكانةِ، وجليلاً؛ تولّى القضاء بوادي آش، وتوفي فيها في الرابع عشر من شوال سنة(586هــ/1190م)[1]، ويأتي بعد ذلك عبدُ المنعم بنُ محمدٍ بنُ عبــدِ الرحيم الخزرجي، المشهورُ بابنِ الفرَس، ولد سنة524هــ/1130م، اشتهر بالقضاء حيث كـــان يتمتعُ بصفاتٍ جعلته يتقلّد منصبَ القضاءِ في العديد من المقاطعاتِ، كجزيرة شُقر، ومدينة وادي آش، وجيان، ثم غرناطةَ التي عُزل عنها ليتولّى منصباً مهماً في الولاية؛ كما أُسندت إليه مسألةُ النظر في الحسبة والشرطة[2].

وسمع ابن الفرس عن أبيه وجده، وعن أبي بكرٍ بنِ النفيس، وأبي الحســـن بـــن هُـــذيل وغيرهم كثيرين، كما وحدّث عن الحافظ أبي محمدٍ القرطبي، وأبي عليٍّ القرطبـــي، وغيـــرِهم، ونبغَ ابن الفرَس في تأليف العديد من المصنفات وأهمها، "كتاب الأحكام"، وتوفي في الرابع من جمادي الأولى سنة 597هــ/1201م[3].

ومن أبرز قضاةِ وادي آش أحمدَ بنِ علي بنِ عبدِ الله بن محمد بن علي الهواري، مالقي الأصل، يُكنّى بأبي الطّاهر السبتي، وكان فقيهاً سنياً، حافظاً وعالماً بالأحكام، إلى جانب مهارته في علوم اللغة والأدب، وله مشاركة في علم الحديث، فقد عُني بالرواية والأخذ عـــن الشـــيوخ؛ ومن شيوخه أبوه، وأبو زكريا بنُ عبد الرحمن الأصبهاني وغيرهمُ؛ تولّى القضاء مرتين فـــي مدينة وادي آش، واستمرّ فيها قاضياً حتى توفي في منتصـــف ربيـــع الأول ســـنة(612هـــــ/1215م)[4].

ومما لا شكّ فيه أنّ سقوط قرطبة بيد الإسبان سنة 633هــ/1236م[5] بالإضـــافة إلـــى غيرها من المدن الأندلسية، لعب دوراً في تراجع الأوضاع العلمية في الأندلس[6]، فتوجّه العلماءُ

---

[1] المراكشي، الذيل، ج1، ص304.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص541؛ النباهي، ص110.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص(542–543)؛ النباهي، ص110.

[4] المراكشي، الذيل، ج1، ص(483–486).

[5] عنان، دولة، ج3، ص424.

[6] ابن خلدون، مقدمة، ج2، ص168.

العلماءُ إلى مدينة غرناطة التي أصبحت عاصمةَ المملكةِ الناشئةِ منذ سنة 635هـ/1238م، التي أولت اهتماماً كبيراً بالعلم والعلماء وكذلك القضاء، فظهر من قضاتها في وادي آش عتيقُ بنُ الحسنِ بن علي ابنُ محمدٍ بنُ قاسمٍ بن محمد بن عبد الله بن سعيدٍ الهلالي، أصله من غرناطةّ، ويُعرف بالدوركلي؛ أخذ علمه عن أبي الحسن سهلٍ بنِ مالك، تولّى زمام القضاء في مدينة ألمرية ثم انتقل إلى وادي آش، واستمر على ذلك الحال حتى ثارت الفتنة بالمدينة سنة 665هـ/1267م، مما دفعه إلى تركها والعودة إلى مسقط رأسه، حيث بقي هناك إلى أن توفي ليلة السبت في30جمادي الأخير سنة(684هـ/1285م)[1].

كما تولّى قضاء وادي آش أيضاً محمدُ بنُ محمدٍ الأسلمي من أهل الشرق، يُكنّى بأبي عبد الله، ويُعرف بابن هشام الإيشي، من كبار علماء الفقه؛ وله مشاركةٌ في الأدب، وكان ذا فضلٍ وعلمٍ وافر، بالإضافة إلى حُسن خلقه وتواضعه؛ تولّى أحكام القضاء في مدينة وادي آش، ثم أُسند إليه قضاء ألمرية، خليفةً للقاضي أبي بكرٍ عتيقٍ بنِ أحمدَ الوادي آشي، ثم تقلّد أمر الخطابة والصلاة في جامعها الأعظم، وتوفي يوم الثلاثاء في الثامن من جمادي الآخر سنة 704هـ/1304م[2].

ومن الفقهاء الذين تولوا قضاء وادي آش محمدٌ بنُ رضوانَ بن محمد بن أحمدَ النميري الوادي آشي– لقد ورد ذكره سابقاً–[3]، كما تولّى قضاءها محمدٌ بن أحمدَ بن محمدٍ بن عبد الله بن محمد الشريف، سبتي الأصل، يعود في نسبه إلى عليٍّ بن أبي طالب، ولد سنة 697هـ/1297م، يُكنّى أبو عبد الله، كان أديباً، شاعراً، بارعاً، وأستاذاً في اللغة العربية حيث يُعدّ من أقطاب علم النّحو في عصره، إضافةً إلى كونه فقيهاً وحافظاً وعالماً بالأحكام، تعلم قراءةً القرآن الكريم عن أبيه، واللغةَ العربية عن أبي عبد الله بن هانئ، كما وسمع عنه أبو عبد الله بن رُشيد؛ تقلد ديوانَ الإنشاء في غرناطةَ، ثم تولى القضاء والخطابة فيها، وقد أُحيل عن القضاء وتفرّغ لتعليم الفقه والعربية، ثم أُسند إليه قضاء وادي آش، وانتهى به المقام بالعودة إلى

---

[1] ابن القاضي المكناسي، ذيل، ج3، ص(180–181).

[2] ابن القاضي، ذيل ، ج2، ص(92–93).

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص(141–143)؛ السيوطي، بغية، ج1، ص104.

قضاء غرناطة التي بقي فيها حتى وفاته في أوائل شعبان سنة 760هـ/1358م مخلّفاً وراءه عدةَ مصنفاتٍ منها تقييدٌ جليلٌ على التسهيلْ، وشرْحٌ بديعٌ قاربَ التمام، وشرحُ مقصورةِ ابنِ حازم، وشرح الخزرجية[1].

ومن الفقهاء الذين تولوا قضاء وادي آش، أحمدُ بنُ محمدٍ بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن عبد الرحمن بنُ يوسفَ بن سعيد بن جزيّ الكلبي، أصله من غرناطة، وُلد في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة 715هـ/1315م، وعُرف بابن جُزَيّ، له عناية كبيرة بالعلم، عُرف بفضله وعلوّ همته ونزاهته، إضافةً إلى حُسن خُلقه وسيرته، له مشاركة في الفنون والفقه؛ وغلب عليه الاهتمام باللغة العربية من أدب وشعر، أخذ عن والدِه الخطيبِ أبي القاسم، ولازَمَ عددٌ من معاصري أبيه؛ تولى أعمال الكتابة السلطانية في عهد أحد الملوك النّصريين، ثم دخل في الخطط الشرعية، فاستقضى ببرجة، ثم وادي آش، ثم انصرف بآخر عهده إلى غرناطة وتولى القضاء والخطابة فيها[2].

ومن قضاة وادي آش عبدُ الحقَّ بنُ محمدٍ بن عطيةَ بن يحيى بن عبد الله بن طلحةَ ابنُ أحمدَ بن غالب بن عطية المحاربي، يُكنّى أبا محمد، أصله من وادي آش، ولد في أواخر سنة 709هـ/1309م، له عنايةٌ كبيرةٌ بالعلم والنظم، والنثر، تقلّد الخطابة والإمامة في وادي آش سنة 838هـ/1434م، ومع حلول سنة 743هـ/1342م، تولّى أمر القضاء بها وبأعمالها، ثم انتقل إلى غرناطة سنة 756هـ/1355م، وتتلمذ على يد لسان الدين بن الخطيب وغيره من الشيوخ[3]، كما وتولى القضاء في وادي آش يحيى بنُ عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري، من أهل الفطنة والذكاء، عُرف بعدالته، كان له إلمامٌ بالعديد من العلوم، ومن ضمنها العلوم الشرعية من فقه وأحكام، كما وأُولِع بعلم الفرائض والحساب، استقى علمَه وثقافته من معين

---

[1] ابن حجر العسقلاني، الدرر، ج3، ص(352-353)؛ السيوطي، ج1، ص39.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(157-162).

[3] المصدر نفسه، ج3، ص(555، 561، 569)؛ المقّري، نفح، ج7، ص(282-287).

بعضِ العلماء والشيوخ، أمثال الفقيه أبي عبد الله البياني*، ولّيَ قضاءَ عدةِ أماكنَ في الأندلس، ثم عّين نائباً عن قاضي الحضرة العلية، وتقدّم قاضياً لمدينة وادي آش، وتولى أمر الخطابة في مسجدها الأعظم، يتردد عليه التلاميذ للاستفادة منه والأخذ عنه[1].

ويتضح من خلال النماذج المشار إليها من الذين تولوا قضاء وادي آش، أنّه من الممكن تعيينُهم من مدنٍ أخرى على قضاء وادي آش ويمكن أن يحصل العكسُ، كما ويتضح أن الغالبية العظمى ممن تولوا هذا المنصب في وادي آش ينحدرون من أصول غرناطيةَ، وجذورُهم عربيةٌ حجازية أصلية، وقد يعود ذلك إلى تأثّر أهلِ الأندلس بمذهب الإمام مالك بن أنس، الذي ولد ونشأ في الحجاز[2]، بالإضافة إلى توافد العرب من أصول شامية ومصرية وحجازية واستقرارهم في الأندلس خلال الفترات التاريخية المتتالية[3] مما ساهم في تطور الحركة العلمية في الأندلس.

العلوم الشرعية

لقد تواجدت العلوم الشرعية في وادي آش بكامل فروعها، وقد تميّز علماؤها باحتوائهم لكافة العلوم الشرعية وغيرها، مع نبوغهم في واحد من هذه العلوم أو أغلبها، حيث نجد عالماً له معرفةٌ واسعةٌ بالفقه والحديث واللغة والأدب وأصول الديانات، لكنّه يبرز في واحدة منها بشكل كبير على العلوم الأخرى.

لقد توقفت المصادر عن ذكر أيٍّ شيخٍ أو فقيهٍ قبل فترة الخلافة الأموية، ومن علماءِ وادي آش خلال العصر المذكور، زكريا بنُ خالدٍ بنُ زكريا بنُ سماك بن خالد بن الجراح بن

* البياني: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد، ويعرف بالبياني، من أهل غرناطة، لديه مشاركات في العربية والأصول، أخذ عن الشيخ ابن رُشيد الفهري وغيره من الشيوخ، وتوفي سنة 753هـ/1352م. انظر: ابن القاضي المكناسي، ذيل، ج2، ص49.

[1] ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص(374-376).

[2] ابن خلدون، مقدمة، ج2، ص190.

[3] عيسى، تاريخ، ص86.

عبد الله الضنيّ[1]، وحسب الضبيّ الصيني[2]، يُعرف بابن صاحبِ الصلاة، ويُكنى بأبي يحيى، يعود بنسبه إلى بني قضاعةَ؛ أصله من وادي آش، ومن سكان ألمرية، ولد في شهر محرم سنة 317هـ/929م، عُني بالعلم، وعُرف بصدق روايته، أخذ عن سعيدِ بنِ مخلوف، وقاسمِ ابنِ أصبغ*، كما وحدّث عنه أبو عمر الطلمنكي*، شكّك ابنُ بشكوال في تاريخ وفاته، بين سنة 404هـ/1014م، وسنة 405هـ/1015م[3]، بينما أكدّ الضبيّ أنّه توفي سنة 404هـ/1014م[4].

وفي عصر المرابطين برز من أهل وادي آش في العلوم الشرعية عبدُ الرحمن بنُ زياد، أصله من جليانة؛ ارتحل إلى مدينة ألمرية، والتقى فيها بأبي عمرَ بنِ رشيق وغيرِه من العلماء والفقهاء؛ أُسند إليه حكم وادي آش، وتوفي سنة 481هـ/1088م، عن عمرٍ يناهز خمسة وستين سنة[5]، ومنهم أيضاً علي بن عبد الله بن موسى بن طاهر الغفاري، أصله من سرقسطة، ويُكنّى بأبي الحسن البُرجي، برَعَ في عدة مجالات؛ من بينها اللغة، والأدب، والخط، كما عُني عنايةً كبيرة برواية الحديث. تتلمذ على يد أبي المُطرف بن الوراق*، وأبي علي بن سكرة*؛ عاش

---

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص302.

(2) الضبي، ص293.

* قاسم بن أصبغ البياني، إمام ومحدث أندلسي، ولد سنة244هـ/859م، أخذ عن بقي بن مخلد، وأصبغ بن خليل بالأندلس، وروى عنه أحمد بن قاسم وغيره. انظر: الضبي، ص446.

* أبو عمر الطلمنكي: أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي، المقرئ، الحافظ، أصله من طلمنكة، ولد سنة340هـ/952م، ونشأ في قرطبة، أخذ عن كثيرٍ من العلماء منهم: أبو جعفر أحمد بن عون الله، وأبو محمد عبد الله الباجي، توفي سنة429هـ/1038م. انظر: ابن بشكوال، ج1، ص(84-85).

(3) ابن بشكوال، الصلة،ج1، ص302.

(4) الضبي، بغية، ص293.

(5) ابن بشكوال، الصلة، ج3، ص506.

* أبو المطرف عبد الرحمن بن سعيد بن هارون بن الوراق السرقسطي، يعرف بابن الوراق، فقيه، مقرئ، ومحدث، ولد سنة 441هـ/1050م. أخذ عن محمد بن عيسى المعافي، وأبي الأصبغ عيسى بن خيرة، وروى عنه محمد بن عبد الرحيم، وأبو الحسن بن النعمة، توفي سنة522هـ/1128م. انظر: الضبي، ص364.

* أبو علي الحسين بن محمد بن فيرة بن حيون بن سكرة الصدفي، قاضي أندلسي، من أهل سرقسطة، أخذ عن أبي الوليد سُليمان بن خلف الباجي، وأبي محمد عبد الله بن محمد بن إسماعيل، استشهد في وقعة قتندة سنة 514هـ/1121م. انظر: ابن بشكوال، ج1، ص(235-237).

الغفاري متنقلاً بين مدن الأندلس، ثمّ استقرّ بمدينة وادي آش، وقعد للتدريس بها حتى قُتل سنة 535هـ/1141م، ويُقال سنة 536هـ/1142م[1].

وفي عصر الموحدين نبغ من فقهاء وادي آش إبراهيمُ بنُ أحمدَ بنُ محمدٍ بن رشيق الطُليطلي، من سكان وادي آش، ويُكنّى بأبي اسحاق؛ من المُقرئين الأجلّاء، تصدّر الإقراء في وادي آش، كما وعُني بأمور الصلاة والخطابة فيها، كان عادلاً وموثوقاً به، أخذ عن أبي عبد الله المغالي، كما وروى عنه أبو جعفرَ عبدُ الرحمن بنُ القصير، وأبو بكر بن يحيى بن محمدٍ العقيلي وغيرهم، توفي سنة 540هـ/1145م، أو نحوها[2].

كما نبغ في وادي آش عبدُ الرحمن بنُ أبي رجاء البلوي، يُكنّى أبو القاسم، ويُعرف باللبسي، نسبة إلى قرية لبسة بالقرب من وادي آش، كان زاهداً، متصوفاً، وعالماً بالإقراء، أخذ مجمل القراءاتِ عن كثيرٍ من المتمكّنين بغرناطةَ، أمثال يحيى بن سعيدٍ بن حبيب المحاربي*، وأبي الحسنِ عليٍّ بنِ يوسفَ السالمي* وغيرِهم، له رحلة مرّ بها على مكة حاجّاً، لقيَ فيها أبا محمدٍ عبدَ الله بنَ عمرَ العرجاء*، وسمع منه وأخذ عنه القراءاتِ، وفي حوالي سنة 505هـ/1112م عاد إلى الأندلس وتحديداً مدينة المرية، وتقدَّم للإقراء والصلاة والخطابة في جامعها، انتقل إلى مدينة وادي آش سنة 541هـ/1147م، وتوفي فيها سنة 545هـ/1150م، عن عمرِ ثمانيةٍ وسبعين سنة[3]، ويأتي بعد ذلك أحمدُ بنُ ثابت، أصله من وادي آش، يُكنّى بأبي جعفر، من المهتمين بالأدب، وكان على معرفة بالأخبار، توفي في مدينة مرسية سنة 563هـ/1167م[4].

---

[1] المراكشي، الذيل، ج3، ص(200-201).

[2] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص126.

* يحيى بن سعيد بن حبيب المحاربي: من أهل جيّان، درس القراءات السبع، وأقرأ الناس القرآن بقرطبة، ثم تولى القضاء بجيّان، وتوفي فيها سنة 500هـ/1107م. انظر: ابن بشكوال، ج3، ص(964-965).

* أبو الحسن، علي بن يوسف القيسي السالمي: أصله من مدينة سالم، مقرئ، أخذ القراءات عن محمد بن أحمد الفراء، وأبي الحسن بن الباذش، وأبي عبد الله بن عبادة. انظر: ابن الجزري، غاية، ج1، ص518.

* الحسين بن عبد الله بن عمر بن العرجاء: قرأ على والده وعلى أبي معشر الطبري، وتوفي سنة547هـ/1153م. انظر: ابن الجزري، ج1، ص198.

[3] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص(24-25).

[4] المصدر نفسه، ج1، ص65؛ المراكشي، الذيل، ج1، ص268.

ومنهم أيضاً غالبُ بنُ محمدٍ بن هشام بن محمد بن زياد العَوفي، من أهـل وادي آش، ويُكنّى بأبي تمام، أخذ عن أبي القاسم الملاحي*، وتوفي في بلده سنة 586هـ/1190م[1].

وكذلك محمدٌ بنُ عليٍّ بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمداني، المعروفُ بابن البرّاق – تم الحديث عنه سابقاً –[2]، كما وبرز فيها أحمدُ بنُ علي بن محمد الأنصاري الأوسي، من أهل قرطبة، وأصله من وادي آش، ومن سكان باغة، يُكنّى بأبي جعفر، كان راوياً وأديباً، سمع عن أبي بكر ابنِ سمجون*، كما وأخذ عنه ابنُ الطيلسان*، توفي حوالي سنة606هـ/1210م، ودُفن بمقبرة بابِ عامر[3]، وبرز كذلك عليٌّ بنُ أحمدَ بن محمد بن يوسف بـن مـروانَ بـن عمـرَ الغساني، أصله من وادي آش، ويُكنّى بأبي الحسن، ولد سنة547هـ/1153م؛ كان عالماً بالفقه ومسائله، ومهتماً بالأدب والفنون تتلمذ على يد جُملة من المشايخ والعلماء، وأبرزهم: أبو محمدٍ بنِ عبد الرحيم الخزرجي*، وله العديدُ من المصنفات وأهمها: كتابُ "الوسيلةِ لإصابةِ المعنى في أسماء الله الحسنى"، وكتاب "التّرصيع في تأصيل مسائل التفريع"، وكتاب "اقتباس السـراج فـي شرح صحيح مسلمِ بنِ الحجّاج"، توفي في شهر ربيع الآخر سنة 609هـ/1212م[4].

---

* أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحي، من أهل غرناطة، مؤرخ وأديب ومحدث ونسابة، يعـد مـن أعـلام المالكية في عصره، حدث عنه الناس وانتفعوا به، له العديد مـن المؤلفـات وأهمهـا فضـائل القـرآن، وتـوفي سـنة 619هـ/1222م. انظر: نويهض، معجم المفسرين، ص568.

[1] المراكشي، الذيل، ج3، ص436.

[2] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص76.

* ابن سمجون: أبو بكر حامد بن سمجون، طبيب أندلسي، من أبناء القرن الرابع الهجري، تميز في معرفة الأدوية، وتوفي سنة 400هـ/1010م. انظر: الزركلي، ج2، ص161.

* ابن الطيلسان: القاسم بن محمد بن أحمد الأنصاري الأوسي القرطبي، من أهل قرطبة، عالم بـالقراءات. تـولى أمـر الخطابة بمالقة إلى أن توفي سنة 642هـ/1244م، من كتبه: الجواهر المعضلات فـي المسلسـلات، وأخبـار صـلحاء الأندلس. انظر: الزركلي، ج5، ص181.

[3] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص88.

* ابن الفرس الأندلسي: عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي، يكنى أبا عبد الله، من علماء غرناطة، أسـند إليـه القضاء بجزيرة شقر، ثم في وادي آش، ثم جيّان، وتولى مهام النظر في الحسبة والشـرطة، تـوفي فـي إلبيـرة سـنة 599هـ/1203م. انظر: الزركلي، ج4، ص168.

[4] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص225؛ انظر أيضاً: مخلوف، شجرة، ج1، ص247.

ومن أبرز فقهائها عبدُ الصمدِ بن عبد الرحمن بن أبي رجاء البلوي، أصله من وادي آش، ويُكنّى أبو محمد، ولد حوالي سنة 534هـ/1140م، كان عالماً بالفقه وراوياً للحديث، له عنايةٌ كبيرةٌ بالعلم والبحث عن الرواية وضبطها. وإلى جانب علمه بالفقه والحديث، لديه اهتمامٌ بالأدب واللغات، سمعَ عن أبيه أبي القاسم، وغيره من العلماء والشيوخ، وتوفي في أول رجب من سنة 619هـ/1222م[1]، ويأتي بعد ذلك جوديُ بنُ عبد الرحمن بن جودي بن موسى بن وهب بن عدنان القيسي، أصله من وادي آش، يُكنّى بأبي الكرم، يُعدّ من جُلّة الفقهاء والمحدّثين ورجال الأدب؛ عُني بالرواية أتمّ عناية، وكان موفور الحظ بالعربية، من خط وكتابة وشعر، كما كان على معرفة بعلم النبات، تتلمذ على يد أبي القاسم السهيلي، وغيره. توفي في مدينته بعد مرضٍ ألمّ به في نحو631هـ/1233م[2].

ومنهم أيضاً عُتبةُ بنُ محمدٍ بن عُتبة الجراوي، من أهل غرناطة، وأصله من وادي آش، يُكنّى أبو يحيى، كان ذو فضلٍ وعلمٍ وافر، تقلّد منصب قاضي الجماعة في الأندلس، وتوفي مقتولاً سنة 635هـ/1237م[3]، وبرز أيضاً: إبراهيمُ بنُ محمدٍ بن شُعبةَ بن عيسى بن محمد بن شُعبة ابن حنون الغساني، من أهل وادي آش، ويُكنّى بأبي إسحاق، كان من المهتمين بالرواية، استقضي في مدينة ميورقة، ورحل عنها قسراً سنة 608هـ/1212م[4].

وفي عصر بني الأحمر برز في وادي آش عليٌّ بنُ عبد الله النميري الششتري –تم الحديث عنه سابقاً–[5]، والفقيهُ عتيقُ بنُ أحمدَ بنُ محمدٍ بن يحيى الفراء الغساني، أصله من وادي آش، ويُعرف بالوادي آشي، كان من جُلّة الفقهاء، موفور الحظ بالحفظ و التفسير، كما وكان متقدماً في أمور الطب والعلاج، قدّم شرحَه لأرجوزة ابن سينا لكنّه لم يُكمله؛ وكتب في فضائل السور، وله مصنف سماه "ناظر العين في مختصر البرهان لإمام الحرمين" و كان يعقد جلساتٍ في الجامع الأعظمِ في غرناطةَ، يفسر فيها القرآن، ويتحدث عن الموطأ، ثم تقدّم قاضياً

---

(1) ابن الأبار، التكملة، ج3، ص(114-115).

(2) المصدر نفسه، ج1، ص202.

(3) المصدر نفسه، ج4، ص38؛ المراكشي، الذيل، ج3، ص93.

(4) ابن الأبار، التكملة، ج1، ص(139-140).

(5) المقَّري، نفح، مج2، ص185.

في مدينة المنكب، وبشلوبانية، وبرجة، والمرية، وكانت وفاته في يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة 696هـ/1296م[1].

كما ونبغ في وادي آش أحمدُ بنُ عبد النور بن أحمدَ بن راشدٍ، أصله من مالقة، يُكنّى أبا جعفر، ويُعرف بابن عبدِ النور، كان مقرئاً للقرآن، قائماً عليه، عالماً بمعانيه؛ واشتهر بجمال صوته في تلاوته، كما وكان متقدماً في اللغة العربية من أدبٍ وشعرٍ وعَروض، انتقل إلى وادي آش وعَمِلَ فيها على تدريس إقراء القرآن، وله مجموعةٌ من المؤلفات، منها: كتاب "الحِلية في ذكر البسملة والتصلية"، وكتاب "رصف المباني في حروف المعاني". وتوفي في مدينة ألمرية سنة 702هـ/1302م[2].

ومن فقهاء وادي آش عبدُ الكريم بن علي بنُ عمرَ الأنصاري، ابن بنت العراقي، وُلد في مصر سنة 623هـ/1226م، أصله من وادي آش، يُعدّ من مشاهير العلماء في مصر، فقد كان على درايةٍ بالعديد من العلوم والفنون، كما وكان عالماً بالقراءات والمسائل الفقهية، يُذكر أن جده من جهة أُمه ليس عراقياً وإنّما رحل إلى العراق، ومن ثمّ عاد إلى مصرَ، لذلك سُمي بالعراقي[3]؛ له العديد من المؤلفات أهمها: "مختصرٌ في أصول الفقه"، و"مختصرٌ في تفسير القرآن"[4]، وتوفي سنة 704هـ/1305م[5]، عن عمر ثمانين سنة[6].

ومنهم أيضاً أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنُ جعد التجيبي، أصله من وادي آش، يُكنّى أبا جعفر، وعُرف بابن جعد، يُعدّ من المتقدمين في حفظ القرآن والعاكفين عليه، أخذ القراءاتِ عن كثيرٍ من مشاهير المقرئين، توفي سنة 738هـ/1338م[7]، ويأتي بعد ذلك محمدٌ بنُ جابرٍ بن محمد بن القاسم ابنُ حسانَ القيسي، يُكنّى أبا عبد الله، ويُلقّب بشمس الدين، ويُعرف بابن جابر، أصله

---

[1] ابن القاضي، درة، ج3، ص181.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(196-202).

[3] الصفدي، أعيان، ج3، ص(139-140)؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر، ج2، ص399.

[4] الصفدي، أعيان، ج3، ص139.

[5] المصدر نفسه؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر، ج2، ص400.

[6] ابن حجر العسقلاني، الدرر، ج2، ص400.

[7] المصدر نفسه، ج1، ص83.

من مدينة وادي آش، ولد ونشأ في تونسَ، كان مقرئاً، ومحدّثاً، وله مشاركاتٌ في اللغة والنّحو والشعر والحديث، ارتحل كثيراً بين البلدان، وكان يتنقل بين المشايخ والنواحي حرصاً منه على طلب الفقه والعلم النافع[1]، أخذ عنه المؤرخُ عبد الرحمن بن خلدون، ولسان الدين بنُ الخطيب، ومحمدٌ ابنُ جُزيّ الكلبي، وشمسُ الدين الذهبي وغيرُهم من العلماء، وله مجموعةٌ من الكتب نُسبت إليه، ومنها: "برنامج ابن جابر الوادي آشي"، و"ترجمة القاضي عيّاض"، "والأربعون حديثاً البلدانية"، "وأسانيدُ كتب المالكية"[2]، وتوفي سنة 749هـ/ 1348م نتيجة إصابته بمرض الطاعون[3].

ومنهم أيضاً إبراهيمُ بنُ عبد الله بن محمد بن إبراهيمَ بن أسدِ بنُ موسى بنُ إبراهيمَ بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميري، من أهل غرناطة، ويُكنّى بأبي إسحاق، ويُعرف بابن الحاجّ، استقر في وادي آش؛ فقد اشتهر أبناءُ قومه بالتنقل والترحال في بعض جهاتها، حيث عاشوا في كنف الدولة النّصرية، عُرف بتقواه وورعه، وحُسن أخلاقه، كان له إلمامٌ بالعديد من العلوم ومن ضمنها العلوم الشرعية، حيث كان راوياً للحديث، كما وأهتمّ باللغة العربية من أدب وشعرٍ ونظمٍ ونثر، ونبغَ في تأليف العديد من المصنّفات ومنها، "المُساهلة والمسامحة في تبيين طرق المداعبة والممازحة". وكتاب "إيقاظُ الكرام بأخبار المنام" وغيرُها كثيرٌ[4]، وتوفي سنة 764هـ/1362م أو سنة 765هـ/1363م[5].

وانتمى إلى وادي آش العديدُ من العلماء الذين كان لهم دورٌ بارزٌ في الحياة العلمية، لكنْ غفلت المصادرُ العربية عن ذكر سنة الوفاة في ترجمتهم، ومنهم: إبراهيمُ ابنُ طفيل، يُكنى أبا إسحاق، وكان عروضياً، وعالماً بالفقه ومسائله، تقلّد الأحكام بجليانة أحد أعمال وادي آش[6]،

---

[1] ابن فرحون، الديباج، ج2، ص(299-301).
[2] ابن جابر الوادي آشي، برنامج، ص(21-22، 26-27).
[3] المصدر نفسه، ص25؛ ابن فرحون، ج2، ص301.
[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص(342-346).
[5] ابن حجر العسقلاني، الدرر، ج1، ص29.
[6] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص121.

وكذلك الفقيه أحمدُ بن بشر اللخمي، من أهل وادي آش، وكُنيته أبو العباس، فقيهـاً، وحافظـاً، ومشاوراً، وله مشاركة في الأدب، وتولّى أمر الخطابة ببلده[1].

ومن الشخصيات الأخرى أحمدُ بنُ غيلانَ القشيري، أصله من وادي آش، وقد كان فقيهاً ومقرئاً وزاهداً وخطيباً، سمع من أبي تمام غالب بن محمد العوفي[2]، وكذلك أحمدُ بن محمد بن طفيل القيسي، أصله من وادي آش، ويُكنّى بأبي العباس، تتلمذ على يد أبي مروانَ، وأخذ عنـه أبو محمد قاسم[3]، ومنهم أيضاً جودي بن عبد الرحمن بن جودي بن موسى بن وهب بن عدنان القيسي، أصله من وادي آش، ويّعدُّ من كبار الفقهاء المحدثين، تمت ترجمته سابقاً[4]، وينتمـي إليها أيضاً حريشُ بنُ إبراهيم، أصله من وادي آش، يُكنّى بأبي اليسع، أخذ عن فضلِ بنِ سـلمة في مدينة بجانة، وغيرِه من العلماء في قرطبة، وتولى مهمة الإفتاء في موضعه[5].

ومن الفقهاء أيضاً خالدُ بن زكريا، وادي آشي الأصل، ويُكنّى بأبي هاشـمٍ، كـان لـه رحلاتٌ لطلب العلم، راوٍ ومحدثٌ، ومن أهل الخطابة والبلاغة[6]، كما ويُنسب إليها طاهرُ بـنُ يوسفَ ابن فتح الأنصاري، أصله من وادي آش، ويُكنّى أبا الحسن[7]، وكذلك عبدُ الله بنُ إبراهيمَ إبراهيمَ بن محمد الأنصاري، أصله من وادي آش، ويُكنّى بـأبي محمـدٍ، رحـل حاجّـاً وأدّى الفريضة، وقرأ بدمشقَ بعد انتقاله إليها على يد أبي طاهرٍ الخشوعي، والقاسـم بـن عسـاكر، وغيرهما[8]، كما وقرأ على يد أبي المعالي محمدِ بنِ وهبِ بنِ سلمانَ السلمي، وأبي الحسن بـن عبد اللطيف بن إسماعيل الصوفي[9]، ومنهم أيضاً عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي، أصله من بُرشانة، ويقال من وادي آش، يُكنّى بأبي مروانَ، كان مقرئاً، فقد غلب عليه الاهتمام بتلاوة

---

(1) المراكشي، الذيل، ج1، ص220.

(2) المصدر نفسه، ص644.

(3) المصدر نفسه، ص607.

(4) ابن الأبار، التكملة، ج1، ص202.

(5) ابن الفرضي، ج1، ص228.

(6) المصدر نفسه، ص241؛ الرشاطي وابن الخراط، ص90.

(7) ابن الأبار، التكملة، ج1، ص273.

(8) المصدر نفسه، ج2، ص(283-284)؛ المقَّري، نفح، ج2، ص222.

(9) ابن الأبار، التكملة، ج2، ص284.

القرآن وتجويده، أخذ عن أخيه أبي العباس، وابن يوسفَ السالمي، وأبي داود الهشـــامي، كمـــا وسمع عنه أبو عبد الله بن أحمد الشعباني، وأبو العباس بن البراذعي[1].

ومن فقهاء وادي آش عليٌّ بن إبراهيم بن محمد الأنصاري، من أهل وادي آش[2]، سكن مدينة مالقة، يُكنّى بأبي الحسن، واشتهر بابن هردوس، ارتحل إلى مكةَ لأداء فريضـــة الحـــج، وتتلمذ على يد كثير من الشيوخ، وأبرزهم، أبي محمد الرشاطي، وأبي محمد بن عطية القاضي، وغيرهم، كما وسمع عنه أبو القاسم بن البراق[3]، عني بالعلم والرواية أتمّ عناية[4]، فقــد كـــان مواظباً على لقاء مشيخته للاستفادة منهم مما جعله يحظى بمكانةٍ علميةٍ رفيعةٍ[5]، وكذلك غُصنُ بنُ إبراهيمَ بن أحمد ابن غُصن؛ من أهل وادي آش، ويُكنّى بأبي الحسن، عُني بـــالعلم وســـماع الشيوخ[6]. عيّنه الملوكُ قارئاً للأعشار في أيام الجُمع، وتوفي في مدينة مراكش[7]، ومنهم أيضاً أيضاً القاسمُ بنُ محمدٍ بن علي بن محمد بن إبراهيمَ الهمداني، أصله من وادي آش، يُعرف بابن البَرّاق، والد الراوية أبي القاسم بن البَرّاق، أخذ عن كثير من المتمكنين الذين أجازوا له، أمثـــال أبيه وأحمدَ ابنِ عبدِ الرحمن بن جُزيّ المُكنّى بأبي بكر، وغيرهم[8].

ومن علمائها أيضاً محمدٌ بن علي بن مغيرة السكسكي، أصله من وادي آش، تتلمذ على يد أبي علي الصدفي، وأخذ عنه أبو الحسن بنُ أحمدَ بن محمد الغساني[9]، وكذلك وليدُ بن موفّق موفّق مولى ابن جُذيع الأَزدي، أصله من جيان، ومن سكان وادي آش، يُعرف بالبسطي، ويُكنّى بأبي الحسن، كان شيخاً، صالحاً، تقياً، وعلى درايةٍ بالفقه ومسائله، كان يجوب البلـــدان طلبـــاً

---

[1] المراكشي، الذيل، ج3، ص27.

[2] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص192.

[3] المصدر نفسه، ص192؛ المراكشي، الذيل، ج3، ص159.

[4] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص192.

[5] المراكشي، الذيل، ج3، ص159.

[6] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص55؛ المراكشي، الذيل، ج3، ص438.

[7] المراكشي، الذيل، ج3، ص438.

[8] المصدر نفسه، ص478.

[9] المصدر نفسه، ج4، ص545.

للعلم، فقد ارتحل إلى مكة لأداء الفريضة[1]، وينتمي إليهم أيضاً يحيى بنُ محمدٍ بن عبد الواحد العقيلي، أصله من وادي آش، يُكنّى أبو بكر، من المقرئين الأجلّاء، تصدر علم الإقراء في المدينة، وروى عن أبي إسحاق بن رشيق، وهو عالم جليل أخذ عنه علم القراءات، وتتلمذ على يديه أبو القاسم ابن البراق[2]، وكذلك يَسَعُ، شيخٌ من شيوخ وادي آش، عُرف بفهمه وفطنته[3].

وفطنته[3].

الحركة اللغوية والأدبية

حظيت الدراساتُ اللغوية والنّحوية باهتمامِ وعنايةِ سكانِ وادي آش، فقد احتل شعراءُ وعلماءُ اللغةِ والنحوِ مكانةً ساميةً فيها، ومن علماء اللغةِ والنحو الذين ظهروا في مدينة وادي آش في عهد المرابطين محمدٌ بنُ أحمدَ بن عثمان القيسي[4]، أصله من وادي آش، ومن سكان المرية، يُكنّى أبو عبد الله، ويُعرف بابن الحداد، من مشاهير شعراء بني صمادح، حظي بمكانةٍ علمية رفيعة، وشأنٍ عليّ، كان شاعراً أديباً عالماً باللغة والعَروض[5]، فقد رتّب شعره على حروف المعجم، كما وألفّ كتاباً في العروض سماه المستنبط، مدح فيه المعتصمَ بنَ معنٍ ابن صمادح[6]، توفي ابنُ الحداد في مدينة المرية سنة480ه/1087م[7]، ومن شعره:

(البحر الطويل)

إلى الموت رَجعي بعد حين فإن أَمُت	**فقد خُلِدت خُلد الزمانِ مناقبي**
وذكري في الآفاق طارَ كأنّه	**بكلّ لسانٍ طيب عذراء كاعِبِ**
ففي أيّ عِلمٍ لم تبرّز سوابقي	**وفي أيّ فَنّ لم تُبرّز كتائبي[8]**

---

[1] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص(152-153).

[2] المصدر نفسه، ص180.

[3] ابن الفرضي، ج2، ص948.

[4] ابن خاقان، ص336، حاشيه رقم 7.

[5] ابن بسام، مج2، ص(691-692)؛ ابن الأبار، تكملة، ج1، ص322.

[6] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص322.

[7] ابن خاقان، ص336، حاشيه رقم7؛ ابن الأبار، تكملة، ج1، ص322.

[8] ابن خاقان، ص337.

وظهر أيضاً يحيى بن بقي، من أهل وادي آش، شاعر وأديب، تميز بشعره في جميع ألوانه، كانت وفاته في مدينة وادي آش وذلك سنة 540هـ/1146م[1]، وكذلك محمدٌ بن عبد الرحمن العقيلي، وادي آشي، الجُراوي، كان له إلمامٌ بالعديد من العلوم ومن ضمنها علوم الشريعة، واللغة العربية، والطب، وله مشاركةٌ في الشعر، فقد خاطب أمير المسلمين علياً بنَ يوسفَ بن تاشفين في إحدى قصائده[2] حيث يقول فيها:

(البحر الطويل)

أيا مَلِكاً يسمو بسعدٍ مُساعِدِ   وقَدر على عُلوِ الكواكبِ صاعدِ

نظَمتُ قصيداً في عُلاك مضمّناً   ثلاثً قوافِ في ثلاث قصائد

إذا فُصلت أغنى عن البعض بعضُها   وإن وصُلت كانت ككف وساعد[3]

وفي عصر الموحدين نبغ من أدباء وادي آش إبراهيمُ بن علي بن إبراهيم بن محمد الأنصاري، الكاتب، أصله من وادي آش، سكن مالقة، يُكنّى أبا الحكم، ويُعرف بابن هَرودس، عُني بالعلم وكتب لبعض الولاة، توفي سنة573هـ/1177م، ومن شعره مخاطباً نفسه:

(البحر الوافر)

أإبراهيم إن الموت آت   وأنت من الغواية في سنات

رجاؤك مثل ظل الرمح طولاً   وعمرك مثل إبهام القطاة[4]

كما ونبغ فيها محمد بن عبد اللملك بن محمد بن طفيل، ويُكنى بأبي بكر، وينتمي لقبيلة قيس العربية، من أهل وادي آش، كان متقدماً في علم الطب والفلسفة، قصد مدينة غرناطة وعني هناك بدراسة الطب وعمل بالكتابة[5]، كان عالماً حكيماً، فيلسوفاً، متصوفاً، طبيباً، فقيهاً،

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص418.

(2) المراكشي، الذيل، ج4، ص401.

(3) المصدر نفسه، ص(401-402).

(4) ابن الأبار، التكملة، ج1، ص132.

(5) الصفدي، الوافي، ج4، ص(29-30)؛ انظر أيضاً: الزركلي، ج6، ص249.

فقيهاً، بارعاً في الأدب، وله معرفة في كثير من الفنون[1]، اتصل ببلاط الموحدين في افريقيا وأصبح من المقربين لأبي سعيد بن عبد المؤمن والي سبتة وطنجة، ومع ازدياد صيت ابن طفيل عينه خليفة دولة الموحدين أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وزيراً وطبيباً خاصاً له، ترك تراثاً حافلاً ومتنوعاً في شتى الفنون والأدب، تنوعت ما بين الطب والفلك والفلسفة، فاستطاع أن يجمع خبرته الطبية في قصيدة بلغت أكثر من سبعة آلاف وسبعمائة بيت، وله رسالتين في الطب منها" الأرجوزة الطبية المجهولة"، ومن مصنفاته في الفلسفة" رسالة حيّ بن يقظان" التي شرح فيها على لسان حيّ ابن يقظان تشريح الغزالة، ووضح فيها الأعضاء التي شاهدها من الجلد حتى القلب[2]، توفي بمدينة مراكش سنة581هـ/1185م[3].

ومنهم أيضاً عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن، أصله من وادي آش، ويُكنّى أبا القاسم ويُعرف بابن الكاتب، كان من المهتمين بالعلم، وتميّز لكونه شاعراً وأديباً وكاتباً، ارتحل إلى مالقة واستقر فيها[4]، وتوفي في مدينة مراكش وذلك سنة 581هـ/1185م[5]، ومن شعره شعره قوله:

(البحر المتقارب)

إليكم تَنَاهى العُلى والكلام	**ومنكم يُكسَبُ حُسنُ النظام**
وما زال مَجدُكم باهِراً	**يُقرّ بِذاكَ جميعُ الأنام**
فإن قُمتم أنتُمُ أنتُمُ	**وإن لم تقوموا فأنتم كِرام**
وَشُكري على ذا، وذا دائم	**ونَفسي تُحبكُمُ والسّلام[6]**

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص479.

(2) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص(240-242).

(3) الصفدي، الوافي، ج4، ص30؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص482.

(4) ابن عسكر؛ ابن خميس، أعلام، ص269.

(5) ابن الأبار، التكملة، ج3، ص34.

(6) ابن عسكر، وابن خميس، ص270.

ومنهم أيضاً حَمدةُ[1]ويقال حمدونة[2]، بنت زياد بن بقي العوفي المؤدب[3]، مــن قريــة قرية بادي من أعمال وادي آش[4]، شاعرة وأديبة، لُقبت بخنساءِ المغرب، وشــاعرةُ الأنــدلس، وعُرفت بجمالها وحُسن أخلاقها، أخــذ عنهــا أبــو القاسـم ابــن البــراق، وتوفيــت ســنة 600هـ/1203م[5]، ومن شعرها:

(البحر الوافر)

أبـــاح الـــدّمع أســـراري بـــوادي ... بـــه للحســـن آثـــار بـــوادي

ومـــن بـــين الظبـــاء مَهـــاةُ رمـــلٍ ... تبـــدت لـــي وقـــد مَلَكَـــت قِيـــادي

إذا سَـــــدلَت ذَوائِبهـــــا عليهـــــا ... رأيــت الصــبح أشــرقَ فــي البــوادي

تخـــالُ البـــدر مـــاتَ لـــه خليـــلُ ... فمـــن حُـــزن تَســـربَلَ بالحـــداد

لهـــا لحـــظُ تُرَقَـــدّهُ لأَمـــر ... وذاك الاَمـــرُ يمنَعُنـــي رُقـــادي[6]

وظهر كذلك عبدُ المنعم بن عمر بن عبدالله بن حسان الغساني، من أهل جليانة، يُكنّــى أبا الفضل، وأبا محمدٍ، وقد طاف وتنقل في بلد المشرق، ويعدّ عالماً، فاضلاً، حكيماً، وناثراً[7]، وناثراً[7]، بالإضافة إلى كونه طبيباً[8]، وقد روى عنه أبو عبدالله بن يحيى المرسي، وتوفي مــا ما يقارب سنة 603هـ/1207م[9]، ومن شعره:

(البحر الطويل)

ألا إنمـــا الـــدنيا بحـــار تلاطمـــت ... فمـــا أكثـــر الغرقـــى علـــى الجنَبـــات

---

(1) الحموي، معجم الأدباء، ج3، ص1211؛ ابن دحية، المطرب، ص11، الحاشيه رقم2؛ ابن الأبار، تحفة، ص234.

(2) الحموي، معجم الأدباء، ج3، ص1211؛ المقَّري، نفح، ج4، ص287.

(3) ابن الأبار، تحفة، ص234؛ المراكشي، الذيل، ج5، ص415.

(4) الحموي، معجم الأدباء، ج3، ص1211.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص1211.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص1212؛ ابن دحية، ص11

(7) ابن الأبار، التكملة، ج3، ص129؛ تحفة، ص128.

(8) ابن الأبار، تحفة، ص128.

(9) ابن الأبار، التكملة، ج3، ص129.

وأكثر من صاحبتُ يغرق إلفَه وقلّ فتى ينجي من الغمرات[1]

كما وبرز محمدٌ بن عبد الرحمن الواداشي، أصله من وادي آش، يُكنّى أبا عبد الله، ويُعرف بابن الكاتب، كان كاتباً وعالماً بالأدب واللغة والشعر، كما وكان له مشاركاتُ في الحساب والمساحة، وتوفي سنة 607هـ/1210م، ودُفن في بيته بالقرب من مسجد القاضي[2]، فضلاً عن إسماعيلَ بن عبد الدائم من شعراء وادي آش، كان مدّاحاً لأبي سعيد عبد المؤمن، أحد ملوك غرناطة[3]، ومن شعره:

(البحر الكامل)

السَعدُ يُدني كل شيء رمُتَهُ وبناؤه هيهاتَ أن يتهدّما

والجودُ يَجذِبُ كل مَن أَبصرتهُ لا تنكرن حَولَ الموارد حُوّما

لو تستجيزُ صَلاتنا وصيامنا صلّى إذن كلّ الأَنامِ وسَلّما[4]

وكذلك ناهضُ بن إدريس، الذي عُرف بمكانته العلمية، حيث يُعدّ من أشهر شعراء وادي آش في عصره[5]، كما وأورد ابنُ سعيد المغربي أنّه عاصر والده واجتمع به، وأضاف بأنّه كان كان مداحاً لناصرِ بنِ عبد المؤمن[6]، ومن شعره:

(البحر الكامل)

أَدنو إليكَ وأَنت مِنّي تبعُدُ وتنامُ والجفنُ القديحُ مُسهّدُ

وتطيلُ عُمر الوجد لامن عِلّةٍ والدارُ دانيةُ، ودهرك مُسعِدُ

هلا أختلستَ من الليالي فرصةً فالحمدُ يبقى، والليالي تَنفَذُ

وتقولُ لي مهما أتيتُ إلى غدٍ ياربّ كم يأتي بإخلافٍ غَدُ[7]

---

[1] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص129.

[2] المراكشي، الذيل، ج4، ص403.

[3] ابن سعيد، ج2، ص153.

[4] المصدر نفسه، ج2، ص153.

[5] المقَّري، نفح، ج1، ص470.

[6] ابن سعيد، ج2، ص145.

[7] المصدر نفسه، ج2، ص145.

وفي عصر بني الأحمر ظهر من الأدباء محمد بن عبد الرحمن المُتأهل، من أهل وادي آش، ويُعرف بعمامتي، عني أتمّ العناية في الأدب واللغو والشعر[1]، وتوفي بعد سنة 717ه/1317م[2]، ومن شعره:

(البحر الكامل)

خذها إليك طبر نشا	**شفّع بها وادي الأشا**
والأمّ تتبع بنتها	**والله يفعل مايشا[3]**

وظهر كذلك علي بن محمد بن علي بن البنا، من أهل وادي آش، ويُكنّى أبا الحسن، برع في الأدب والشعر واللغة. وتوفي في مدينة وادي آش في شعبان سنة 750هـ/1350م، إثر إصابته بمرض الطاعون وعمرهُ لم يبلغ الثلاثين[4]، ومن شعره قوله:

(البحر البسيط)

هو العُلا جرى باليُمن طايرُه	**فكان منك على الآمال ناصره**
ولو جرى بك ممتداً إلى أَمل	**لأَعجز الشمس مأمت عساكره**
لقد حباه منيع العِزّ خالقهُ	**بفاضل منك لا تُحصى مآثره**
فليَنزهُ فخرا فما خلق يعارضه	**ولا عُلا مدى الدنيا يُفاخره[5]**

كما ظهر في مدينة وادي آش العديد من الأدباء والشعراء مجهولي سنةَ الوفاة ومنهم زياد ابن خلف المنتاني، أصله من وادي آش، يُكنّى أبا الوفا، عُرف بحُسن سيرته، وبكرمه وأدبه[6]، ومن شعره قوله:

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص(477-478).

(2) المصدر نفسه، ج2، ص478.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص478.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص(167، 169).

(5) المصدر نفسه، ج4، ص167.

(6) ابن سعيد، ج2، ص152.

(البحر الطويل)

دعوني إذا ما الخيلُ جالت فإنّ لي ... هناك بسيفي جَيئة وذَهابُ

إذا المرءُ لم يسمح لدى الحرَب ساعةً ... بعيشتهِ فليُصغِ حين يُعاب

لـيَ اللهُ لم أَوردتُ طَرفي مَوارداً ... يُصيبُ لديها المرء حين يُصاب

أَقِلّوا علينا فالحياةُ خسيسة ... وعُمرُ الفتى دون العلاء خَرَاب

سيبلغ ذكرى الخافقين بَسَالةً ... وجوداً وإلا فالثناءُ كِذاب[1]

وكذلك طلحُة بن محمد بن عمرَ، أصله من وادي آش، ويُقال من سكانها، يُكنّى أبا محمدٍ، ويُعدّ قُطباً من أقطاب اللغة العربية، حيث برَعَ بالأدب والكتابة، وتتلمذ على يد الحجاج ابنِ الغربي، وسمع عنه محمدٌ بن عبد الله بن الحكم بن قَحطَبة[2]، وظهر أيضاً مُحاربُ بن محمد محمد بن مُحاربِ، يُكنّى أبو محمدٍ، أديباً وشاعراً، وله شعر يمدح فيه القاضيَ أبا الفضل عياضَ بنَ موسى ابن عياض، يقول فيه:

(البحر الوافر)

غَدا سَلِسَ القِياد فما يُراضُ ... وعَمّ جميعَ لمتهِ البياضُ

وأضحى القلب لا تُصبيه هِند ... ولا سَلمى ولا الحَدَقُ المِراضُ

ولا يُشجيه طيبُ نسيمِ نَجدٍ ... ولا تُسليه بالزهر الرّياض

وإن غَنى الحَمامُ بغُصنِ أيكٍ ... فمن عض الزّمانِ به عِضَاض[3]

وكذلك محمد بن أَزراق، يُكنّى بأبي بكرٍ، من سكان وادي آش، وكان حسن الشعر، نقي اللفظ، ومن شعره قوله:

(البحر السريع)

هل عَلِمَ الطائرُ في أَيكهِ ... بأَنّ قلبي للحمى طائرُ

---

[1] ابن سعيد، ج2، ص152.

[2] المراكشي، الذيل، ج2، ص157.

[3] ابن الأبار، تحفة، ص44.

ذكّرنـــــي عهـــدَ الصّـــبا شـــرودهُ وكـــــل صـــــبّ للصـــــبا ذاكـــــرُ
سَـــــقى عهـــوداً لهُـــم بــــالحِمى دَمعـــــاً لــــــه ذكــــرهُم نــــــاثرُ[1]

ثانياً: النواحي العمرانية

بَدت المصادر التاريخية فقيرةً فيما يتعلق بالنواحي العمرانية في مدينة وادي آش، ولـــم ترد فيها سوى إشارات قليلة، مع أنها كانت من المدن المأهولةِ والمهمة في بلاد الاندلس، فكمـــا أسلفنا سابقاً، فقد تمتعت بموقعٍ جغرافي متميزٍ، وارتادها السكان من كل الملل، فانعكس هذا على الأوضاع الحضاريةِ فيها؛ حيث انتشرت الشواهدُ العمرانيةُ وكان من أهمها القصباتُ؛ كقصـــبة وادي آش التي تم تشييدها من الحجارة[2]، وتقع غرب المدينة، في أعلـــى الربـــوة[3]، وتُقـــدر مساحتها بين ألفِ مترٍ وألفين وخمسِمئةِ مترٍ مربعٍ[4]، حيث تشرف أبراجُها على كافـــة أبـــراج المدينة، والظّاهر أنّها أعلى بناءٍ في المدينة، ويوجد بجانبها معهدٌ مخصـــصٌ للتعلـــيم الـــديني ومتصل بقنطرةٍ خاصةٍ؛ وهي عبارة عن بقايا قلعة أندلسية، تضمُّ برجاً كبيراً وبرجان صغيران في مواجهتها، يتصلان بسورٍ ذي مشارفَ عربيةٍ، بالإضافة إلى برج رابعٍ موجـــودٍ بموضـــعٍ منعزلٍ منها، وتم إزالة أطلالِها القديمة بترميمٍ حديث، كما بُني تمثالٌ لأحد القديسين فوق برجها الكبير، ولا يلاحظ على أطلالِها أيَّ نقوشٍ عربيةٍ، وعلى ما يبدو أنها اندثرت عَقِـــب عمليـــاتِ الترميم والطّلاء التي قام بها الإسبان، والجدير بالذكر أنّه لا تزال آثار هذه القصـــبة موجـــودة، على الرغم من كل المحاولات الهادفة إلى محو الطابع الإسلامي للمدينة[5].

ونظراً لأهمية موقعها الإستراتيجي باتت وادي آش مدينةً مأهولةً كثيراً بالسكان فكان لا بدّ من بناء المرافق العامة وأهمها حماماتها الكثيرة[6]، التي تعتبر من المباني المدنية المهمة في المدن الأندلسية، وهي ذاتُ طابعٍ معماريٍّ مميز، وتُعدّ من المرافق الأساسية لـــدى المســـلمين،

---

(1) ابن سعيد، المغرب، ج2، ص(28–29).
(2) مالدونادو، ج1، ص184.
(3) عنان، الآثار، ص216.
(4) مالدونادو، ج1، ص194.
(5) عنان، الآثار، ص216.
(6) الحميري، صفة، ص192.

لكون الإستحمام من العادات المتأصلة في الإسلام، الذي يدعو إلى النظافة والتطهر، لذلك انتشرت وبكثرة، وكانت تُبنى بالقرب من المساجد الجامعة، كي يتسنى للمصلين التطهر قبل الذهاب للمسجد، كما وتُعدّ مرفقاً من المرافق الاجتماعية؛ حيث استخدمت لجلساتِ اللهو والأنس لكلا الجنسين، فلا يكاد يخلو حيٌ من أحياء الأندلس من حمام[1].

ويتكون الحمّامُ الأندلسي التقليدي من ثلاثِ أو أربع قاعاتٍ مقببةٍ ذاتَ شكلٍ مستطيلٍ أو مربعٍ، وهذه القاعاتُ متداخلةٌ فيما بينها، وتتدرج فيها الحرارة من الباردة إلى الساخنة، فالقاعة الأولى تعرف ببيت المشلح، وفيها تُبَدَّلُ الثياب، ويليها قاعة تعرف بالبيت البارد، وهي ذاتُ حرارةٍ أعلى من حرارة القاعة السابقة، ثم ننتقل منها إلى قاعة البيت الوسطاني، وهي القاعة الأهمّ، حيث يعلوها قبةٌ مُحاطةٌ بأربعةِ ممراتٍ مقببةٍ يتخللها فتحاتٌ نجميةٌ تسمى مضاوي، صُمّمت خصيصاً لإدخال الضوء إلى الحمام، وفي القاعة الأخيرة التي تسمى بالبيت الساخن، ينتهي الحمّام، حيث ترتفع الحرارة فيها إلى أقصى درجاتها، ويوجد فيها أحواضٌ تُصب فيها المياه الساخنةُ والباردة، وفورَ الانتهاء من الاستحمام يخرج الشخص فيقابل درجاتِ حرارةٍ تأخذ بالانخفاض حتى الطريق[2].

ثالثاً: الحياة الاقتصادية

الزراعة

احتلت الزراعةُ مكانةً مهمة في شبه الجزيرة الإيبيرية قبل الفتح الإسلامي، ويعود ذلك إلى عهد الفينيقيين الذين تعلموا أساليبها وقاموا بزراعة بعض المحاصيل كالصنوبر والكروم والزيتون، واستمرّ ذلك في عهد الرومان حيث أقاموا قنواتٍ للمياه، وابتكروا نظام الرّيّ الذي ساعد على توسع الزراعة بشكل كبير[3]، أما في العصر الإسلامي فقد وصل الجانبُ الزراعي إلى ذروةِ مجدهِ، حيث اهتم المسلمون بموارد المياه، وأقاموا شبكةً من القنوات والجسور، كما

---

[1] بلباس، الأبنية، ص108.

[2] سالم، التخطيط، ص61.

[3] بيومي، التاريخ، ص245.

واستخدموا النواعير والدواليب، وعملوا على استصلاح كثيرٍ من الأراضي لأهداف زراعية[1]، وساعدهم في ذلك مجموعةٌ من المقومات حيث تتوفر في الأندلس، كمياه الرّيّ التي تعتبر من أهمّ المقومات لقيام الزراعة، وخصوبة التربة وتنوع أراضيها، حيث اشتهرت الأندلس بأراضيها الخضراء الواسعة، وتوفّر المناخ الملائم، حيث يتميز مناخ الأندلس بتفاوت درجات الحرارة[2].

وتعد مدينة وادي آش من المدن الأندلسية التي تتميز ببيئة نباتية غنية، حيث تحيط بها المزارعُ والحدائقُ والبساتينُ، فذكر ابنُ الخطيب "وادي آش كثيرة الجداول والمذانب، مخضرة الجوانب، إلى الفواكه الكثيرة والكروم الأثيرة"[3]، ووصفها الحميري بأنّها مدينة " كثيرة التوت والأعناب وأصناف الثمار والزيتون والقطن فيها كثير"[4]، وتعود هذه الوفرة لما يتوفر في المدينة من عواملَ مناسبة لنمو النباتات بشكل كبير، وتتمثل هذه العوامل في مناخها الملائم[5]، ووفرة مياهها حيث يخترق أراضيها العديدُ من الأنهار التي ساعدت في عملية ريّ المزروعات[6] وأهمها نهر وادي آش[7]، ونهر فردس[8]، بالإضافة إلى نهر حدرة الذي تصل مياههُ إلى مختلف أنحاء غرناطة[9]، وبتوفر المقومات المتكاملة آنفة الذكر، فاقت المدينة مثيلاتها مثيلاتها في بعض محاصيلها الزراعية.

وعرف أهلُها زراعةَ العديد من أنواع الخضار والحبوب والبقول والفواكه، ومن ذلك القمح الذي يُعد من أهم المحاصيل الزراعية، ويزرع في مناطق عديدة من الأندلس لاعتباره الغذاء الرئيس للسكان[10]، وتعتبر المدينة واحدةً من المدن التي تشتهر بزراعته[11]، كما ويمثل

---

[1] بيومي، ص245،
[2] المقَّري، نفح، ج1، ص(130-138).
[3] ابن الخطيب، معيار، ص112.
[4] الحميري، الروض، ص604.
[5] ابن الخطيب، معيار، ص112.
[6] الحميري، الروض، ص604.
[7] المصدر نفسه، ص604.
[8] ابن الخطيب، معيار، ص112.
[9] القلقشندي، صبح، ج5، ص215.
[10] البكر، ص128.
[11] عنان، الآثار، ص216.

الذرة مصدر غذاءٍ أساسي لطبقاتِ المجتمع الفقيرة في مملكة غرناطة، وقد انتشرت زراعته بشكل كبير في مدينة وادي آش وغيرِها من المدن الجنوبية [1]، ويعدّ الكتانُ من المحاصيل الزراعية المهمة في الأندلس[2]، وتكثر زراعته في منطقة كورة إلبيرة[3]، ووادي آش التي فاقت فاقت في زراعته غيرَها من المدن[4]، ويأتي بعد ذلك القطن الذي يعتبر من أهم المحاصيل الزراعية التي أدخلها المسلمون إلى الأندلس[5]، وتعدّ مدينة وادي آش من المدن التي اشتهرت بزراعته[6].

ويعدّ الزيتونُ من الأغذية الأساسية المهمة في الأندلس، لهذا انتشرت زراعته في أكثر بلاد الأندلس وخاصةً في أراضي وادي آش[7]، وكذلك التين الذي اشتهرت غرناطة بزراعته، ووصف بجودته فقد كان يصدّر منه إلى جميع البلاد، ووادي آش من أهمّ مناطقَ زراعته[8].

كما واشتهرت بزراعة العنب(الكروم)[9]، حيث يُعتبر من المحاصيل المهمة في عموم الأندلس[10]، وتنتشر زراعة التفاح بكثرة في غرناطة[11] وبالأخصِ في أراضي حصن جليانة – التابع لوادي آش – الذي يُنسب إليه التفاح الجلياني الذي "يجمع عظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء"[12]، أما القراصية (حب الملوك) فتنتشر زراعتها في الأندلس بنوعيها الأسود والأحمر، وتكثر زراعتها في المناطق الباردة، ووادي آش واحدةٌ من المدن التي اهتمت بزراعتها[13]، بالإضافة إلى الكمثرى[1] واللوز[2]، والتوت حيث تعدّ شجرةَ

---

(1) وناس، ص122.

(2) البكر، ص137.

(3) ابن سعيد، ج2، ص91.

(4) رحيم، ص128.

(5) أبو مصطفى، ص125.

(6) الحميري، الروض، ص604؛ انظر أيضاً: الطوخي، ص300.

(7) الحميري، الروض، ص604؛ انظر أيضاً: وناس، ص126.

(8) وناس، ص125.

(9) ابن الخطيب، معيار، ص112؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص215؛ الحميري، الروض، ص604.

(10) رحيم، ص124.

(11) القلقشندي، صبح، ج5، ص216.

(12) المقَّري، نفح، ج1، ص149.

(13) وناس، ص128.

التوت من أهم المحاصيلِ الزراعية ذاتَ المردود الاقتصادي الكبير، إذ يُستفاد منها في تربية دودة القز التي تنتج الحرير[3]، وتعتبر وادي آش من أكثر المدن التي تشتهر بزراعتها[4]، كما واشتهرت بزراعة أشجار الشاهبلوط حيث كان يستفاد من ثمارها وأخشابها[5].

الصناعة

عُدَّت الأندلس من البلاد المتقدّمة صناعياً، ولكون وادي آش مدينة من مدن الأندلس فإنّها لم تكن بعيدةً عن هذا التقدّم، حيث رافق الفتح الإسلامي للمنطقة جملة من القبائل العربية والبربرية، فمن المرجّح أن تكون مليئةً بأعدادٍ من المزارعين والصناع والحرفيين[6]، فقد راجت فيها العديد من الصناعات التي اعتمدت في أغلبها على المنتجات الزراعية[7]، ومما ساهم في تقدمها الصناعي وفرة المنتجات الزراعية، وتوفر الأيدي العاملة، ومعدنِ الحديد[8].

وإلى جانب ذلك كان لسقوط وادي آش المتأخر سنة 895هـ/1489م أثرٌ في توفر الأيدي العاملة وذلك نتيجةَ ارتفاعِ وتيرةِ الأعدادِ القادمةِ من مدن الأندلس التي سقطت قبلها، وأغلب الظنّ أنّ هؤلاء عمل غالبيتهم في النشاط الاقتصادي سواء الزراعة أو الصناعة أو التجارة، ومن العوامل الهامة التي ساعدت على قيام الصناعة في وادي آش توفرُ الأسواق التي يحتشد فيها الباعةُ والتجار، ويتمُ فيها تصريف المنتجات الصناعية، كما يرجّح أنّه كان هناك أسواقٌ في أحيائها كغيرها من المدن، ومما يدلّل على ذلك قول المؤرخ محمد عبدالله عنان "وبها متاجرُ وأسواق حسنة"[9].

---

(1) المرجع نفسه، ص128.

(2) فرحات، ص120.

(3) الزغلول، الحرف، ص25.

(4) الحميري، صفة، ص143.

(5) أبو مصطفى، ص170.

(6) البكر، ص34.

(7) ابن الخطيب، معيار، ص112.

(8) عنان، الآثار، ص216؛ الطوخي، ص303.

(9) عنان، الآثار، ص216.

على الرّغم من عدم وجود أيّ معلوماتٍ تؤكد وجود صناعة استخراج زيت الزيتون، إلّا إنّه من البديهي أن تكون واحدةً من المدن المنتجة لزيت الزيتون، حيث يعد الزيتون من أكثر المزروعات التي ملأت أرجاء وادي آش والمناطق المجاورة لها، وكذلك يمكن أن يكون سكانُ وادي آش قد صنعوا الصابون[1]، كما وعرفوا صناعة النبيذ، حيث امتلأت وادي آش بالكروم، وذاع صيتُها بهذا المجال[2]، وإلى جانب صناعة النبيذ برزت في وادي آش صناعة طحن الحبوب التي تعتبر من الصناعات الرائجة في ذلك الوقت، وتتم الصناعة بوساطة طواحينَ مثبتةٍ على جنبات الأنهار، وتعتبر وادي آش واحدةً من المدن التي احتوت على عددٍ كبيرٍ من الطواحين[3].

كما برزت فيها صناعة المنسوجات، حيث تميّزت بصناعة نوع من الحرير المفضّل لدى نساء الطبقة الراقية[4]، وكذلك برع أهلُ المدينة بنسج الثياب المصنوعة من الكتان[5] وحياكتها. كما عُرفت وادي آش بكثرة مناجمِ استخراج الحديد[6]، وذلك لتوفر معدنِ الحديد بشكلِ بشكلِ كبيرِ فيها[7]، حيث يدخل في كثيرٍ من الصناعات، مثل صناعةِ الأسلحةِ والأدوات المنزلية المنزلية وغيرها من الصناعات[8]، واشتهرت كذلك بصناعة الكحول اللازمة لصناعة العقاقيرِ الطبية[9]، وإلى جانب هذه الصناعاتِ اشتهرت المدينة بصناعة السكر والأبسطة[10]، لكن المصادر لم تسعفنا كثيراً لتكوين رؤية واضحة عنها.

التجارة

---

(1) الحميري، الروض، ص604؛ أنظر أيضاً: رحيم، ص(131-132).

(2) عنان، الآثار، ص216.

(3) وناس، ص160.

(4) المرجع نفسه، ص147؛ الطوخي، ص306.

(5) وناس، ص147.

(6) المرجع نفسه ص170.

(7) عنان، الآثار، ص216؛ الطوخي، ص303.

(8) وناس، ص170.

(9) المرجع نفسه، ص172.

(10) عنان، الآثار، ص216.

يعرّف ابنُ خلدون التجارة بأنها "محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرّخص وبيعها بالغلاء أياً ما كانت السلعة من دقيقٍ أو زرعٍ أو حيوانٍ أو قماشٍ"[1]، وقد اعتمدت التجارة التجارة في وادي آش على منتجاتها الزراعية والصناعية، حيث أنّ النشاط التجاري يتناسب طردياً مع الزراعة والصناعة في أي مدينة، ويعد ذلك أمراً طبيعياً، لترابط عناصر النشاط الاقتصادي مع بعضها بعضاً، واعتمدت وادي آش على التجارة الداخلية بينها وبين باقي المدن الأندلسية، وبالأخص غرناطة، فقد كانت وادي آش تابعةً لها وقريبة من موقعها، مما ساهم في تنمية العلاقات التجارية بينهما[2].

كما ترتبط وادي آش بشبكةِ طرق تصل بينها وبين المدن الأخرى، ومن هذه الطرق طريق يبدأ ببسطة وينتهي بوادي آش، وطريق آخر يبدأ من قرطبة إلى مرسية ماراً بجيان ووادي آش[3]، ولا بدّ أنّ هذه الطرق ساعدت في دعم أسواق المدينة بالمنتجات الزراعية والصناعات المختلفة، كما ساهمت بتنشيط حركة التجارة بينها وبين المدن الأخرى، ومما لا شكّ فيه أنّ بضائعَ المناطق الجنوبية كالموز والعسل وقصب السكر والتين المالقي، كانت تنقل عبر وادي آش إلى مختلف أنحاء الأندلس.

---

(1) ابن خلدون، مقدمة، ج2، ص83.

(2) رحيم، ص135.

(3) الادريسي، مج2، ص568.

نتائج الدراسة

أظهرت هذه الدِّراسة مدى أهمية مدينة وادي آش في تاريخ المنطقة الجنوبية الشـرقية من الأندلس، إذ تميزت بموقعها الجغرافي الهام، حيث تتربَّع على الضفة الغربيـة لنهـر وادي آش، ولم تتطرق المصادر التّاريخية إلى فتحها، ويمكن الاستنتاج أنه بما أنها واحدة من أهم مدن إلبيرة؛ فيُرجَّح أنّ فاتحها هو طارق بن زياد، فاتح تلك المنطقة، وكما يتبيّن من الدِّراسة تنـوع العناصر السُّكانية التي استوطنتها خلال العصر الأندلسي، لتشمل خليطاً من العـرب والبربـر واليهود والمولَّدين والمستعربين.

لعبت مدينة وادي آش دوراً سياسياً لافتاً خلال العديد من مراحل التاريخ الأندلسي، فكان لها أهمية بالغة في أحداث الأندلس الداخلية والخارجية، كما كانت مركـزاً لحركـات التمـرد والعصيان التي انطلقت منها لتصل عدّة مدن، وأظهرت الدراسة أن مدينـة وادي آش حافظـت على بقائها على امتداد العصور الإسلامية، فكانت من أواخر المدن التي سقطت بيد الإسبان.

وكشفت الدراسة عن الدور الذي لعبته هذه المدينة منذ أن انتثر عقـد دولـة الخلافـة الأموية، وقيام دويلات الطوائف، ودولة المرابطين، والموحدين، وصولاً إلى دولة بني الأحمر، وألقت الضوء على أهم الحكام المتعاقبين عليها، وقد تبين من خلال الدراسة أنها كانت مركـزاً من مراكز الثورة في كثير من الأحيان؛ مما أسهم إضعاف الجبهة الداخلية الأندلسية في مواجهة العدوان الإسباني.

كما أبرزت هذه الدراسة الروابط السياسية والحضارية بين كل من وادي آش وغرناطة، مما أثَّر على مجرى الأحداث في مدينة وادي آش التي تبعتها في معظم مراحلها التاريخيـة، إذ شهدت المدينة فترات مختلفة من الاستقرار وفترات أخرى مـن الاضـطراب، وكـان لمدينـة غرناطة دور في ذلك.

وكشفت الدراسة عن أهم ما تميزت به مدينة وادي آش من ثروة حضارية سـواء مـن الناحية العلمية أو العمرانية أو الاقتصادية منذ العصر المرابطي، وأصبحت بعد ذلك منارة للعلم

في شتى المجالات، ولم تقتصر أهميتها على تقدمها العلمي فقط، وإنما كانت لها أهمية عمرانية؛ إذ تعتبر آثارها من أهم مكوّنات التراث الأندلسي الحضاري، حيث شملت المدينة على قصبة؛ أسهمت في حمايتها والدفاع عنها، وربما هذا ما يفسر سبب تأخر سقوطها، ومن ناحية أخرى اشتملت المدينة على مسجد جامع كان يتوسطها، حوَّله الإسبان إلى كنيسة، بالإضافة إلى حمامات عديدة.

كما كان للمدينة أهمية اقتصادية، نظراً لاتّساع أراضيها الصالحة للزراعة، وتوفر المياه اللازمة التي ساعدت على قيام الزراعة بشكل موسع فيها، وتنوع مزروعاتها، وقيام العديد من الصناعات المعتمدة عليها، وكذلك انتعاش التجارة الداخلية بها؛ حيث ارتبطت بالمناطق المجاورة لها بخطوط برّيّة ساهمت في تنميه العلاقات التجارية بينها وبين المدن الأخرى.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- ابن الأبار، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي(ت:658هـ/1260م): **التكملة لكتاب الصلة**، 4أجزاء، تحقيق: عبد السلام الهراس، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، 1995م.

  تحفة القادم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.

  الحلة السيراء، جزءان، تحقيق: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

  ديوان ابن الأبار، تحقيق: عبد السلام الهرّاس، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، 1999م.

- ابن الأثير، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم الجزري(ت:630هـ/1233م): **الكامل في التاريخ**، 11 جزء، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

- إسماعيل بن إبراهيم بن أمير المؤمنين(ت:1237هـ/1822م): **تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط من خلال مخطوط تاريخ الأندلس**، تحقيق: أنور محمود زناتي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007م.

- ابن بسام، أبو الحسن، علي بن بسام(ت:542هـ/1148م): **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، 4أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، دار الثقافة، بيروت، 1997م.

- ابن بشكوال، أبو القاسم، خلف بن عبد الملك(ت:578هـ/1183م): **الصلة**، 3أجزاء، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.

- البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم(ت:1339هـ/1921م): **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، جزءان، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1951م، 1955م.

- البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز(ت:487هـ/1094م): **المسالك والممالك**، جزءان، تحقيق: جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

- ابن بلقين، أبو محمد، عبد الله بن بلقين(ت: 483هـ/1090م): **مذكرات الأمير عبد الله المسمّاة بكتاب التبيان**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م.

- البيذق، أبو بكر، علي الصنهاجي(ت: 555هـ/1160م): **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، (د.ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

- التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه(ت: 1036هـ/1627م): **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، تقديم: عبد الحميد الهرامة، ط2، دار الكتاب، طرابلس، 2000م.

- ابن جابر الوادي آشي، أبو عبد الله، محمد بن جابر بن محمد(ت:694هـ/1295م): **برنامج ابن جابر الوادي آشي**، تحقيق: محمد الحبيب الهيله، (د.ط)، (د.ن)، تونس، 1981م.

- ابن الجزري، أبو الخير، شمس الدين محمد بن محمد(ت:833هـ/1430م): **غاية النهاية في طبقات القراء**، جزءان، تحقيق: ج.برجستراسر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، أحمد بن علي(ت:852هـ/1448م): **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**،4 أجزاء، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

- ابن حزم، أبو محمد، علي بن سعيد الأندلسي(ت: 456هـ/1064م): **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: ليفي بروفنسال، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

- الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين بن ياقوت(ت: 626هـ/1228م): **معجم الأدباء**، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب،7 أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.

معجم البلدان، 5 مجلدات، (د.ط)، دار صادر، بيروت، 1977م.

- الحميدي، أبي عبد الله، محمد بن فتوح(ت:488هـ/1095م): **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق: بشار معروف ومحمد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م.

- الحميري، أبو عبد الله، محمد بن عبد المنعم(ت:900هـ/1495م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.

صفة جزيرة الأندلس، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت، 1988م.

- ابن حوقل، أبو القاسم، محمد بن علي النصيبي(ت:367هـ/977م): **المسالك والممالك**، (د.ط)، مطبعة بريل، ليدن، 1873م.

- ابن خاقان، أبو نصر، الفتح بن محمد القيسي الإشبيلي(ت:529هـ/1135م): **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس**، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1983م.

- ابن خلدون، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد(ت:808هـ/1406م): **مقدمة ابن خلدون**، جزءان، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط1، (د.ن)، (د.م)، 2004م.

تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، 7 أجزاء، تحقيق ومراجعة: سهيل زكار وخليل شحادة، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، 2000م.

- ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين أحمد(ت:681هـ/1283م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، 7 أجزاء، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- ابن الخطيب، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله(ت:776هـ/1374م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، 4 أجزاء، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م.

اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: محب الدين الخطيب، (د.ط)، المطبعة السلفية، القاهرة، 1929م.

معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق: محمد كمال شبانة، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983م.

خطرة الطيف رحلات في المغرب والأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، دار الفارس، عمان، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 2003م.

نفاضة الجراب في عُلالة الاغتراب، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، (د.ط)، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، (د.ت).

كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق: محمد كمال شبانة، (د.ط)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، جزءان، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط1، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1981م.

رقم الحلل في نظم الدول، (د.ط)، المطبعة العمومية بحاضرة تونس المحمية، تونس، 1802م.

- ابن دحية، أبو خطاب، عمر بن حسن(ت:633هـ/1236م): **المطرب من أشعار أهل المغرب**، (د.ط)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، وحامد عبد المجيد، دار العلم للجميع، بيروت، (د.ت).

- الذهبي، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن أحمد(ت:748هـ/1348م): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 53جزء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م.

- الرشاطي، أبو محمد(ت:543هـ/1147م)، وابن الخراط الإشبيلي(ت:581هـ/1186م): **الأندلس في اقتباس الأنوار**، تحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، (د.ط)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1990م.

- ابن أبي زرع، أبو الحسن، علي الفاسي(ت:726هـ/1326م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، (د.ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

- الزهري، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر(ت: بعد549هـ/1154م): **كتاب الجغرافية**، تحقيق: محمد حاج صادق، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

- ابن السائب الكلبي، أبو المنذر، هشام بن محمد (ت:204هـ/820م): **نسب معد واليمن الكبير**، جزءان، تحقيق: ناجي حسن، ط1، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1988م.

- ابن سعيد المغربي، أبو الحسن، علي بن موسى(ت:685هـ/1286م): **المغرب في حلى المغرب**، جزءان، تحقيق: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، 2009م.

- السيوطي، جلال الدين، محمد بن عبد الرحمن(ت:911هـ/1505م): **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جزءان، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، مطبعة عيسى الحلبي، (د.م)، 1965م.

- ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت:764هـ/1363م): **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق: إحسان عباس، 5 مجلدات، (د.ط)، دار صادر، بيروت، 1973م.

- ابن الشماع، ابو عبد الله، محمد بن أحمد(ت:861هـ/1457م): **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، (د. ط)، الدار العربية للكتاب، (د. م)، 1984م.

- شيخ الربوة، أبو عبد الله، شمس الدين بن محمد الأنصاري(ت: 727هـ/1327م): **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، (د.ط)، (د.م)، (د.ت).

- ابن صاحب الصلاة، أبو مروان، عبد الملك(ت:594هـ/1198م): **المن بالامامة: تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

- الصفدي، أبو الصفاء، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت:764هـ/1363م): **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، 29 جزء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م.

أعيان العصر وأعوان النصر، 6 أجزاء، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، ط1، دار الفكر، دمشق، 1998م.

- الضّبي، أبو جعفر، أحمد بن يحيى(ت:599هـ/1203م): **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، (د.ط)، دار الكاتب العربي، (د.م)، 1967م.

- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير(ت:310هـ/923م): **تاريخ الرسل والملوك**، 11 جزء، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

- ابن عاصم الغرناطي، أبو يحيى، محمد (ت:857هـ/1453م): **جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى**، 3أجزاء، تحقيق: صلاح جرار، (د.ط)، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، 1989م.

- ابن عبد البر، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي(ت:463هـ/1071م): **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومَن أول من تكلم بالعربية من الأمم**، (د.ط)، مطبعة السعادة، القاهرة، 1350هـ.

- ابن عبد الحكم، أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله المصري(ت:257هـ/871م): **فتوح مصر وأخبارها**، جزءان، تحقيق: محمد صبيح، (د.ط)، (د.م)، (د.ت).

- عبد الواحد المراكشي، محيي الدين، عبد الواحد بن علي التميمي(ت:647هـ/1250م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م.

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، 6أجزاء، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م.

- ابن عذارى، أبو العباس، أحمد بن محمد(ت:712هـ/1312م): **البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، 4 أجزاء، تحقيق: ج.س. كولان وليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

- العذري، أحمد بن عمر بن أنس(ت:478هـ/1085م): **نصوص عن الأندلس**، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، (د.ط)، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، (د.ت).

- ابن عسكر، أبو عبد الله، محمد بن علي(ت:636هـ/1239م)؛ ابن خميس، أبو بكر، محمد بن محمد ابن علي(ت:639هـ/1242م): **أعلام مالقة**، تحقيق: عبد المرابط الترغي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الأمان، الرباط، 1999م.

- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد(ت:1098هـ/1678م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 10أجزاء، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1986م.

- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد(ت:799هـ/1397م): **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، جزءان، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور،(د.ط)، دار التراث، القاهرة، (د.ت).

- ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف الأسدي(ت:403هـ/1013م): **تاريخ علماء الأندلس**، مجلدان، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984م.

- أبو الفدا، عماد الدين، إسماعيل بن محمد بن عمر(ت:732هـ/1332م): **المختصر في أخبار البشر**، 4أجزاء، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، (د.ت).

- ابن فضل الله العمري، أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن يحيى(ت:749هـ/1384م): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، 27جزء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

- ابن القاضي المكناسي، ابو العباس، أحمد بن محمد(ت:1025هـ/1616م): **جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، (د. ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.

ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، 3أجزاء، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، ط1، مكتبة دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، 1971م.

- القزويني، أبو عبد الله، زكريا بن محمد بن محمود(ت:682هـ/1231م): **آثار البلاد وأخبار العباد**، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- القلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي(ت:821هـ/1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 4أجزاء، (د.ط)، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م.

قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980م.

- ابن القوطية، أبو بكر، محمد بن عمر بن عبد العزيز(ت:397هـ/977م): **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأيباري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.

- ابن الكردبوس، أبو مروان، عبد الملك بن القاسم التوزري(ت:580هـ/1184م): **تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط**، تحقيق: أحمد مختار العبادي، (د.ط)، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م.

- المحبي، محمد أمين بن فضل الله(ت:1111هـ/1699م): **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، 4 مجلدات، تحقيق: آدم الرومي وآخرون، (د.ط)، المطبعة الوهيبة، (د.م)، 1867م.

- المرتضى الزبيدي، أبو الفيض، محمد مرتضى الحسيني(ت:1205هـ/1790م): **تاج العروس من جواهر القاموس**، 40جزء، تحقيق: عبد العليم الطحاوي وعبد الستار فراج، ط2، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1974م.

- المقَّري، أبو العباس، أحمد بن محمد التلمساني(ت:1041هـ/1632م): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، 8 أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، (د. ط)، دار صادر، بيروت، (د. ت).

رحلة إلى المغرب والمشرق، تحقيق: محمد بن معمر، (د.ط)، منشورات مخبر لمخطوطات الحضارة الإسلامية، (د. م)، 2004م.

أزهار الرياض في أخبار عياض، 5 أجزاء، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وآخرون، (د.ط)، مطبعة لجنة التأليف والترجة، القاهرة، 1939م.

- مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم**، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.

- مؤلف مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م.

- مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

- مؤلف مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق: لويس مولينا، (د.ط)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1983م.

- مؤلف مجهول: **مفاخر البربر**، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005م.

- مؤلف مجهول: **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، تحقيق: الفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد،2002م.

- الناصري، أبو العباس، أحمد بن خالد(ت: 1315هـ/1897م): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، 9 أجزاء، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، (د. ط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م.

- النباهي، أبو الحسن، علي بن عبد الله(ت: بعد792هـ/1390م): **تاريخ قضاة الأندلس(المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)**، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م.

- ابن وردان، **تاريخ مملكة الأغالبة**، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مـدبولي، القاهرة، 1988م.

- الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي(ت:961هـ/1554م): **وصـف إفريقيـا**، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ت).

ثانياً: المراجع

- أرسلان، شكيب، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، 3أجزاء، (د.ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

خلاصة تاريخ الأندلس، (د.ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983م.

خاتمة تاريخ العرب في الأندلس، تحقيق: سعيد إبراهيم، ط1، مكتبة النافذة، الجيزة، 2011م

- أشباخ، يوسف، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، جزءان، تحقيق: محمد عبـد الله عنان، (د.ط)، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014م.

- ايرفنغ، واشنطن، **أخبار سقوط غرناطة**، ترجمة: هاني يحيى نصري، ط1، مؤسسة الأنتشار العربي، بيروت، 2000م.

- بالنثيا، أنخل، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، (د.ط)، مكتبة الثقافـة الدينيـة، القاهرة، 1955م.

- البتنوني، محمد لبيب، **رحلة الأندلس**، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014م.

- بروفنسال، ليفي، **تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافـة القرطبيـة(711-1031م)**، ترجمة: علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، ط3، المجلـس الأعلـى للثقافـة، (د.م)، 2000م.

- بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 2001م.

- البكر، خالد بن عبد الكريم، **النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة 138-316هـ/755-928م**، ط1، مطبوعات مكتبة عبد العزيز، الرياض، 1993م.

- بلباس، توريس، **الأبنية الإسبانية الإسلامية**، ترجمة: علية إبراهيم العناني، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الأول، مدريد، 1953م، ص108.

- بوفلاقة، محمد سيف، **التاريخي والأدبي في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب**، (د. ط)، دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، (د. ت).

- الجبالي، خالد، **الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة(92-422هـ)**، (د.ط)، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت).

- الحايك، سيمون، **عبد الرحمن الأوسط**، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

- حتاملة، محمد عبده، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، دراسة شاملة**، (د.ط)، مطابع الدستور التجارية، عمان، 2000م.

أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، (د.ط)، وزارة الثقافة، عمان، 1996م.

- الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة(92-897هـ/711-1492م)**، ط2، دار القلم، دمشق، بيروت، 1981م.

- الحريري، نسيبة، **المقاييس والمقادير عند العرب**، (د.ط)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، (د.ت).

- حسن، حسن علي، **الحضارة الإسلامية في الأندلس عصر المرابطين والموحدين**، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م.

- حسن، محمد عبد الغني، **الشريف الإدريسي أشهر جغرافيي العرب والإسلام**، (د.ط)، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1971م.

المقَّري صاحب نفح الطيب، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د،ت).

- حميدة، عبد الرحمن، **أعلام الجغرافيين العرب**، ط1، دار الفكر، دمشق، 1995م.

- خطاب، محمود شيت، **قادة فتح الأندلس**، جزءان، ط1، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، منار للنشر والتوزيع، دمشق، 2003م.

- الخطيب، نبيل، **لسان الدين بن الخطيب(713-776هـ/1313-1374م)**، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 2013م.

- الذنون، عبد الحكيم، **افاق غرناطة**، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1988م.

- أبو رميلة، هشام، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ط1، دار الفرقان، عمان، 1984م.

- الزركلي، خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، 8 أجزاء، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.

- الزيري، مصعب، **الصليبيون في بلاد الشام**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2014م.

- سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة**، دار المعارف، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999م.

تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، (د.ط)، 1948م.

التخطيط ومظاهر العمران في العصور الإسلامية الوسطى، مجلة المجلة، العـــدد9، 1957م.

- السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2000م.

- السرجاني، راغب، **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، جزءان، ط1، مؤسسة اقرأ للنشـــر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2011م

- شبانة، محمد كمال، **يوسف الأول ابن الأحمر سُلطان غرناطة**، ط1، مكتبة الثقافـــة الدينيـــة، القاهرة، 2004م.

- الطوخي، أحمد محمد، **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1997م.

- طويل، مريم، **مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر(403-483هـــ/1012-1090م)**، ط1، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح، ط1، مكتبة الوحدة العربيـــة، الـــدار البيضاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ص37.

- طه، عبد الواحد، **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأنـــدلس**، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م.

- عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، (د.ط)، دار النهضة العربيـــة للطباعـــة والنشر، بيروت، 1976م.

- العامري، محمد بشير، **مظاهر الإبداع الحضاري في التاريخ الأندلسي**، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2012م.

- العبادي، أحمد، **في تاريخ المغرب والأندلس**، (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، (د.ت).

- عنان، محمد، **دولة الإسلام في الأندلس**، 4 أجزاء، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1970م.

الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ط2، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1997م

- عيسى، محمد عبد الحميد، **تاريخ التعليم في الأندلس**، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982م.

- فرحات، يوسف، **غرناطة في ظل بني الأحمر**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1993م.

- أبو الفضل، محمد، **تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها(344-484هـ/955-1091م)**، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، (د.ط)، 1981م.

- الفلاحي، حامد حسين، **التاريخ الأندلسي الميسر من الفتح إلى سقوط غرناطة**، جزءان، (د.ط)، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، اربد، 2003م.

- الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير(ت:1382هـ/1962م): **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم التراجم والمشيخات والمسلسلات**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980م.

- الكتاني، علي المنتصر، **انبعاث الإسلام في الأندلس**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

- كحالة، عمر، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، 4 أجزاء، (د.ط)، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1957م.

- كُحيلة، عبادة، **تاريخ النصارى في الأندلس**، ط1، (د.ن)، القاهرة، 1993م.

- لوثينا، لويس سيكودي، **الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء**، ترجمة: عدنان محمد آل طعمه، ط1، مطبعة الشام، دمشق، 1992م.

- مالدونادو، باسيليو بابون، **العمارة في الأندلس**، جزءان، ترجمة: علي إبراهيم منوفي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م.

- محمود، حسن، **قيام دولة المرابطين**، (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت).

- مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ط1، جزءان، تحقيق: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

- مصطفى، شاكر، **الأندلس في التاريخ**، (د.ط)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990م.

- أبو مصطفى، كمال السيد، **تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين**، (د.ط)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، (د.ت).

- مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، (د.ط)، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1992م.

رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، ط2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، 1985م.

فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية(711-756م)، ط1، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002م.

- نصر الله، سعدون عباس، **دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي (172-223هـ/788-835م)**، ط1، دار النهضة، بيروت، 1987م.

- نويهض، عادل، **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1988م.

معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980م.

- الهرمي، سلامة، **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين دراسة سياسية وحضارية**، دار الندوة الجديدة، بيروت، (د.ط)، 1985م.
- هنِتس، فالتر، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمة: كامل العسلي، (د.ط)، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1970م.
- وناس، زمان عبيد، **النشاط الاقتصادي في سلطنة غرناطة(635-897هـ/1238-1492م)**، ط1، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، مؤسسة دار الصادق الثقافية، الحلة، 2012م.

ثالثاً: الرسائل الجامعية غير المنشورة

- ابتسام، حميدي، **أبو العباس أحمد المقري(1041هـ/1632م)**، مذكرة تخرج لنيل درجة الليسانس، جامعة مولاي الطاهر، الجزائر، 2017م.
- اشتيوي، أشرف، **الأندلس في عصر الولاة(91-138هـ/711-756م)**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2004م.
- بريرج، فتحي، **العلاقات السياسية والإقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب اوروبا في الفترة(7-10هـ/13-16م)**، (رسالة دكتوراة غير منشورة)، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014م.
- بيومي، عبير، **التاريخ السياسي والحضاري لمدينة دانيه الأندلسية منذ سقوط الدولة العامرية حتى استيلاء الأرغونيين عليها سنة 621هـ/1344م**، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة طنطا، طنطا،2000م.
- جرار، ماهر زهير، **ابن الأبار الأندلسي الأديب(595-658هـ/1198-1259م)**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الأميركية، بيروت، 1983م.

- حسن، عامر، **دولة بني مرين تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003م.

- الدليمي، انتصار، **التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة(300-366هـ/912-976م)**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الموصل، العراق، 2005م.

- رحيم، آلاء، **مدينة وادي آش الأندلسية دراسة في أحوالها العامة (92-895هـ/711-1490م)**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية البصرة للبنات، جامعة البصرة، العراق، 2018م.

- الزغلول، جهاد غالب مصطفى، **الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الأردنية، عمان، 1994م.

- سبع، منال، **ابن الأبار ومنهجه في كتاب التكملة لكتاب الصلة(595-658هـ/1199-1260م)** (مذكرة ماجستير غير منشورة)، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، 2019م.

- شلح، رائدة علي، **المظاهر الحضارية في المشرق الإسلامي في كتاب نزهة المشتاق للإدريسي(493-560هـ/1100-1164م) دراسة تاريخية منهجية**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2018م.

- طريفة، حميد، **ابن الأبار القضاعي ومدائحه في البلاط الحفصي، دراسة موضوعية فنية**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2010م.

- عبد القادر، بوحسون، **الأندلس في عهد بني الأحمر دراسة تاريخية وثقافية(635-897هـ/1238-1492م)**، (رسالة دكتوراة غير منشورة)، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2012-2013م.

- عبد القهار، عبده، **علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية(635-897م)**، (رسالة دكتوراة غير منشورة)، جامعة ام القرى، السعودية، 1998م.

- نبيل، بوكرموش، **الأساليب البلاغية في نفح الطيب للمقَّري(ت:1041هـ)**، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بن بو علي، الجزائر، 2008م.

رابعاً: الأبحاث المنشورة

- التويجري، نورة بنت محمد عبد العزيز، ***السمات الشخصية للأمير عبد الله بن بلقين(469-483هـ/1077-1090م) من خلال كتابه التبيان***، **مجلة جامعة الملك سعود**، جامعة الملك سعود، الرياض، المجلد الثاني عشر، 2000م.

- سعيد، صباح، **الحياة العلمية في مدينة وادي آش الأندلسية**، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، العراق، عدد24، حزيران، 2018م.

- شيخة، جمعة، **ابن الأبار**، **مجلة دراسات أندلسية**، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، العدد2، 1989م.

- الطيف، جاسم؛ جميل، قتيبة، ***بني أشقيلولة ودورهم السياسي في مملكة غرناطة(635-701هـ/1238-1301م)***، **مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية**، جامعة سامراء، سامراء، العراق، المجلد الثالث، العدد الخامس، 2016م.

- العاني، رياض، ***الأحوال في مملكة غرناطة (635-897هـ/1237-1492م)***، **مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية**، الجامعة الاسلامية، العراق، المجلد17، العدد9، 2010م.

- عبد الرحيم، رائد مصطفى، ***دراسة في سيرة الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيري في غرناطة***، **مجلة المنارة للبحوث والدراسات**، جامعة آل البيت، المفرق، المجلد العاشر، العدد الخامس، 2004م.

- اللافي، عطية محمد، **ثورة عمر بن حفصون وآثارها على الدولة الأموية في بلاد الأندلس**، جامعة المرقب، ليبيا، العدد23، 2011م.

- لراوي، العلمي، **ابن الأبار بين التأليف والإبداع**، جامعة منتوري، قسطنطية، الجزائر، عدد13، 2000م.

خامساً: الموسوعات

- البستاني، بطرس، **دائرة المعارف**، 11جزء، (د.ط)، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

- حتاملة، محمد عبده، **موسوعة الديار الأندلسية**، جزءان، ط1، المكتبة الوطنية، عمان، 1999م.

- الطيب، محمد سليمان، **موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية**، 3 مجلدات، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م.

الخرائط

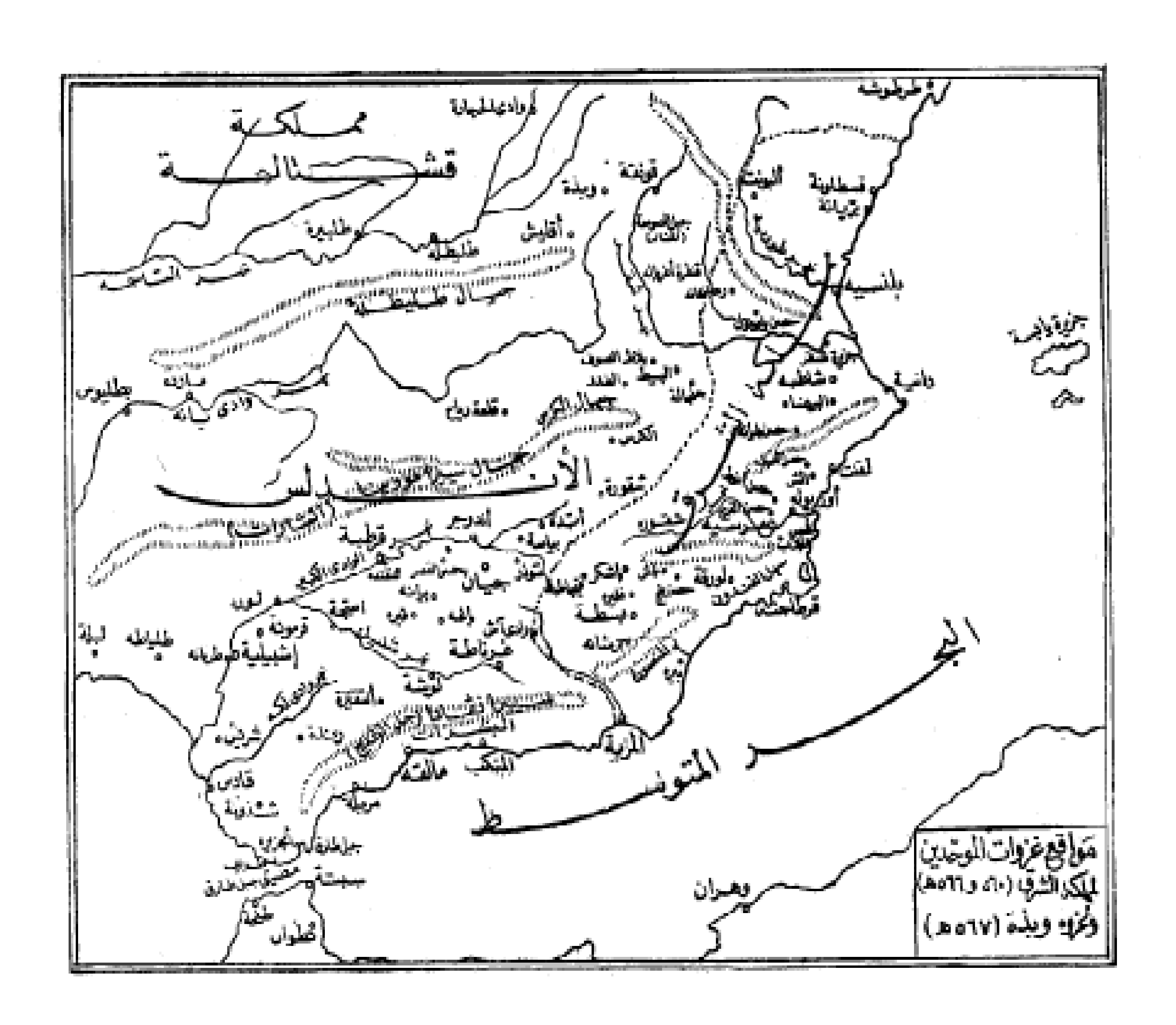
- خارطة (1): البيئة الطبيعية لوادي آش وأحوازها
- خارطة (2): الجنوب الأندلسي
- خارطة (3): الأندلس

خارطة (1): البيئة الطبيعية لوادي آش وأحوازها



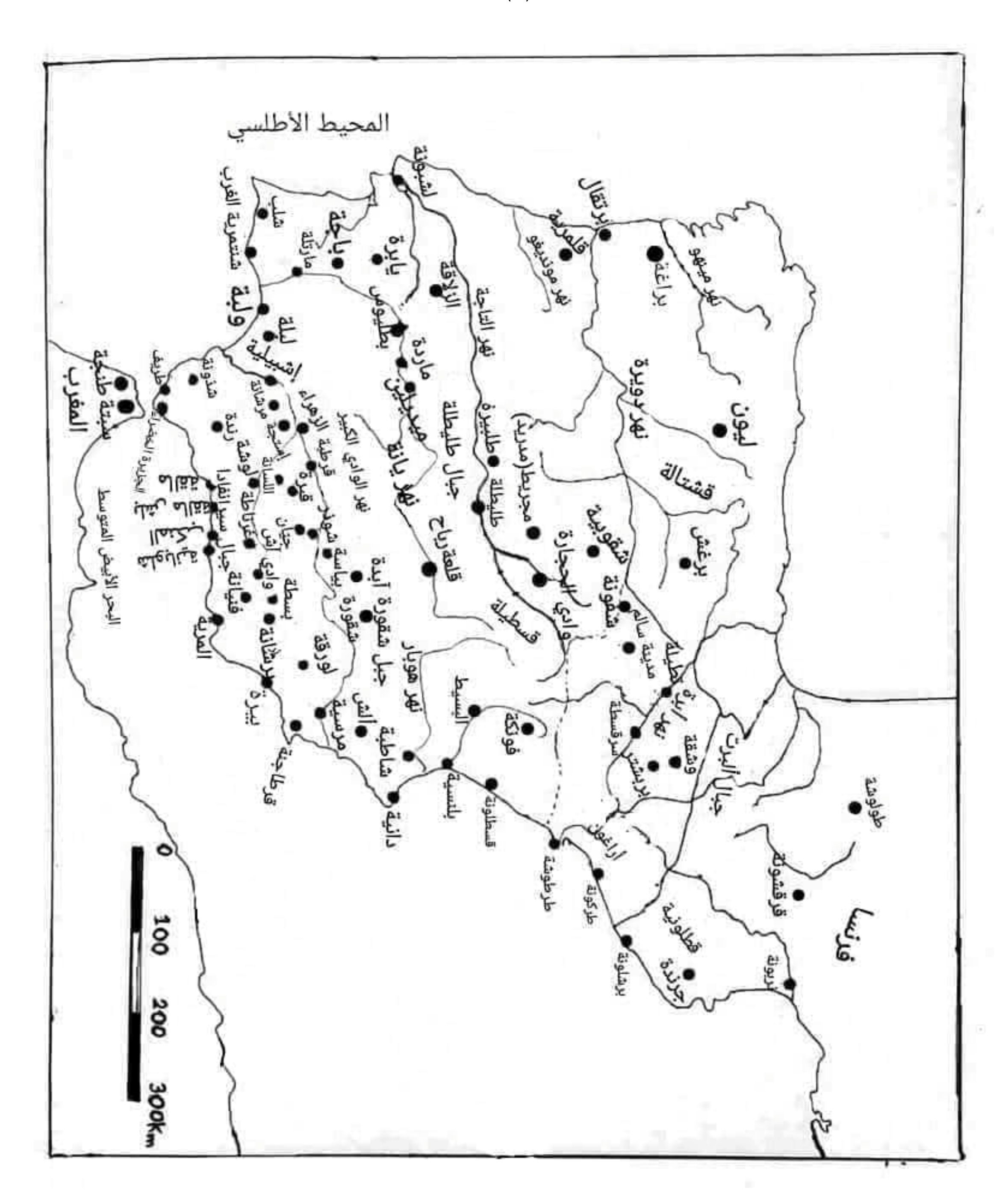
https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/1/13/HoyaGuadix.jpg

خارطة (2): الجنوب الأندلسي



عنان، دولة، ج3، ص49.

خارطة (3): الأندلس



اعداد الباحثة.

An-Najah National University
Faculty of Granduate Studies

Andalusian Wadi Ash City in Islamic Era (92-895 H\711-1489 A.D): A Study in Political and Cultural History

By
Ilham Samhat Adel Dweikat

Supervised by
Dr.Amer Al-Qubbaj

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of History, Faculty of Graduate studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2020

Andalusian Wadi Ash City in Islamic Era (92-895 H\711-1489 A.D): A Study in Political and Cultural History

By
Ilham Samhat Adel Dweikat
Supervised by
Dr.Amer Al-Qubbaj

Abstract

The city of Wadi Ash is situated northeast of Granada, in the southeastern region of Andalusia. The city was considered the most important Andalusia fortress during the Islamic era. It had been opened after the victory over the Goths in the Battle of Wadi Lakkah in the year 92AH / 711A.D. After the completion of the stabilization phase, the city included a mixture of population whose origins varied between Islamic races such as the Berbers, Arabs, Muladies, and non-Islamic races such as Jews and Christians. The city suffered from unstable conditions in the Governors Era (95- 138 AH / 714-755 A.D.). It also had a share of the repercussions of the revolutions of the muladies against the Umayyad state in Andalusia, just like other cities, especially the revolt of Umar ibn Hafsun and his sons since the second half of the third AH / ninth century AD. Later, a number of ruling families ruled the city of Wadi Ash, as they were subject to the rule of the Sanhajan in 403 AH / 1012 AD. The city then came under the rule of Yahya bin Samadah after his conspiracy against Badis bin Maxin in 459 AH / 1066 AD. During the Almoravid dynasty (438 -539 A.H /1090 -1145 A.D), the city witnessed many wars and revolutions such as the revolution of Ahmed bin Malhan Al-Ta'i who ruled the city until Muhammad bin Saad bin Mardanesh defeated him in the year

(546 AH / 1151 A.D) and ruled the city until the Almohad invaded the city in the year (567 AH / 1171 AD) and overthrew his rule. The Almohad forces continued to rule the city until it was taken by Mohammad Ibn Hawd's possession after his revolt against the Almohads there, in Rajab(625 AH / 1228AD) .

Later, the city soon became under the rule of Muhammad ibn Yusuf ibn al-Ahmar, the first king of the Kingdom of Granada, and during that it was subject to the rule of the sons of Ashqailulah, and the people of Marin. At the end of the era of the Kingdom of Granada, the city witnessed a bitter struggle between the last king of the Banu al-Ahmar Abu Abdullah al-Saghir and his uncle, Abu Abdullah al-Zughl. As a result, the city fell into the hands of the Spaniards (895 AH / 1489 A.D) .

With regard to the scientific aspects, the city knew the phenomenon of scientific houses, which gave birth to many scientists, in addition to witnessing an intellectual and scientific renaissance in various disciplines, especially the judiciary, religious sciences, and Arabic language sciences. Moreover, the city witnessed a remarkable urban activity during its Islamic era, and its architecture varied in terms of type to include the religious level which was reflected in many mosques such as the most important one called Al-Jame'. The city was characterized by the tolerance of its people towards non-Muslim communities under Muslim rule which allowed them to build churches and places of worship. As for the economic aspects, the city witnessed a great prosperity due to its geographical location, and the

people there were interested in agriculture which was known by the diversity of agricultural products including olives, apples, and berries. They also cared about the silk and linen industry, and the markets spread in that city where the roads and shops merchandise flourished. The people, furthermore, established active commercial relations with neighbouring cities.